وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

مجلة التراث

مجلة دولية دورية محكمة يصدرها
مخبر جمع دراسة و تحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

العدد الرابع عشر – شهر جوان – سنة 2014

ISSN : 2253-0339
الإيداع القانوني:2011-1934

المجلة

مجلة التراث مجلة علمية محكمة تصدر بصفة دورية كل شهرين عن مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها بجامعة الجلفة بالجمهورية الجزائرية وتعنى بنشر البحوث والدراسات الجادة في العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية التي لم يسبق نشرها وليست جزءا من رسالة ماجستير أو اطروحة دكتورة .كما تأمل أن تكون واجهة ثقافيّة مشرقةً للجامعة

تنشر مجلة التراث البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات من داخل الجامعات الجزائرية ومن خارج الجزائر مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية .

التحكيم العلمي

تخضع البحوث التي تنشر في المجلة لتحكيم علمي دقيق حسب المعايير العلمية المتعارف عليها في المجلات العلمية المحكمة،من طرف محكمين اثنين متخصصين في المجال وأعلى مستوى من صاحب المقال و لا ينشر المقال إلا بعد موافقة المحكمين الاثنين .

أهداف المجلة

إن هدف المجلة في الأساس هو المساهمة في إضافة جديدة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية.وتوفير فضاء علمي للأساتذة والباحثين لنشر بحوثهم وتوفيرها وعرضها للفحص والدراسة والنقد والإضافة. وتهدف إلى إثراء الحركة العلميّة والإسهام في تطوير المعرفة ونشرها،وذلك بنشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بعد مراجعتها من قبل هيئة التحرير،وكذلك من بين أهدافها:

تلبية الاحتياجات البحثية لأساتذة وطلاب الدراسات العليا

تعزيز التواصل الثقافي والحضاري

اضافة مصدر علمي رصين للقارئ العربي

بيانات المجلة

رقم التسلسل الدولي : ISSN: 0339-2259

الايداع القانوني : 1934-2011

- اللغة : العربية ، الانجليزية ، والفرنسية.

- وسائل الاتصال :

هاتف المجلة :00213550443945

صندوق بريد : 3075 الجلفة 17000 الجمهورية الجزائرية
البريد الالكتروني : makhtot_labo@yahoo.fr

هيئة تحرير المجلة

مدير المجلة
د.لحرش أسعد المحاسن

رئيس التحرير
د. بشيري عبد الرحمن

الهيئة العلمية

أ.د بوزيدي كمال	جامعة الجزائر	د.سناء الباروني	جامعة جندوبة تونس
أ.د بوغزالة محمد الناصر	جامعة الجزائر	د.بن داود ابراهيم	جامعة الجلفة
أ.د عبد القادر بن حرزالله	جامعة باتنة	د.حمادي نورالدين	جامعة الجلفة
أ.د سعيد فكرة	جامعة باتنة	د.فشار عطاالله	جامعة الجلفة
أ.د خير الدين سيب	جامعة تلمسان	د.عزالدين مسعود	جامعة الجلفة
أ.عبد الستار عبد الحق الحلوجي	مصر	أ.هزرشي عبد الرحمن	جامعة الجلفة
د.عز الدين بوكربوط	جامعة الجلفة	أ.شلالي رضا	جامعة الجلفة
أ.د العوفي عبد الكريم	جامعة ام القرى	أ.درماش بن عزوز	جامعة الجلفة
أ.د عمر أنور الزبداني	قطر	أ.صدارة محمد	جامعة الجلفة
أ.د ذياب البداينة	الأردن	أ.بن حفاف اسماعيل	جامعة الجلفة
د.محمود محمد زكي	مصر	أ.معيزة عيسى	جامعة الجلفة
د.دهينة نصيرة	الجزائر	أ.شريط محمد	جامعة الجلفة
د.كول سعيدة	جامعة عنابة	د عز الدين كحيل	جامعة بسكرة

قواعد النشر في المجلة

- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في أي مجلة أو جزء من كتاب أو مذكرة أو أطروحة
- أن يلتزم الباحث بالمنهج العلمي و الموضوعية و الأصالة
- تقدم المقالات مكتوبة فيما لا يتجاوز 25 صفحه
- تخضع الأعمال المرسلة الى المجلة للتحكيم قبل نشرها
- الالتزام بالخط traditional arabic 18 الهوامش 14 تباعد عادي
- ربط النص بالهوامش الزامي
- ترتب الموضوعات وفق اعتبارات فنية
- ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه ،و لا يمثل رأي المجلة بالضرورة
- ترسل البحوث و جميع المراسلات الخاصة بالمجلة الى مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة و غيرها

عنايةُ القرَّاءِ بالنُّسخِ الخطيَّةِ لكتبِ القراءاتِ -المظاهر والآثار-

د. يوسف بن مصلح بن مهل الردادي

الجامعة الإسلامية -المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الـــمقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسِّمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة، وتشمل:

- أهمية الموضوع.
- حدود البحث.
- مشكلة البحث.
- أهداف البحث.
- خطة البحث.

التمهيد، وهو عن معايير التفاضل بين النسخ الخطية.

المبحث الأول: معالم اهتمام القراء بمخطوطات علم القراءات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اهتمامهم بكتب القراءات.

المطلب الثاني: اهتمامهم بالإجازات والأسانيد القرآنية.

المبحث الثاني:آثار النسخ الخطية في الدراسات القرآنية المعاصرة.

الخاتمة.

ملاحق البحث.

فهرس المصادروالمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد:وهو عن معايير التفاضل بين النسخ الخطية.

برغم تعدد النسخ الخطيَّة لكثير من كتب ساداتنا من العلماء السابقين، إلا أن التفاضل بين هذه النسخ للكتاب الواحد يبقى أمراً بالغ الأهمية، نظراً لما له من قيمة عالية لا يقدرها الثمن.

ولذلك فقد اعتنى علماؤنا المتقدمون بالنسخ الخطيَّة وميَّزوا بينها، وكانت لهم معرفة بالوراقين الجيدين الذين يؤتمن الواحد منهم على ما ينسخ من الكتب، فتكون له الحظوة عند العلماء والوجهاء، ويُستبعد غيره ممن دخل هذا المضمار و لم يكن من أهله.

يقول عبد السلام هارون: «أعلى النصوص هي التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها، أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها.

وهنا أمر قد يوقع المحقق في خطأ جسيم، وهو أن بعض الغافلين من الناسخين قد ينقل عبارة المؤلف في آخر كتابه، وهي في المعتاد نحو: (وكتب فلان) أي: المؤلف، ثم لا يعقب الناسخ على ذلك بما يشعر بنقله عن نسخة الأصل، فيظن القارئ أنها هي نسخة المؤلف.

وهذه مشكلة تحتاج إلى فطنة المحقق وخبرته بالخط والتاريخ والورق»[1].

ويقول شيخ المحققين المعاصرين الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف عن القيمة العلمية لنسخة المؤلف، والتي أشار إليها سلفه عبد السلام هارون: «فمن المعلوم في بدائه العقول أن علم تحقيق النصوص إنما يهدف إلى تقديم نص صحيح مطابق لما كتبه مؤلفه ما استطاع المحقق إلى ذلك سبيلاً.

أما إذا تحقق وصول النسخة التي كتبها المؤلف بخطه، وثبت للمحقق أنها آخر ما ارتضاه لكتابه، فلا فائدة لأي نسخة أخرى منتسخة عنها أو من غيرها، لأنها على كل حال ستُرد في صحتها وخطئها إلى نسخة المؤلف التي كتبها بخطه»[2].

([1]) تحقيق النصوص ونشرها: [ص:29]، باختصار.

([2]) تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين وإصلاح الرواة والنساخ والمحققين: [ص:9].

المبحث الأول: معالم اهتمام القراء بمخطوطات علم القراءات.

تعد عناية ساداتنا العلماء المتقدمين - والمتأخرين أيضاً - بالنسخ الخطيَّة ودراستها والتفضيل بينها واقتناء النفيس منها ظاهرة مشتهرة مستفيضة في كتب التراجم والآثار، مع عدم اقتصار ذلك على علم معين أو فن بذاته، بل تشمل كافة العلوم، ويُعنى بذلك العلماء في كافة الأمصار، إيماناً منهم بما تقدمه النسخة النفيسة الجيدة من قيمة علمية ومزايا متعددة لا تتوفر في غيرها من بقية النسخ الأخرى للكتاب الواحد.

وعند تسليط الضوء على جهود ساداتنا القراء حول هذا الموضوع، نجد أنهم قد اعتنوا به عناية فائقة، نظراً لتعلقه بكتاب الله تعالى، ولأن الإخلال في نَسْخِ النسخة الخطيَّة يؤدي إلى إحداث أوجه لم يُقرأ بها في كتاب الله تعالى، لا سيما إذا تم الاعتماد على هذه النسخ الخطيَّة في طباعة الكتب ونشرها[3]، ولهم في الوقت ذاته عناية مماثلة بالنسخ الخطيَّة لأسانيدهم وإجازاتهم.

وعطفاً على ذلك، فسيتم تناول الحديث في هذا المبحث من خلال المسلكين التاليين:

الأول: اهتمامهم بكتب القراءات.

الثاني: اهتمامهم بالإجازات والأسانيد القرآنية.

([3]) انظر على سبيل المثال: شرح طيبة النشر للنويري: [489/1]، وما بعدها. **(تحقيق: باسلوم)**

وكذلك: العنوان للسرقسطي: [ص:42] حيث تحرَّفت: هاء الكناية، إلى هاء الكتابة، وغير ذلك.

كما تمت طباعة ونشر كتاب للإمام أبي عمرو الداني بعنوان: مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار، وبعد مراجعة سريعة له ومقارنته ببعض كتب الداني تبين أنه كتاب التيسير له، وإنما اعتمد الذي أخرج الكتاب على نسخة خطيَّةٍ سيئةٍ أوقعته في هذا الخطأ العلمي الفادح.

المطلب الأول: اهتمامهم بكتب القراءات.

أَولى ساداتنا القراء النسخ الخطية للكتب الأصيلة في هذا العلم عناية بالغة، يظهر ذلك من خلال اعتمادهم عليها في النقل والتوثيق، بل وفي حفظ واستظهار نصوص أصحابها[4]، وفي اقتناء نسخها النفيسة ذات القيمة العلمية العالية.

وسأقتصر الحديث في هذا المطلب عن كتابَين من أجلِّ كتب علم القراءات وأشهرها وأكثرها قبولاً، وهما:

- نظم **الشاطبية، حرز الأماني ووجه التهاني** للإمام الشاطبي (ت590هـ).
- كتاب **النشر في القراءات العشر**، للإمام ابن الجزري (ت833هـ).

فأما الأول، وهو نظم الشاطبية، فسأتحدث عن آثار العلماء في وصف نسخه الخطيِّة واقتنائها، وأما الثاني، وهو كتاب النشر، فسأشير إلى عناية مؤلفه بذكر بعض التصحيفات التي وقف عليها في النسخ الخطيَّة لكتب ساداتنا القراء المتقدمين، وبيان أثر ذلك في علم القراءات، مع مراعاة الاختصار حتى لا يطول البحث عن المقدار الملائم في مثله، مع التنويه إلى أن ما يذكره ابن الجزري من تصحيفات النساخ وغيرهم قد لا يقتصر على ما في النشر، بل يتجاوزه إلى كتب أخرى له كما سيأتي في طيات هذا المطلب.

وعند حديثنا عن نظم **الشاطبية** ونسخه الخطيَّة فإنه يتبادر إلى الذهن مدى الشهرة التي بلغتها هذه المنظومة، والقبول الذي كتبه الله لها ولناظمها، حتى قال الإمام ابن الجزري: «ولقد رُزِق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول: ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أن بلداً من بلاد الإسلام يخلو منه، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به.

ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا من اقتناء النسخ الصحاح بها إلى غاية حتى أنه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوي - يريد: تلميذ الشاطبي - مجلدة، فأُعطيت بوزنها فضة فلم أقبل»[5].

ولا غرابة في ذلك، فقد كتب الله لنظم الشاطبية من القبول ما لم يكتب لغيره في علم القراءات، وأصبح القراء قديماً - من بعد زمن الشاطبي - قلَّ أن يأخذوا القراءات السبع من غير طريق الشاطبية، على اختلاف وتحرير في ذلك، حيث زاد ابن الجزري القراء الثلاثة في الدرة المضية، ثم زاد طرقاً عديدة على ما في الشاطبية والدرة وضمَّنها كتابه النشر في القراءات العشر، ونظمه في طيبة النشر[6]، بالإضافة إلى الطرق العشر النافعية التي

([4])قال القسطلاني متحدثاً عن حفظ طلبة العلم والعلماء والقراء وغيرهم للكتب المنثورة في علم القراءات: ((وكان أهل مصر كثيراً ما يحفظون العنوان - للسرقسطي - فلما ظهرت القصيدة - يريد: الشاطبية - تركوه)). لطائف الإشارات: [162/1].

وبلغ اعتمادهم على حفظ الكتب المطولات أن نُسخ صحيحي البخاري ومسلم رحمهما الله كانت تُصحح من حِفظِ الإمام الشاطبي صاحب الشاطبية. انظر: وفيات الأعيان: [71/4]، إنباه الرواة: [161/4].

([5]) غاية النهاية: [ص/22]. وانظر: الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي: [ص:66]، وما بعدها.

([6]) يقول ابن الجزري في طيبة النشر عن هذه الطرق التي زادها:

وَ هَذِهِ الرِّوَايَةُ عَنْهُمْ طُرُقُ * صَحَّ بِهَا فِي نَشْرِنَا يُحَقَّقُ

بِاثْنَيْنِ فِي اثْنَيْنِ وَ إِلاَّ أَرْبَعُ * فَهِيَ الَّتِي لِلرَّطْرِيقِ تَجْمَعُ

انظر: طيبة النشر، البيتين: (34)، (35).

يُقرأ بها في بلاد الغرب الإسلامي إلى يومنا هذا دون انقطاع، رغم خروجها عن طريق الشاطبية والنشر[7].

ولقد بلغت العناية بساداتنا القراء المتقدمين في تحصيل النسخ الصحاح لنظم الشاطبية إلى القدر الذي وصفه الإمام ابن الجزري بقوله في ترجمة المطرز الكتبي: «قيل لي: إنه اجتمع عنده ألف شاطبية»[8].

هذا فيما يتعلق بحرصهم على اقتناء النسخ الخطية ذات القيمة العالية الرفيعة، وأكتفي بما أوردته مراعاةً لمقدار البحث.

وأما إذا انتقلت دفة الحديث صوب كتاب **النشر في القراءات العشر**، فإنه يظهر للقارئ من الوهلة الأولى مدى عناية صاحبه الفائقة التامة بنقد النسخ الخطيَّة للكتب التي اعتمد عليها في كتابه، والفصل بين أوهام المؤلفين وأخطاء النُّساخ والوراقين، في صورة علمية وقالب نقدي يحفظ لكل ذي حق حقه، ويجرد المسألة العلمية من أي شوائب أخرى لا صلة لها بها.

وعند الانتقال إلى كتب ابن الجزري، فإنَّا نجد بين طياتها إشارات عدة إلى أخطاء النساخ وأوهامهم - ويشترك المؤلفون معهم في بعضها - مما ينعكس على المادة العلمية تبعاً لذلك، وسأشير إلى بعض تلك الأقوال لابن الجزري فيما يلي:

«ووقع في الكامل أنه لـــخلف في اختياره وهو وهم، وكذلك ظاهر الـــمـــــبهج للكسائي **وهو سهو قلم**»[9].

«وما وقع لأبي شامة من النصِّ على الإظهار في (طس تلك) للجميع **فهو سبق قلم**»[10].

«ووهم ابن مؤمن في الكنز فذكر الخلاف عن هشام في الحرف الأول، وترك (لو أطاعونا ما قتلوا)، **وهو سهو قلم، رأيتُه في نسخة مصححة بخطه**»[11].

«ذكر الكارزيني أنه قرأ عليه بالبصرة عن قراءته على أحمد بن عبد الله الخفاف، **وكلاهما غلط، ولعله من النساخ**»[12].

«وقد سماه أبو عمر في الروضة محمد بن عبد الله، فأسقط اسمه وأثبت اسم أبيه، **ولعله من النساخ أو سهو قلم منه**»[13].

«كذا ذكره أبو العز في رواية هبيرة عن حفص **فصحَّفه الكاتب**، وهو الذي قبله»[14].

«محمد بن أحمد بن مهران، **كذا وقع في بعض نسخ الكامل**، وصوابه أحمد بن محمد بن مهران، تقدم»[15].

وما تم إيراده من أقوال ابن الجزري إنما هي مجرد أمثلة، وما لم يُذكر أضعاف أضعاف ما ذُكر، فرحمه الله ما أحرصه! وما أشد غيرته على أسانيد كتاب الله وأوجه أدائه!

([7])انظر: مقدمة تحقيق التبصرة في قراءة العشرة: [ص:10]، العشر النافعية وامتداداتها في الجزائر: [ص:135]، الدراسات القرآنية بالمغرب: [ص: ٥٦]، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب: [ص: ٢٦٨]،

([8]) غاية النهاية: [180/2].

([9]) النشر: [11/2].

([10])النشر: [19/2].

([11]) النشر: [243/2،244].

([12]) غاية النهاية: [40/1].

([13]) غاية النهاية: [119/1].

([14]) غاية النهاية: [132/1].

([15])غاية النهاية: [87/2].

المطلب الثاني: اهتمامهم بالإجازات والأسانيد القرآنية.

إن عناية السادة القراء بالإجازات والأسانيد لا يقتصر على إجازات الأداء والرواية فحسب، بل تتوسع العناية لتشمل إجازة الكتب والمنظومات وغيرها، سواء من قِبل المؤلِّف أو أبنائه أو تلاميذه، وذلك كله للإمعان في الضبط والإتقان ودقة النقل.

ومن أظهر الأمثلة على ذلك، ما تضمَّنته النسخة الخطيَّة لمنظومة **المقدمة الجزرية** للحافظ ابن الجزري (ت833هـ)، والمحفوظة في مكتبة لا له لي في اسطنبول، إذ لها قيمة علمية وفنية عالية، حيث إنه - أي الناظم ابن الجزري - كتب عليها إجازةً لأبي الحسن علي باشا بن صفي الدين صفي شاه بن أير خُجا بن إياس، عندما قرأ المُجازُ المنظومة على ناظمها سنة 800هـ كما هو مثبت بخط الناظم في النسخة الخطيَّة للمنظومة.

وعند النظر في تفاوت الرواية لبعض أبيات المقدمة الجزرية بين تقديم وتأخير وغير ذلك[16]، فإن الاعتماد على مثل هذه النسخ الخطيَّة يغني عن كثير من المقارنة والمقابلة، بالنظر إلى وجود إجازة الناظم عليها بخط يده، وكفاها بذلك دقة واعتماداً.

ومثل ذلك أيضاً ما يتعلق بالنسخة الخطيَّة لكتاب **المفيد في شرح القصيد** للإمام القاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي (ت661هـ)، والمحفوظة في مكتبة إزمير بتركيا، إذ كتب عليها المؤلف إجازةً بخط يده لسلمان بن محمد بن سلمان الضبي، وكتب في آخرها إجازة لكاتبها يحيى بن المطرز الحنفي بأنه قرأ الشرح على مؤلفها اللورقي[17].

وفي الجانب الآخر، جانب الجرح والتعديل، فقد اعتنى العلماء بالحكم على الإجازات والأسانيد ومناقشتها مناقشة علمية رصينة، وسأكتفي بمثال واحد ذكره الحافظ ابن الجزري في ترجمته لأحد القراء في كتابه غاية النهاية[18]، عن تغييره وتحريفه لإجازة قرآنية كانت عنده؛ حتى يعلو به سنده، وذكر الخبر بتفصيل أوسع وأشمل في كتاب آخر له، فقال: «ومنهم الشيخ شمس الدين محمد الآدمي، مقرئ حلب. قرأ عليه جماعة وانتفع به أهل تلك الناحية، وكان يجهز إلى شيوخنا سؤالات، ومن جملتها أرسل أبياتاً من نظمه وإليه، يسأل فيها عن حقيقة التجويد ومراتب التشديد، فأجابه عنها نظماً شيخنا الإمام أمين الدين ابن السلار رحمه الله تعالى.

قدم المذكور دمشق في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، ونزل بتربة أرغون شاه خارج دمشق، فذهبتُ وشيخُنا ابن اللبان للسلام، وذاكرناه، فقال: أنا بيني وبين الشاطبي اثنان، أنا قرأت الشاطبية على فلان، وهو قرأ على السخاوي، فعجبنا من ذلك، وسألناه أن يوفقنا عليه، فأخرج نسخة بـــالشاطبية، وفيها طبقة سماع الشاطبية بخط شهاب أحمد بن مروان البعلبكي أحد أصحاب السخاوي، الذي هو شيخ شيخنا الصفوي كما تقدم، **وإذا هو / قد أصلح اسم قارئها باسم نفسه بـــحك وكشط**، ولم يكن يعلم اسم الشيخ المذكور ولا نسبه، لأنه كان تعليقاً، فغيره باسم لم يكن معروفاً، وكان التاريخ في سنة ثلاث وسبعمائة أو نحو ذلك، فغيره إلى بعد الثلاثين وسبعمائة، فقلتُ له: يا شيخ هذا خط الشيخ أحمد بن سليمان بن مروان البعلبكي من أصحاب السخاوي، توفي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة[19]، وكان آخر من قرأ على السخاوي، وبيَّنت ذلك، فخجل وافتضح، وتوجه إلى مصر في هذه السنة، ورأيته أيضاً بها.

([16]) انظر: الطرازات المعلمة: [ص:129]، المنح الفكرية: [ص:86]، دروس مهمة في شرح المقدمة: [ص:106].
([17]) انظر: المفيد في شرح القصيد: **(نسخة إزمير)** [لوحة: 1/ب].
([18])[290/2].
وللاستزادة، انظر: الدرر الكامنة: [86/5].
([19])انظر: غاية النهاية: [58/1].

ثم عاد إلى حلب ومات بها بعد الأربع وسبعين وسبعمائة»[20].

إن هذا المثال - وغيره كثير - ليُشعِر بمدى العناية الفائقة التي كان عليها حال السادة القراء في تنقيح أسانيدهم وضبط إجازاتهم والتدقيق في كل حرف تتضمنه[21]، صيانة لأداء القرآن الكريم دون تدليس أو تحريف، وإنزالاً لكل راوٍ منزلته التي يستحقها دون إفراط أو تفريط، وردع مَن يتجرأ على التغيير طمعاً في علو إسناد ونحوه.

([20]) جامع أسانيد ابن الجزري: [ص:187].

([21])انظر: آفة علو الأسانيد: [ص:18]، فتنة الأسانيد: [ص:34]، الإسناد عند علماء القراءات: [ص:34]، تحفة الإخوان بما علا من أسانيد قراء هذا الزمان: [ص:24].

المبحث الثاني: آثار النسخ الخطية
في الدراسات القرآنية المعاصرة.

لا تكاد الدراسات المعاصرة المتعلقة بالبحث العلمي في العلوم الشرعية تخرج عن مسلكين رئيسين، وهما: مجال البحث والتأليف، ومجال تحقيق النصوص ودراستها.

ويعد مجال تحقيق النصوص ودراستها من المجالات التي يستمر العمل فيها بصورة دائمة في مختلف الجامعات والمراكز البحثية وغيرها، ولها عناية فائقة من قِبل المتخصصين، يستوي في ذلك الأكاديميون وغيرُهم.

ويمكن القول بأن الجميع له حرص على استيفاء النسخ الخطيَّة للكتاب المراد تحقيقه، على تفاوت في ذلك بين المحققين، مع التسليم بأن لبعضهم عناية فائقة في ذلك، وأكسبهم ذلك مع مرور الوقت شهر علمية وقبولاً لدى أوساط المهتمين، تسليماً بدقة أعمالهم، واعترافاً بجهودهم المبذولة في خدمة التراث.

ولعل من أبرز الأمثلة التي يُمكن أن يُستشهد بها حول موضوع آثار النسخ الخطيَّة في الدراسات القرآنية المعاصرة هو **كتاب البديع في رسم مصاحف عثمان** لأبي عبد الله محمد بن يوسف ابن معاذ الجهني (ت442هـ) ، حيث حققه المحقق القدير الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد، ونشره لأول مرة في مجلة المورد في بغداد، عام 1407هـ 1986م، ثم طبعه مستقلاً عام 1421هـ وأصدرته دار عمار بالأردن.

وقد اعتنى بالكتاب محقق آخر، هو الأستاذ الدكتور سعود الفنيسان، وطبعه عام 1419هـ وأصدرته دار إشبيليا بالرياض.

وعند النظر والتأمل والمقارنة بين التحقيقين نجد أن نشرة المحقق أ.د. الفنيسان قد زادت على نشرة أ.د. غانم بخمسة أبواب، وهي:

1- باب: ذكر ما رسم في المصحف من ياءات الإضافة بالحذف.
2- باب: ما حذف من المرسوم من ياءات الإضافة.
3- باب: ما يوقف عليه بالهاء والتاء.
4- باب: ما اتفقت عليه مصاحف أهل المدينة والكوفة والبصرة والشام.
5- باب: اختلاف أهل الأمصار في الزيادة والنقصان.

ويكمن السبب وراء هذه الزيادة - الصحيحة - في أن المحقق الأول أ.د. غانم عندما وقف على بعض النسخ الخطيَّة للكتاب[22]؛ وجد في بعضها زيادة على ما في النسخ الأخرى، عبَّر عنها بقوله: «وقد ألحق الناسخ بنصِّ الكتاب موضوعات لا وجود لها في نسخة الظاهرية، لا أملك الآن دليلاً على أنها من كتاب البديع»[23].

([22])وهي نُسخ المكتبة الظاهرية، ودار الكتب المصرية، والمتحف العراقي، ولم يتسنَّ له الحصول على نسختين إضافيتين للكتاب، وهما في مكتبة الغازي خسرو بك في سراييفو، ومكتبة المسجد الأحمدي في طنطا بمصر.

([23])مقدمة تحقيق كتاب البديع: [ص:12]. **(تحقيق: أ.د. غانم)**

ولما تيسر للمحقق الآخر أ.د. الفنيسان الوقوف على نسخٍ خطيَّةٍ أكثر وأضبط[24]، ساعده ذلك في إخراج الكتاب مكتملاً دون أن يعتريه نقص أو سقط.

وعند النظر في تأثير ذلك على الدراسات القرآنية المعاصرة، نجد أن بعض الباحثين قد اعتمد في نقله وتوثيقه من كتاب البديع على نسخة أ.د. غانم، فتوهَّم أنها تتضمن كتاب البديع بتمامه، وأن ما ليس فيها لا تصح نسبته إلى كتاب البديع.

وسأكتفي بالإشارة إلى كتاب واحدٍ من هذه الدراسات المعاصرة التي أشرتُ إليها[25]، وهو كتاب **الوسيلة إلى كشف العقيلة** للسخاوي (ت643هـ) بتحقيق المحقق القدير الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري.

وذلك أن د. الطاهري اعتمد على النسخة التي حققها ونشرهاأ.د. غانم و لم تكن حينها نسخة أ.د. الفنيسان قد ظهرت[26]، وكان ذلك سبباً في عدم وقوف د. الطاهري على المواضع التي نقل منها علم الدين السخاوي في الوسيلة عن ابن معاذ الجهني في كتابه البديع مما هو مثبت في نسخة أ.د. الفنيسان.

قال السخاوي: «وقال محمد بن يوسف بن محمد بن معاذ الجهني: وقع في مصاحف الكوفيين في سورة يس: (وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهم) بحذف الهاء»[27]، وعلَّق عينها المحقق بقوله: «لم يرد ذلك في كتاب البديع في معرفة ما رُسم في مصحف عثمان لابن معاذ الجهني، ولعل للجهني كتاباً آخر في هجاء المصاحف، خلافاً لما قال محقق كتاب البديع في مقدمته: و لم نعرف أن للجهني كتاباً آخر غير كتاب البديع»[28].

والصواب أن هذا القول لابن معاذ الجهني مذكور بتمامه في كتابه البديع، في نشرته التي هي بتحقيق أ.د. الفنيسان[29].

وقد تكرر هذا الأمر في تحقيق **الوسيلة** الـمُشار إليه بالأعلى في عدة مواضع، حيث ينقل علم الدين السخاوي عن ابن معاذ الجهني، ثم يشير المحقق إلى أنه لم يقف على هذا النقل في كتاب **البديع**، وأنه ربما يكون في كتاب آخر لابن معاذ، والحقيقةُ أن جميع هذا الأقوال لابن معاذ مثبتة بتمامها في كتابه **البديع**، في نشرته التي هي بتحقيق أ.د. الفنيسان[30].

([24]) اعتمد أ.د.الفنيسان على ثلاث نسخ، وهي نسخة سراييفو المشار إليها سلفاً، ونسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونسخة المكتبة الظاهرية المشار إليها سلفاً أيضاً.

([25]) ومن الدراسات المعاصرة التي اعتمدت على تحقيق أ.د. غانم بالإضافة إلى المثال المذكور في المتن بالأعلى:
* **مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود ابن نجاح**، بتحقيق شيخي الدكتور أحمد شرشال الجزائري.
* **سفير العالمين في إيضاح وتحبير وتحرير سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين**، للدكتور أشرف طلعت.

([26]) وذلك بالنظر إلى أن د. الطاهري قد ناقش رسالته العلمية التي حقق فيها كتاب الوسيلة عام 1411هـ.

([27])الوسيلة: [ص:210].

([28]) المصدر السابق، الحاشية رقم: (2).

([29]) انظر: البديع: [ص:179 ، 180]. **(تحقيق: أ.د. الفنيسان)**

([30]) انظر هذه المواضع في الوسيلة:
1) [ص:210]، 2) [ص:223]، 3) [ص:224]، 4) [ص:236]، 5) [ص:244].

وبرغم الأمثلة المتعددة التي تم إيرادها في هذا المبحث، إلا أن الإنصاف يستدعي التأكيد على أن جُلَّ المشتغلين بتحقيق التراث هم من خيرة الأساتذة المتمكنين المؤهلين، وإن ظهرت على بعض تحقيقاتهم بعض الملاحظات التي لا يسلم منها أحد إلا أن لهم عناية ظاهرة وبحث دؤوب عن كل وسيلة يمكن من خلالها تحقيق التراث ونشره بالكيفية التي أرادها المؤلفون المتقدمون.

وتبقى فئة من المشتغلين بالتحقيق لم يتضلعوا بالقدر الذي يشفع لهم بخوض غمار هذا البحر الزاخر، فنتج عن ذلك تحريف وتشويه لنصوص العلماء المتقدمين وآثارهم، ولئن كان ذلك مؤثر في كافة العلوم والمباحث، إلا أن تأثيره في الكتب المتصلة بكتاب الله أشد وزراً وأعم ضرراً.

ثم انظر ما يقابلها في كتاب البديع، **(تحقيق أ.د. الفنيسان)** : 1) [ص:179 ، 180]، 2) [ص:181]، 3) [ص:180]، 4) [ص:174]، 5) [ص:182].

الخاتمة.

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه بما هو أهله؛ أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، وأسأله المزيد من فضله، وأستغفره عمَّا يظهر فيها من خطأ وزلل، والكمال له سبحانه.

ثم أشير في هذه الخاتمة الموجزة إلى أبرز **النتائج** التي ظهرت لي:

أولاً: ظهور العناية الفائقة من قِبل ساداتنا القراء وحرصهم التام على تقييم النسخ الخطيَّة لكتب القراءات القرآنية، والتزامهم الحكم عليها قوةً وضعفاً.

ثانياً: لم تقتصر عناية ساداتنا القراء على كتب القراءات القرآنية فحسب، بل كانت لهم عناية مماثلة بالأسانيد والإجازات القرآنية.

ثالثاً: تميّز بعض علماء القراءات القرآنية بنقد النسخ الخطيّة ودراستها دراسة فاحصةً، ومن أبرزهم الحافظ ابن الجزري (ت833هـ).

رابعاً: انعكاس الأخطاء والتصحيفات الموجودة في النسخ الخطيَّة على الدراسات القرآنية المعاصرة، وظهور آثارها السلبية على النسخ المطبوعة منها.

وأما **التوصيات**، فإني أوصي نفسي وزملائي الباحثين والمهتمين - في مختلف العلوم - بضرورة تفعيل مثل هذا الجانب من الدراسات النقدية حول النسخ الخطيَّة، دون الاقتصار على عِلْم معين أو مؤلفات عَلَم بذاته، بل المجال رحب لدراسات موسعة شاملة تلقي بظلالها على الدراسات المعاصرة، وتسهم في وضع معايير مدروسة تُعنى بالتصحيح والتقويم، اعتماداً على الحالة العلمية والفنية للنسخ الخطيَّة.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادروالمراجع.

- أولاً : الرسائل العلمية:

1) **الفوائد المجمعة في زوائد الكتب الأربعة،** لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري (ت833ه)،
تحقيق: د. يوسف بن مصلح الردادي، رسالة ماجستير، من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، عام 1431ه.

2) **منهج ابن الجزري في كـــتابه النشر، مع تـــحقيق قسم الأصول،**
د. السالم الجكني،رسالة دكتواره، من كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود، عام 1421ه.

- ثانياً :البحوث العلمية الـمُحكَّمة:

3) **أفق خدمة التوثيق والتحقيق للمخطوطات في الدراسات القرآنية: كتب القراءات القرآنية نموذجاً،**
د. محمد حسان الطيان، المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن وعلومه، فاس، المغرب، 2013م.

4) **التجديد في مناهج تحقيق النصوص، دراسة تطبيقية من خلال مخطوطات علم القراءات،**
د. يوسف بن مصلح الردادي، الملتقى الدولي الثاني لمناهج تحقيق النصوص، الجلفة، الجزائر، 2013م.

5) **العشر النافعية وامتداداتها في الجزائر، درسة الشيخ البوجليلي نموذجاً،**
حسين وعليلي، المؤتمر العالمي الأول للقراءات القرآنية، مراكش، المغرب، 2013م.

- ثالثاً : المراجع المخطوطة:

6) **غاية النهاية في طبقات القراء،**لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، بخط المؤلف، برقم: (2559).

7) **الفوائد المجمعة في زوائد الكتب الأربعة،**لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ضمن مجموع برقم: (43909).

8) **مفتاح الحصن الحصين،**لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة، برقم: (336685).

9) **المفيد في شرح القصيد،** لأبي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بن جعفر المرسياللورقي الأندلسي(ت661ه)،
نسخة مكتبة نجيب باشا بإزمير في تركيا، برقم: (77).

- رابعاً : المراجع المطبوعة:

10) **الإبانةفي تفصيل ماءات القرآن** ، لجامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت542هـــ)،
تحقيق: د. محمد الدالي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1430ه.

11) **أبحاث في علم التجويد،**أ.د. غانم قدوري الحمد،
دار عمار، الأردن، 1422هـــ.

12) **الإسناد عند علماء القراءات،**أ.د. محمد سيدي محمد الأمين،
مسابقة القرآن الكريم بوزارة الشئون الإسلامية، السعودية، 1435هـــ.

13) **آفة علو الأسانيد،** السيد أحمد عبد الرحيم،
كرسي تعليم القرآن وإقرائه بجامعة الملك سعود، الرياض، 1435هـــ.

14) **إمتاع الفضلاء بتراجم القراء**، إلياس البرماوي،
دار الزمان، المدينة المنورة، 1428هـ.
15) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت624ه)،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406ه.
16) **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**، د. محمد المختار ولد أباه،
دار الكتب العلمية، بيروت،2008م.
17) **التبصرة في قراءة العشرة**، لمحمد بن أبي القاسم البوجليلي الحسيني (ت1898م)،
تحقيق: حسين وعليلي، دار ابن حزم، 2013م.
18) **التحديد في الإتقان والتجويد**،لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444ه)،
تحقيق: أ.د.غانم قدوري الحمد، دار عمار، 1420ه.
19) **تحفة الإخوان بما علا من أسانيد قراء هذا الزمان**، حسن الوراقي،
مؤسسة قرطبة، مصر، 1430هـ.
20) **تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين وإصلاح الرواة والنساخ والمحققين**، أ.د. بشار عواد معروف،
دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009م.
21) **تحقيق النصوص ونشرها**، لعبد السلام هارون،
مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418ه.
22) **التكملة لكتاب الصلة**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعيالبلنسي ابن الأبَّار (ت659ه)،
تحقيق: أ.د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2001م.
23) **تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع**، لأبي علي الحسن بن خلف ابن بليمة (ت514ه)،
تحقيق: سبيع حاكمي، دار القبلة، جدة، 1409ه.
24) **التلخيص في القراءات الثمان**، لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت478ه)،
تحقيق: محمد حسن عقيل موسى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، 1412ه.
25) **التمهيد في علم التجويد**،لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
تحقيق: أ.د.غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، 1421ه.
26) **التمهيد في معرفة التجويد**، لأبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار (ت569ه)،
تحقيق: أ.د.غانم قدوري الحمد، دار عمار، 1420ه.
27) **تنبيهات الإمام ابن الجزري على أوهام القراء جمعاً ودراسة**، د. أحمد بن حمود الرويثي،
دار البشائر، بيروت، 1433هـ.
28) **التيسير في القراءات السبع**،لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444ه)،
تحقيق: أ.د.حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة، 1429ه.
29) **تيسير الكشف عن المخطوطات المجهولة**،أ.د. حكمت بشير ياسين،
معهد البحوث والاستشارات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، 1432هـ.
30) **جامع أسانيد ابن الجزري**، لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
اعتنى به: د. حازم سعيد حيدر، كرسي تعليم القرآن وإقرائه بجامعة الملك سعود، الرياض، 1435هـ.

31) **جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر**،
جمع: د. عادل سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2003م.
32) **الـــحلقات الـــمضيئات من سلسلة أسانيد القراءات**، السيد أحمد عبد الرحيم،
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم غي محافظة بيشة، 1423هـــ.
33) **الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري**، إبراهيم الوافي،
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1420هـــ.
34) **الدر النثير والعذب النمير**، لأبي محمد عبد الواحد بن محمد بن علي المالكي المالقي (ت705ه)،
تحقيق: د. محـــمد بوطربوش، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 1432ه.
35) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـــ)،
تصحيح: سالم الكرنكوي الألماني، دار الجيل، بيروت، 1414هـــ.
36) **دروس مهمة في شرح المقدمة الجزرية**، الشيخ سيد لاشين أبو الفرح،
دار الزمان، المدينة المنورة، 1429هـــ.
37) **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، لأبـــي مـــحمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437ه)،
تحقيق: أ.د. أحمد فرحات، دار عمار، الأردن، 1428ه.
38) **روضة التقرير في اختلاف القراءات بين الإرشاد والتيسير**، لأبي الحسن علي الديواني (ت743هـــ)،
تحقيق: محمد الخولي، دار العاصمة، الرياض، 1432هـــ.
39) **سفير العالمين في إيضاح وتحبير وتحرير سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين**،د. أشرف طلعت،
مكتبة الإمام البخاري، مصر، 2008م.
40) **السلاسل الذهبية بالأسانيد النشرية من شيوخي إلى الحضرة النبوية**، د. أيمن سويد،
دار نور المكتبات، جدة، 1428ه.
41) **السماع والقراءة والإجازة وأهميتها في العصور المتقدمة والمتأخرة**، محمد بن أحمد ححودالتمسماني،
مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين، 1434هـــ.
42) **شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري (ت 857ه)،
تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، 1424ه.
43) **شرح المقدمة الجزرية**،أ.د.غانم قدوري الحمد،
معهد الإمام الشاطبي، جدة، 1429ه.
44) **الطرازات المعلمة في شرح المقدمة**، لعبد الدائم بن علي الحديدي الأزهري (ت870هـــ)،
تحقيق: د. نزار خورشيد عقراوي، دار عمار، الأردن، 1424هـــ.
45) **طيبة النشر في القراءات العشر**،لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
تحقيق: محمد الزعبي، دار الغوثاني، دمشق، 1427ه.
46) **العنوان الصحيح للكتاب**، د. الشريف حاتم العوني،
دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 1419هـــ.
47) **العنـــوان في القـــراءات السبع**، لأبي الطـــاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري (ت455ه)،
تحقيق: د.زهير زاهد، و د.خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، 1405ه.

48) **غاية النهاية في طبقات القراء**، لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1351ه.
49) **الفتح المواهبي في ترجمة الإمام الشاطبي**، لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت923ه)،
تحقيق: إبراهيم الجرمي، دار الفتح، عمَّان، (ط:1)، 1421ه.
50) **فتح الوصـــيد في شرح القصيد**، لأبي الـــحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت643ه)،
تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، 1426ه.
51) **فتنة الأسانيد والإجازات القرآنية**، السيد أحمد عبد الرحيم السيد،
دار الصحابة للتراث بطنطا، 1432هـــ.
52) **فضائل القرآن**، لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري (ت432ه)،
تحقيق: د. أحمد السلوم، دار ابن حزم، بيروت، 1427ه.
53) **الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي المخطوط، (مخطوطات القراءات)**،
بإشراف: د. ناصر الدين الأسد، المجمع الملكي للبحوث الإسلامية، الأردن، 1415ه.
54) **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الأسد الوطنية، الجزء الثالث، القراءات القرآنية**،
منشورات مكتبة الأسد، دمشق، سوريا، 1995م.
55) **فهرسة المنتوري**، لأبي عـــبد الله محـــمد بن عبد الـــملك المنتوري القيسي (ت834ه)،
تحقـــيق: د. مـــحمد بنشـــريفة، الرابطة الـــمحمدية للعلماء، الـــمغرب، 1432ه.
56) **الفوائد المجمعة في زوائد الكتب الأربعة**،لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
تحقيق: جمال الشايب، مكتبة الإيمان، مصر، 1428ه.
57) **فوائد ولطائف القراء من كتاب غاية النهاية**، إبراهيم الجرمي،
دار عمار، الأردن، 1421هـــ.
58) **في تحقيق النص**،أ.د/ بشار عواد معروف،
دار الغرب الإسلامي، تونس، 2004م.
59) **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت465ه)،
تحقيق: جمال رفاعي الشايب، مؤسسة سما، مصر، 1428ه.
60) **كتاب البديع في معرفة ما رُسِمَفي مصحف عثمان رضي الله عنه**، لابن معاذ الجهني الأندلسي (ت442هـــ)،
تحقيق: أ.د.غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، عام 1421هـــ.
61) تحقيق أ.د. سعود بن عبد الله الفنيسان، دار إشبيليا، الرياض، 1419هـــ.
62) **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، لأبي العباس القسطلاني (ت923هـــ)،
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، 1432هـــ.
63) **مختصر التبيين لهجاء التنزيل**، لأبي داود سليمان بن نجاح (ت496هـــ)،
تحقيق د. أحمد شرشال الجزائري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، 1423هـــ.
64) **مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار**، لأبي عمرو الداني (ت444هـــ)،
تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـــ.
65) **معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم**، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط،

دار العقبة، قيصري، تركيا.
66) **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748ه)،
تحقيق: الدكتور طيار: آلتىقولاج، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، استانبول، 1416ه.
67) **مفردة يعقوب**، لابن شريح الرعيني (ت476هـ)،
تحقيق: د. مهدي لوناس دهيم الجزائري، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1431هـ.
68) **مقدمات السيد أحمد صقر**،
جمع: أحمد الحازمي، دار التوحيد للنشر، الرياض، 1430هـ.
69) **المقدمة فيما يجب على قارئه أن يعلمه (المقدمة الجزرية)**، لأبي الخير محمد ابن الجزري (ت833هـ)،
تحقيق: د.أيمن رشدي سويد، دار المنهاج، بيروت، 1426هـ.
70) تحقيق: الشيخ محمد تميم الزعبي، دار الهدى، المدينة المنورة، 1429هـ.
71) **من ذخائر التراث**،
جمع: د. علي حسين البواب، دار كنوز إشبيليا، الرياض، 1428هـ.
72) **المنح الفكرية على متن الجزرية**، للملا علي بن سلطان القاري (ت1016هـ)،
تحقيق: عبد القوي عبد المجيد، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1419هـ.
73) **منهج البحث وتحقيق النصوص**، د. يحيى وهيب الجبوري،
دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.
74) **النشر في القراءات العشر**،لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت833ه)،
إشراف: العلامة علي محمد الضبَّاع، دار الكتاب العربي.
75) **وجه التهاني إلى منظومات الديواني**،
جمع: د. ياسر المزروعي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1429هـ.
76) **الوسيلة إلى كشف العقيلة**، لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت643ه)،
تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، 1426ه.
77) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681ه)،
تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ظاهرة الجريمة وعلاقتها بالتحولات الحاصلة في المجتمع الجزائري

د.جهاد الغرام جامعة المدية

الملخص :

عرفت المجتمعات البشرية الجريمة مند أقدم العصور بوصفها من اخطر الظواهر الاجتماعية في كل المجتمعات البشرية وينظر للمجرمين على أنهم فئة مرفوضة اجتماعية لسبب ما تلحقه جرائم بالمجتمع من أضرار تطال أمنه واستقراره.و للحالة الاجتماعية أهمية كبرى في إحداث الجريمة بدليل أن السلوك الإجرامي يتزايد في المدن الصناعية عنه في الأرياف،كما أن كثرة السكان بمجتمع ما قد تدفع الإفراد لممارسة السلوك الإجرامي لكسب العيش بالسبل السهلة والفرد في المدينة الكبيرة ، أما في الريف فان الشخص الريفي تربطه علاقات اجتماعية وطيدة، والمجتمع الجزائري شهد تغيرات وأحداث مهمة كغيرة من المجتمعات إذ انه تعرض في العصر الحديث للعديد من الظروف والتحولات أهمها العشرية السوداء أواخر التسعينيات كما عاصر فترة استعمارية طويلة نتج عنها ما نتج من أضرار اقتصادية واجتماعية وسياسية سنحاول من خلال هذه الدراسة ربطها بظاهرة الجريمة.

abstract:

The social situation of great importance in bringing crime with evidence that criminal conduct is increasing in the industrial cities than in rural areas , and the large number of people a community may push individuals to exercise criminal behavior to earn a living in ways easy and the individual in the big city , but in the countryside , the person is rural with close social relationships , the Algerian society has witnessed changes and important events Like the other communities , as he had been in the modern era for many conditions and shifts the most important terrorism late nineties as a contemporary period of colonial long resulted in what resulted from the severe economic, social and political will try through this study linked to the crime .

مقدمة

إن الجريمة من الناحية الاجتماعية يعتبر حكما قيميا،تصوره الجماعة على بعض تصرفات أفرادها سواء عاقب القانون على هده التصرفات أملا،ولذلك فانه لابد فى عملية التفريق بين السلوك السوي والسلوك الإجرامي الانحرافي في الاستناد إلى معايير وقيم اجتماعية معينة من خلال دراسة التحولات الحاصلة بالمجتمع الذي يعتبر الأساس الذي يجب الاستناد إليه للتفرقة بين الفعل السوي والفعل المنحرف أو غير السوي ،فالجريمة من الناحية الاجتماعية تمثل تعارضا بين السلوك الاجتماعي وسلوك الفرد، فان المتتبع للمجتمع الجزائري بعد الاستقلال يلاحظ ان السمة التي تميز بها هي التغيرات و التحولات الكبيرة في جميع المجالات، الاقتصادية منها و الاجتماعية و السياسية و الثقافية و التربوية، و ذلك لما أفرزته من أنماط أخلاقية في السلوك الاجتماعي للإفراد و المتمثلة في العادات و التقاليد و الاتجاهات و القيم ، حيث لم تتمكن هذه المخططات التنموية من ترسيخ الكثير من القيم و السلوكات النابعة من ثقافة المجتمع وخصوصيته أو تجعلها مقياسا لكل ما يعمل على بلوغه من تقدم علمي و رقي ، حيث يلاحظ تباين واختلاف هذه الأنماط السلوكية بين المجتمع حتى في الفرد نفسه و ذلك تبعا لضعف عملية التفاعل بين المجتمع و الأنماط السلوكية في حد ذاتها، و عليه يستطيع المتفحص لواقعنا الاجتماعي في الوقت الراهن ان يحصى العديد من مظاهر الانحراف، و في كثرتها تنبئ بوضع اجتماعي غير مرغوب فيه.

إن ظهور الجريمة في المجتمع الجزائري المعاصر وتطورها بهذا الشكل مرتبط أساس والواقع الاجتماعي الباني والنظام الاجتماعي المبني على هذا النظام الذي اختزل العديد من الإجابات والتي غالبا ما تكون مشروعة من قبل الكتل الاجتماعية الأكثر هشاشة والتي لم تملك الإجابات لهذه التساؤلات في غالب الأحيان فتنشأ مثل هذه الأفعال الإجرامية والتي غالبا ما تتطور بشكل رهيب فما هي معوقات التنظيم الاجتماعي المبني المؤسس للفعل الإجرامي ؟ و ما هي علاقة التحولات الحاصلة في المجتمع الجزائري بظاهرة الجريمة؟

اولا :الجريمة

الجريمة ظاهرة اجتماعية سلبية تعبر عن خلل وارتباك وبعثرة العلاقات الاجتماعية وبالسلوك الاجتماعي وتجسد طبيعة التناقضات في المتغيرات الموضوعية والذاتية المؤثرة في بيئة الإنسان وحياته الاجتماعية وتشخص ماهية المشكلات الإنسانية التي يعاني منهما الفرد والجماعة على حد سواء[1]، فالجريمة من الناحية القانونية: هي كل عمل مخالف لأحكام قانون العقوبات، فهي عمل لا أخلاقي تنفر منه النفوس[2].

ومن جهة النظر النفسية فهي سلوك متعمد وغير مشروع يصدر عن مصادر نفسية وهي الكبت والاضطراب الداخلي لإشباع احتياجات تدفع الفاعل نحو السلوك المنحرف وتماديه في ارتكاب الجريمة.

أما من وجهة النظر الاجتماعية فقد برزت اتجاهات عديدة فالأول يرى ان الجريمة هي جمع أنماط السلوك المضاد للمجتمع أي الضرر بالمصلحة الاجتماعية، أما الثاني فيركز على الضبط الاجتماعي وما

يتضمنه من معايير تحكم السلوك، أما الثالث فيتمثل في محاولة إيجاد صياغة تعريف الجريمة ويشمل جمع الأفعال الإجرامية والأفعال الخارجة عن المعايير الاجتماعية التي تخضع للعقاب[3].

أما من وجهة نظر العلماء فلهم تعاريف أخرى فعالم الاجتماع الفرنسي (إميل دور كهاريم) يعرف الجريمة على أنها ظاهرة طبيعية تمثل الضريبة التي يدفعها المجتمع ويتحمل الفرد آثارها.

ويعتقد (سذرلاند) ان الجريمة سلوك تحرمه الدولة لضرره بها ويمكن ان ترد عليه بعقوبة، أما العالم (وليم بونجيه) فيرى ان الجريمة هي فعل يقترف داخل جماعة من الناس تشكل وحدة اجتماعية وتضر بمصلحة المجتمع ويعاقب عليه بعقوبة اشد قسوة من مجرد رفضها القانوني[4].

أما العالم (تارد) فيقول عن الجريمة أنها تتكون من الظواهر الاجتماعية الأخرى وتتأصل في المجتمع عن طريق (التقليد والمحاكاة) فلهذين العاملين أهمية كبرى في المجتمعات من حيث ممارسة العادات والتقاليد عن طريق عاملين (التقليد والمحاكاة).

عرف العالم (كارفو) الجريمة على أنها: عمل ضار وبذات الوقت يجرح المشاعر التي اتفق على تسميتها بالمشاعر الأدبية لجموع الناس[5].

ولكي تأخذ الجريمة الصفة الإجرامية فلابد هنا أن تتضمن بعض الخصائص التي توضحها عن المشكلات الاجتماعية الأخرى ومن هذه الخصائص انه يجب ان يحدث سلوك الجريمة أو السلوك المرتكب ضرر للصالح العام وبصورة فعلية لكن التفكير في ارتكاب الضرر لا يكفي وحده لأنه يشكل جريمة فالنية في ارتكاب الجريمة والتفكير بها عن دون ارتكاب الفعل الحقيقي لا يؤخذ به قانونياً، أما الخاصية الثانية فهي يجب ان يكون هذا الضرر محرماً قانونياً ومعرفاً في قانون العقوبات ووجوب توافر القصد الجنائي أي الشخص الذي يرتكب الفعل الضار حرمه القانون وهو ممتلك حرية الإرادة.

ومن الاتجاهات التي فسرت الجريمة هو الاتجاه النفسي الذي كان يمتاز بمدخل فردي، أي تأكيده على نوازع الفرد وميوله وتكوينه النفسي من دون ان يراعي الظروف الاجتماعية، إضافة إلى ان الكثير من الأفعال النفسية التي تعد منحرفة من الوجهة السيكولوجية قد لا تمثل الجريمة بحد ذاتها ، فان الجريمة بالمعنى النفسي هي أي فعل أو سلوك يمثل انتهاكا خطيرا لقواعد السلوك الاجتماعي المعبر عنه بالقانون الجنائي والتي تحدد لها الشرع عقاباً يتناسب مع خطورتها، وان التعريف الإجرائي والذي يتناسب مع الدراسة هي أنها " أي فعل أو أي حدث يرتكبه الفرد ويتعارض مع ما يسود المجتمع من قوانين وأعراف وقيم التي تحدث التغيرات في المجتمع ومؤسساته المختلفة التي تؤدي إلى ظهور العديد من المشكلات والجريمة هي إحدى هذه المشكلات"[6].

وهناك عدة مدارس تناولت موضوع الجريمة كلا حالته حسب اختصاصها وحسب مفاهيمها، فمن هذه المدارس هي: المدرسة الاجتماعية، النفسية، القانونية، الجغرافية وغيرها من المدارس التي تناولت هذا الموضوع ، و قد تطرقنا هنا إلى واحدة من اهم هذه المدارس و هي المدرسة الاجتماعية التي تعتبر من أهم المدارس التي أكدت على أهمية العوامل الاجتماعية ونادت بان المجرم هو نتاج وحصيلة المجتمع.

ثانيا :السلوك الإجرامي

هناك العديد من النظريات التي تناولت تفسير السلوك الإجرامي المعقد والحقيقة تشير أن غالبية علماء الإجرام لا ينكرون ان علم الإجرام لا زال قاصراً عن تقديم نظرية علمية كاملة في مجال السياسة وظل مطلب السياسة شغل العلماء الشاغل، وما زال علماء الجريمة المعاصرون يحاولون العثور على تفسير نظري كامل لسبب السلوك الإجرامي.

السلوك الإجرامي هو سلوك بشري يشترك مع السلوك الغير إجرامي في كثير من الأشياء وعلى هذا فيجب ان يفسر ضمن الإطار العام الذي يستخدم في تفسير السلوك البشري العام، فقد ظهر كثير من الالتباس فيما يخص السلوك الإجرامي ويرجع ذلك إلى فشل الباحثين بتعريف وتحديد وضبط مستويات أو درجات التفسير، وهنا يشمل هذا التحليل انه يمكن نقد علماء الإجرام في تفسير السلوك الإجرامي في مستوى من مستوياته بعيدا عن سبب حدوثه فالفقر مثلا ظرف من الظروف التي تساعد على تطور السلوك الإجرامي بسرعة ولكن ذلك درجة من درجات التفسير المتعلق في تطور السلوك الإجرامي ولكنه ليس العامل المسبب لحدوث السلوك الإجرامي، فمن المستطاع وضع نظرية اجتماعية للسلوك الإجرامي من وجهة نظر الجماعة المحلية المجتمع أو أي جماعة أخرى[7].

فنتيجة للبحوث والدراسات العلمية الخاصة بالجريمة والمجرمين والتي استندت على السلوك الإجرامي فقد توصل العلماء في بحوثهم في هذا المجال إلى ان هناك عوامل عديدة لها دور في إحداث السلوك الإجرامي سوف نتطرق في هذا المجال إلى ثلاثة من هذه العوامل:

1. دور التربية والتعليم في السلوك الإجرامي (التحصيل العلمي): لا تنحصر الجرائم التي يعاقب عليها قانون العقوبات بالأفراد الذين تكون مستوياتهم الثقافية والعلمية متدنية ومنخفضة بل تتجاوز هؤلاء إلى المثقفين والمؤهلين ثقافياً وعلمياً، والجرائم التي يرتكبها المعنيون والمثقفون تسمى بجرائم (ذوي الياقات البيض) التي لا تظهر في كل مكان، حيث تعتبر من اشد الجرائم وأخطرها وتعتبر اخطر من الجرائم الاعتيادية، التي يعاقب عليها القانون لأنها ترتكب بطريقة ذكية ومدروسة وتجلب الضرر لعدد كبير من المواطنين وتعرض سلامة وامن المجتمع للخطر وتزعزع ثقة المواطنين بأصحاب الوظائف والمهن.
2. دور العوامل الاقتصادية في السلوك الإجرامي: تعتبر العوامل الاقتصادية من أهم العوامل المسؤولة عن السلوك الإجرامي في المجتمع ذلك ان ظاهرة الجريمة لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن الظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع فالجرائم ما هي إلا ردود فعل للأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الأفراد والجماعات، وكما ان دور الجريمة تزداد في فترات الهبوط والكساد الاقتصادي وفي فترات التحولات الاقتصادية السريعة التي يشهدها المجتمع[8].
3. دور التحضر والتصنيع في السلوك الإجرامي: حيث تكثر الجرائم في البيئات الحضرية والصناعية وتقل أو تنعدم في البيئات الريفية والقروية، نظرا لتعقد الحياة في المجتمع الحضري والصناعي وبساطتها في المجتمع الريفي والقروي، لهذا يعتقد الإجرام بان الوسط الاجتماعي المعقد والمركب

كالوسط الصناعي مثلا الذي يعتبر سببا من أسباب الجريمة والجنوح، فالمجتمع الحضري الصناعي قد يخلق الشخصية الإجرامية ويوفر الظروف الموضوعية والذاتية التي تنمو وتترعرع فيها الشخصية الإجرامية ويعطي التفسيرات العلمية والمبررات العقلانية لظهور الجريمة وانتشارها وبلورتها في المجتمع الصناعي[9].

ثالثا: مفهوم الظاهرة الاجرامية من الناحية السوسيولوجية

يمكن القول بأن الجريمة من الناحية السيكولوجية سلوك إنساني شاذ يسبب القلق في المجتمع وقد اختلف العلماء بشأن المعنى الاجتماعي للظاهرة الإجرامية لذا أن بعض العلماء يرون أن هذا المعنى مؤسس على الأخلاق بينما يرى البعض الآخر أنه مؤسس على القيم الاجتماعية والقسم الذي يرى أن المعنى الاجتماعي للظاهرة الإجرامية مؤسس على الأخلاق انقسم على نفسه إلى قسمين :

الفريق الأول يرى أن العلاقة بين الجريمة والأخلاق إنما ترتبط بمخالفة بعض القواعد الأخلاقية .

بينما يرى الفريق الآخر أنه مرتبط بكافة القواعد الأخلاق ويتزعم الفريق الأول العالم الإيطالي جاروفالو (garo falo) ويقول:" إن الجريمة كل فعل أو امتناع تم اعتباره جريمة في كافة المجتمعات المتدينة" [31]

أما الفريق الثاني فقد ربط بين الجريمة ومخالفة كل قواعد الأخلاق ويتزعمه راد كيف براون (radecllif brown)و يقول: "إن الجريمة هي انتهاك العرف السائد مما يستوجب توقيع الجزاء على منتهكيه" [10].

إن الانحرافات تختلف من حيث درجة انتباه الناس لها في المجتمع فبعض الجرائم مثل الخطف وهتك العرض بالقوة والقتل والسرقة المسلحة تعتبر من الجرائم الواضحة التي تخلي شعورا قويا بعدم الرضا في المجتمع

رابعا : معوقات التنظيم الاجتماعي و دافع الإجرام

يحدد اغلب علماء الاجتماع أربعة معوقات جزئية للتنظيم الاجتماعي تؤدي الى زيادة و توسع ظاهرة الاجرام و هي:

1_صراع المصالح والقيم: الذي ينتج عن الاختلافات الحاصلة بين مصالح الجماعات الاجتماعية المتدحرجة على السلم الاجتماعي الذي تؤدي في بعض الأحيان إلى تصلدم فيمها ومصالحها الناتج عن طموحهم حول مستوى معيشهم الأمر الذي يبلور عندهم نوعا من المنافسة على السلم الاجتماعي .

2_صراع الالتزامات الأدوار والمكانات الاجتماعية : من الطبيعي أن يشغل الأفراد عدة مكانات إجتماعية ويمارسون عدة أدوار مكانية في وقت واحد مثال على ذلك فقد يشغل الفرد موقعا كأب ويمتلك عضوية في حزب سياسي ويشتغل نجارا ومشترك في نقابة مهنية حرفية وله عضوية فيها أي يشتغل عدة مكانات في وقت واحد وهذا يتطلب منه ممارسة عدة توقعات دورية خاصة بهذه المكانات التي يشغلها وإنه من

الطبيعي أن يحصل تقطعا في التزاماتها الأمر الذي يوصل شاغل هذه المواقع ويوصل ويمارس دورها إلى تقاطعات دورية تسبب له مؤثرات واضطرابات سلوكية واجتماعية.

3_تنشئة مغلوطة: تعني التنشئة إكتسابات مهارات ومعارف وقيم ومواقف واتجاهات تتطلبها الأدوار الاجتماعية لكي يتم إشغال مواقع إجتماعية يتطلبها البناء الاجتماعي من أفراده إلا أنه غالبا ما تحدث أغلاط في تطبيق هذه والمستلزمات المنشئة يقع لها أحد الأبوين أو كلاهما معا فيحصل انحرافا في أدائها أو تحدث تغيرات سريعة ومفاجئة لأحد المعايير أو أنماط النسق الاجتماعي الأمر الذي يؤدي إلى إرباك الوالدين لأدائهما الدوري في هذا الضرب من مسؤولية التنشئة أو يحصل عراك اجتماعي سريع لا يستطيع الأبوين مواكبته فيخفقا في أداء مهمة التنشئة فيقع الأبناء في تفكك تنشئي لا ذنب لهم فيه لأنهم لم ينشأ وعلى ما تم تغييره من قبل أبويهم أو معلميهم أو عملهم فيبقى كل واحد متمسكا ومتزمتا بدوره التقليدي على الرغم من التحولات الاجتماعية التي حصلت فيحصل تصادما بين كل واحد منهما مما يولد ذلك تفككا مهينا.

4_اتصالات اجتماعية مغلوطه:

قنوات اتصال الأفراد داخل النسق الاجتماعي أمر مهم خاصة داخل الجماعات المحلية لأن الفرد فيها لا يستطيع أن يمارس دوره فيها دون الاعتماد على اتصالاته مع الآخرين وطلب مساعداتهم في أدائها وهذا متطلب من الجميع كي ينشطوا مجتمعهم المحلي وليس لتعارض مصالح وقيم الأفراد دخل في هذه المغالطات الإتصالية [11].

خامسا: الفعل الإجرامي من منظور الحتمية الاجتماعية

ان النظام الاجتماعي المبني ممثل في غالب الأحيان بانحرافات سلوكية تحدده مجموعة من المؤشرات التي تدلنا على وجود مشكلات اجتماعية قائمة داخل المجتمع وتوضح أيضا بأنه هناك من أفراد ممن لا يتماثلون مع توقعات الدورية المرتبطة بمكانتهم الاجتماعية ، بتعبير أخر إنه مرتبط تقنيا بالدور والمكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد أكثر مما هو مرتبط بالمعايير الاجتماعية والآداب والقيم الاجتماعية العامة ، إذ لكل دور متطلباته الخاصة به، فإذا لم يلتزم الفرد بها ويؤديها حسب متطلباتها الاجتماعية تعد ذالك الفرد منحرفا عن دوره المناط له ما قبل مكانته الاجتماعية لذا فإن وسائل الضبط الاجتماعية تعمل على إعادة المنحرف سلوكيا عن دوره إلى مستلزمات دوره و الالتزام بها وأدائها والقيام بمتطلبات دوره المنسوب له و الذي ورثه اجتماعيا.

هذا الانحراف الأدائي للدور الاجتماعي للفرد لا تجعله تحت طائلة القانون الوضعي أو يحصل على عقوبة قانونية بل إن نظرة المجتمع لانحرافه لا تكون مستساغة أو محببة فالطبيب- على سبيل المثال- إذا تصرف تصرفا لا يليق بمهنته الإنسانية ولا يلتزم بمتطلبات دوره كطبيب أثناء عمله .يعني ذلك أنه انحرف عن مستلزمات دوره الأمر الذي يؤثر على مكانته كطبيب إذ تقل في نظر الناس مكانته لكنه لا يحصل عقوبة جزائية [12].

فبناءا على ما تم التطرق إليه حول التنظيم الاجتماعي المؤسس للفعل الإجرامي يمكن القول أنه مرتبط أساسا بالدرجة الأولى بالسلوكيات المنحرفة والتي غالبا ما ليحكمها القانون و يبقى البعد الثقافي الوحيد الذي يسعى إلى ضبط مثل هذه السلوكيات ، فإلى أي مدى يبقى السلوك الاجتماعي كفعل إجرامي ميكروسكوبي عامل يساهم في تطور الجريمة؟ و ما هي العناصر المرتبطة بهذا الفعل؟

يقول العلماء بالحتمية الثقافية، وذلك باعتبار أن الثقافة تؤدي إلى التغير الاجتماعي، فالمجتمع نتاجا أخرجته الثقافة المختلفة مثل العادات والتقاليد، والعرف ،النظم الاجتماعية، وكذلك العناصر الثقافية المادية ،إن الثقافة تتغير عن طريق تجمع العناصر أو المكونات وقد تفتقد العناصر الثقافية القديمة أثناء عملية التغير وقد تستمر العناصر القديمة ويعيش جنبا إلى جنب بصورة تختلف أو تتغير فيها أنماط السيادة أو التساند لكل منها .

إن الفعل الإجرامي في معظم الأحيان بالثقافة التي تأتي خارج المجتمع كما في عملية الاحتكاك و الاتصال المباشر بالثقافات والمجتمعات الأخرى،فوسائل الإعلام المختلفة من مذياع و تلفزيون وصحافة و بينما لها تأثير في التغير الاجتماعي ، فالطراز العربي كان هو السمة في منشأتها الدينية والسكنية، و إزاء الاتصالات الفكرية والثقافية أصبح طرازنا السكني أوربيا أو أوربيا شرقيا، كذلك في فنوننا من غناء وموسيقى وفنون تشكيلية من تصوير ونحت وزخرفة إذ أصبحت هي الأخرى شرقية أو أروبية بعد أن كانت شرقية خالصة[13].

سادسا: الفعل الإجرامي من منظور التغيير الاجتماعي

إن التغير الاجتماعي المرتبط أساسا بثقافة المجتمع يعتبر غاية في التعقيد لأنه مرتبط بالجانب التفاعلي ما بين الأعضاء في جميع البنيات الاجتماعية ، وإن أي فهم للفعل الإجرامي على مستوى هذه البنيات يقتضي فهم الجوانب الخفية المحركة للفعل الإجرامي في بعده الميكروسكوبي على مستوى هذه البنيات الاجتماعية ، إلى أي مدى يمكن أن تكون السوسيولوجيا عاملا يسهم في الحد من خطورة هذه الأفعال الإجرامية الخالصة ،لذا تعارفنا بأن الفعل الإجرامي فعلا موجود على مستوى جميع البنيات و لا يعترف باللون، الإقليم والجغرافيا بناءا على المعطيات الموجودة على مستوى ميدان هذه البنيات ، وذلك باتساقها للفعل الإجرامي بتقديم التحليل والنقد الموضوعي كظاهرة اجتماعية ويتجاوز النظرة التي تكتفي بتقديم تبريرات لهذا الفعل خارج إطار النظرة التي تدعى الحتمية الاجتماعية للفعل الإجرامي؟-

-الفعل الإجرامي من منظور الحتمية الاجتماعية: يقول أصحاب هذا الاتجاه أن التغير الاجتماعي يحدث نتيجة التعديل الذي يقع في العائلة و الجماعات الإنسانية ، حيث تؤدي التغيرات التي تحدث للجماعات إلى تغيرات في السلوك المتوقع والنماذج الاجتماعية السائدة بما تجربه من قواعد ومقاييس ، وهناك أربعة نماذج من التغيرات الاجتماعية تؤدي إلى تغير اجتماعي وهي :

-التغير في كثافة السكان .

-التعديلات التي تحدث في التكوين الجنسي أو العمري.

-التغيرات التي تحدث في عدد وأنواع وحدات الجماعات.

-ظهور نماذج جديدة من الجماعات أو اختفاء نماذج قديمة.

وتؤدي هذه التغيرات التي تحدث في الجماعات إلى تغيرات اجتماعية توافقية، عن طريق تغير الحاجات الجماعية التي كان السلوك الجماعي يقوم بها، ذلك أن حاجات الأسرة الحضرية الصغيرة أو المنعزلة تختلف أساسا عن حاجات الأسرة الريفية الكبيرة المتكيفة بذاتها، كذلك فإن الأسرة الريفية الكبيرة يمكن أن تقوم بعدة وظائف تعجز عنها الأسرة الحضارية، يضاف إلى ذلك تغيرات التوقعات الاجتماعية بتغير عدد و نموذج وحجم وتعقد البناء الاجتماعي.

واعتبر البعض الأخر أن الثورات و الحروب التي يخوضها أو يتعرض لها المجتمع من العوامل التي تعجل بحدوث التغير الاجتماعي، وذلك لما يترتب عنها من تغير اجتماعي سريع في كل الأوضاع والنظم الاجتماعية السائدة.

ونظر البض إلى الصراع باعتباره عملية اجتماعية تلعب دورا بارزا في إحداث التغير الاجتماعي ، وقد أدى الصراع إلى خلق وحدات اجتماعية كبرى ، وفي تأكيد أو تدعيم التدرج الاجتماعي، وقد أثر الصراع الدولي في العصر الحديث تأثيرا عميقا في البناء الاقتصادي والسياسي للمجتمعات ، و في السياسات الاجتماعية ومعايير السلوك[14].

إن الحتمية الاجتماعية تفرض على المجتمعات التغير على جميع المستويات حتى وإن كان هذا التغير قاسيا نوعا ما نتيجة المخرجات المرتبطة به في الكثير من الأحيان، ولكن قد نستبق المخرجات المخرجات غير المرغوب فيها وذلك بان لا نجعل من التغير الاجتماعي على مستوى البنيات خاضع لمنطق العشوائية والمصادفة في التعامل معه وذلك بدراسته وفق معايير موضوعية وخطة إستراتيجية تجعل من مخرجات الفعل الاجتماعي عقلانيا يعمل على تحقيق وإشباع جميع الحاجات خاصة الاقتصادية و الاجتماعية منها، وبذلك تكون مختلف اهتمامات وتساؤلات وتطلعات الكتل الاجتماعية على مستوى النظام الاجتماعي محملة بإجابات على مستوى الواقع، وبذلك نكون قد ساهمنا في الحد من مختلف الظواهر الاجتماعية الممثلة في الفعل الإجرامي عند بدايتها.

سابعا: مظاهر التحول الاجتماعي في الجزائر و علاقته بظاهرة الجريمة

إن الجزائر كغيرها من المجتمعات النامية ارتقت مدارج لا بأس بها في سلم النمو خصوصا بعد العشرية السوداء وذلك بمثابرة حكوماتها على العمل على رفع مستوى رفاهية وكفاية شعوبها من خلال ما تنفذه من خطط لإنعاش اقتصادها و القضاء على الجريمة بكل أشكالها، وتندرج هذه الجهود تحت مسمى التغيير المقصود أو المخطط جراء من شهدته الجزائر من تحولات تمثلت في جوانب مهمة من بينها:

1- تكنولوجيات الاتصال بأنواعها المختلفة

جعلت تكنولوجيات الاتصال الجزائر مفتوحة بمصرعيها على العالم بأسره، هذا الانفتاح حتما أدى إلى نتائج إيجابية على مستوى نمو الوعي و التفكير و إدراك قيمة العلم بصفة عامة، إلا أن هذا التغيير أو

التحديث الغير مخطط بما فيه الكفاية و الغير مكيف مع مجتمع عانى من ويلات الاستعمار أكثر من قرن ونصف ولا يزال يتكبد و يدفع ثمن تلك المأساة الإنسانية من أمية وفقر ويُتم ، كان وللأسف مفروضا علينا، سلعة مجبرين على اقتناءها، و كانت سرعته فوق مقدرة الفرد الجزائري على مسايرته و تحقيق التكيف الملائم مع بيئة هجينة، أصبحت غريبة عنه، بدى ذلك في كل العلاقات الاجتماعية دون استثناء، فعلى سبيل المثال لا الحصر أصبح خروج المرأة إلى العمل مقتضى العادي عند العامة من الناس، في حين كان هذا الأمر ولوهلة زمنية ماضية وبسيطة غير مسموح به إطلاقا، وكذلك أمور كثيرة لا يمكننا حصرها إلا في قول :"أصبح المقبول و المشروع رمزا للتخلف والتعصب وحتى الخرافة، في حين أصبح يُرَى لبعض المنبوذ واللامشروع وحتى المحرم على أنه تحررا من قيود لطالما قيدت الإنسانية، وبين ذلك وذاك، وقف الفرد الجزائري حائرا أمام الذي يراه في نظره ضالة عن الطريق القويم أم يُعارِضْ ويُوْصَفْ بصفات تحرمه بلوغ حاجته الفطرية الملحة للانتماء لهم.

هذا الصراع أدى إلى تدبدب واضح في قيم الفرد الجزائري، و أدخل الجزائر برمتها في دوامة من المشاكل الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، بدى ذلك واضحا في تفاقم المشكلات الاجتماعية و انتشار الظاهرة الإجرامية ،ومشاكل أخرى كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها.

لقد أحدثت وسائل الاتصال المتقدمة ما يمكن أن نسميه بالصدمة الحضارية في العديد من المجتمعات ويبدو أن هذه المجتمعات خصوصا في الدول النامية وفي المجتمعات المحافظة بما فيها مجتمعنا قد باتت تخشى آثار هذا الاحتكاك الكبير بالثقافات الغربية عنها للدرجة التي دفعت بالكثيرين إلى المناداة بالعودة إلى الماضي، والتمسك بثقافة السلف ونبذ كل المستحدثات أو الأفكار الجديدة، وفي هذا السعي لأخذ بما ينفعنا من المستحدثات والتكنولوجيات الجديدة عبورا إلى العصرية مع الاحتفاظ بجوهر أصالتنا الحضارية وفي إطار قيمنا الدينية والأخلاقية، وهذا لن يتأتى إلا من خلال الدراسة العلمية الشاملة للقيم والاتجاهات والمعايير السائدة ودراسة العوامل المؤثرة فيها وتقييمها تمهيداً لتقويمها وتغييرها في ضوء ما هو مرغوب فيه عن طريق الأجهزة التربوية والإعلامية وذلك لبلوغ تحقيق التكامل بين عنصري الثقافة : العنصر المادي الذي يشمل وسائل الإنتاج والتكنولوجيا والعنصر المعنوي الذي يشمل النظم الدينية والسياسية والاقتصادية والأفكار والمعايير والقيم الأخلاقية[15].

2- واقع ظاهرة الفقر في المجتمع الجزائري

يعتبر الفقر من أبرز المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تهدد استقرار الجزائر، وقد ساهم تنفيذ الإصلاحات الاقتصادية في الثمانينات وبرامج التعديل الهيكلي في التسعينات في تفاقم ظاهرة الفقر وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للفئات الضعيفة في ظل التحول من نظام اشتراكي اقتصادي إلى نظام تحكمه قواعد السوق ويضبطه قانون المنافسة مع وجود جهاز إنتاجي ضعيف أثر سلبا على مستوى معيشة المواطن ومن خلال الإصلاحات الاقتصادية المتخذة في الجزائر نجد إعادة الهيكلة التي

تعمد على استخدام الأساليب الإنتاجية كثيفة رأس المال مما أثر سلبا على مستوى التشغيل بالإضافة إلى اعتماد إجراء التصفية للمؤسسات المفلسة ومع تخفيض الدينار الجزائري ، وتحديد الأسعار ورفع الدعم عن السلع الأساسية لسنة 1992 أدى إلى تخفيض القدرة الشرائية وتدهور مستوى المعيشة للأفراد لذلك نجد حوالي 14 مليون جزائري في حاجة إلى مساعدة اجتماعية، و 1.9مليون جزائري محتاجون منهم 370 فقط يستفيدون من الحماية الاجتماعية بالإضافة إلى 169 ألف بيت قصديري على كامل التراب الوطني خاصة بالمدن الكبرى و136 ألف بيت غير صالح للسكن، جلها مهددة بالانهيار ومع ذلك تقطنه عائلات[16].

أصبح من المعترف به لدى الجميع اليوم ،أن المشكلات الفقر لبلد ما من البلدان تؤثر وتشارك في زيادة او التقليل من الظاهرة الإجرامية ، ولابد هنا من أخذ مفهوم الفقر في علاقته بالسلوك الاجتماعي، فإن العمل على القضاء عليها هو من العوامل الأساسية للتقدم الايجابي للبناء الاجتماعي، لهذا قد أخذت مسألة الفقر حجما واسعا في المجتمع الجزائري ما يعتبر عاملا مساعدا في انتشار الظاهرة الاجرامية ، وليس من قبيل الصدفة أن نلاحظ العلاقة الجدلية بين الجوع والأمية والتخلف الاقتصادي.

3- ظاهرة البطالة

بالرغم من جميع المجهودات التي قامت بها الدولة الجزائرية من أجل خلق مناصب عمل إلا أنها لا زالت تعاني من مشكل البطالة الذي يعتبر بابا للانحراف والجريمة ويمكن ربط مشكل البطالة في الجزائر الذي عرفته في الستينات والسبعينات بالسياسة الاقتصادية 1966-1977 والتي أعطتا الأولوية للصناعة الثقيلة قبل الفلاحة وبالتالي فلم تكن مناصب العمل كافية لتغطية حاجات السكان التي سنويا التي ترتفع بنسبة 3.2% سنويا ،و من المشاكل الرئيسية في الجزائر المعاصرة مشكل الشباب وخاصة الذين تتراوح أعمارهم بين 14-17 سنة لم يستطيعوا إيجاد عمل سوى الذهاب إلى الخدمة الوطنية أسباب هذا المشكل معروفة جدا فالنظام التربوي والمهني لا يستوعب الزيادة المرتفعة للسكان، وزيادة على ذلك فإن البطالة المقنعة كانت منتشرة وسط سكان الريف حيث أن أكثر من 72%من الريفيين كانو يملكون 22 %فقط من الأراضي ، أما معدلات البطالة بين الشباب الخريجين نسبة إلى القوى العاملة الشابة(فئة العمر من15-24)،فقد تجاوزت40 % في كل من تونس والمغرب والجزائر.،وتُشير بيانات منظمة العمل العربية إلى أن ظاهرة بطالة حملة الشهادات التعليمية قد استفحلت في العديد من الدول العربية،حيث بلغت معدلات بطالة هذه الفئة إلى معدلات بطالة الأميين،ثلاثة أضعاف في الجزائر. وهذا إن دل على شيء إنما يدل أن معدلات البطالة في أوساط الشرائح الشابة من المجتمع مرتفعة ،وتتجاوز المقاييس والمعدلات العالمية، ولاشك أن تفاقم هذه الظاهرة في المجتمع يُفرز جملة من الآثار والانعكاسات الاجتماعية.فهي قد تؤدي تدريجيا إلى سلسلة من الحالات المختلفة للظاهرة الإجرامية، فهي تعمل على تفكيك النسيج الاجتماعي،وإضعاف العلاقة بين الأفراد والمجتمع،حيث تجد فئة من المجتمع نفسها ملقاة على هامش المجتمع ولا تتمتع بنفس الامتيازات التي تكتسبها فئات أخرى،فانقسام المجتمع إلى طبقتين، طبقة مستقرة

في عمل ثابت وأخرى محرومة من هذا النوع من العمل يؤدي إلى تلاشي التماسك الاجتماعي والشعور بالنقص و زيادة بمعدلات الجريمة بشتى انواعها.

4- مظاهر التمايز الاجتماعي

على الرغم من أن الوضعية المالية للدولة الجزائرية مريحة في السنوات الأخيرة ،حيث شهدت أسعار البترول ارتفاعات متواترة،إلا أن جيوب الفقر ما فتئت تتنامى في المجتمع،فالرخاء المالي لم يتجسد ميدانيا،ولم تلمس العديد من الفئات في المجتمع الجزائري مثل هذا التحسن على مستوى الجبهة الاجتماعية،و هو ما يعمق من حدة الفوارق الاجتماعية على الرغم من أن الجزائر سجلت خلال السنوات الأربع الماضية أعلى مدا خيل لها،تراوحت بين 18 و31 مليار دولار، ومع ذلك تبقى الزيادات الطفيفة المسجلة في كتلة الأجور بعيدة عن الوفاء باحتياجات المواطن الجزائري البسيط الذي ما فتئ يستيقظ على وقع زيادات في أسعار المواد الاستهلاكية الضرورية،يحدث هذا في الوقت الذي تسجل فيه مدا خيل الدولة أرقام قياسية في الارتفاع لاسيما مع الطفرة التي شهدتها أسعار البترول،غير أن ذلك لم ينعكس على واقع معيشة المواطن الجزائري الذي لاتزال قدرته الشرائية ضعيف، بسبب البطء في التصرف،وتعقيد الإجراءات،وعدم الاكتراث بمصالح المجتمع والمواطنين،فالفساد و موروثات البيروقراطية يُساهم في تعطيل مشاريع النهضة الاقتصادية المنشودة، فالفساد يؤذي الفقراء بشكل غير مباشر لأنه يعرقل النمو الاقتصادي،ويكرس عدم المساواة،ويلحق الأذى بتوزيع الإنفاق العام،ومن خلال قنوات أخرى عديدة فإنه يقف عائقا أمام تخفيف حدة الفقروقد أظهرت الدراسات الأمبريقية أن الفقراء يدفعون نصيبا من دخولهم على الرشاوى أكثر من الأغنياء،ويعتمدون على الخدمات العامة أكثر من الأغنياء[17].

لا يخلو المجتمع الجزائري من تفشي مظاهر التمايز الاجتماعي الفاحش أحيانا،الذي ينعكس سلبا على التماسك الاجتماعي فهذه الازدواجية في المجتمع الجزائري تنمي الشعور باللامساواة عند الفئة المحرومة من العمل الثابت،كما أنها تؤدي إلى استقرار شعور بالانتماء في النسيج الاجتماعي والى زيادة ظاهرة الإقصاء والإفقار عند هذه الفئات والتي تؤدي حتما إلى تفاقم الهامشية أو أكثر إلى الجريمة بكل انواعها.

5 - مظاهر التغير الأسري

إن المجتمع البدوي والريفي في الجزائر .كما في معظم بلدان العالم في تراجع مستمر بينما المجتمع الحضري في نمو تزايد بسبب التحضر ،حيث بلغت نسبة التحضر في الجزائر 58.3 % عام 1997 بعدما كانت % 49.7سنة 1987هذا ما يعني أن السير السريع نحو تعميم نمط المعيشة الحضرية على السكان الجزائريين في غضون عشرية وعشريتين ،إن هذا الانتقال من الريف إلى المراكز الحضرية أعطيناها مصطلح الحضرية فهي تعني أسلوب أو نمط حياة يتميز بها سكان المدن وتفرضه الطبيعة الإيكولوجية والاجتماعية والثقافية ،إن الحضرية هي مظهر من مظاهر التغير الأسري للأسر المهاجرة من المناطق الريفية إلى المراكز الحضرية فالحضرية هي 'الحصيلة النهائية لعملية التحضر أي هي تلك التغيرات الاجتماعية المصاحبة للتحضر بسبب إقامة الأفراد في المدن بغض النظر عن كيفية الوصول أي ذلك بالميلاد أو بالهجرة"[18].

إن التغير الأسري الحاصل لا نقصد به ذلك التغير الكلي والراديكالي للأسر لأنه بسبب بسيط أن التغير الحاصل للأسر الجزائرية عامة سواء ريفية أو حضرية فيما يخص التوسع الإعلامي والتغير البشري في النموذج الأسري حيث "أن التغير الذي عرفه المجتمع الجزائري هو تغير شامل طال جميع البنيات الريفية والحضرية على حد سواء ويتجلى ذلك في الاختلافات البسيطة بين البيئتين "[19].

إن اعتبار المراكز الحضرية تنظيم مفتوح تخضع في تسييرها إلى قوانين وقواعد تنظيمية فإن الأفراد والجماعات الاجتماعية المتواجدة فيها ترسم في ضوء ذلك إستراتيجية تحقق من خلالها قدر من المنفعة والتكيف وإذا عدنا إلى البيئة الحضرية الجزائرية نجدها تتوفر على مجموعة من التناقضات التي تدفع الأسرة إلى التكيف معها . والمتمثلة في عجز الخدمات الحضرية نمط السكن الذي لا يتوافق مع الاحتياج وقلته هذا ما يبعث إلى خلق فضاءات عمرانية فوضوية جديدة من أجل الإيواء .وغالب ما يكون في الضواحي على أطراف التجمعات السكنية الجديدة . كل هذه الصعوبات تدفع إلى التمسك بالنسق الاجتماعي الأول التي تطبع صورتها على البناء الاجتماعي للحياة الحضرية . هذا يؤدي بنا إلى وضع فرض جديد وهو أنه ليس هناك فرق أو تباين بين الحياة الريفية والحضرية فيما يخص الذهنيات ، فالمجتمع الحضري مازال في حد ذاته يحمل بعض الخصائص المتعلقة بالمجتمع الريفي ،فالأسرة الحضرية تجمع بين الأنماط القديمة والجديدة ويبدوا هذا من خلال الأدوار والوظائف التي يؤديها الأفراد ، فتكثر مظاهر الجريمة والانحراف في البيئات الصناعية نتيجة استفحال المشكلات الاجتماعية في تلك البيئات. تتجسد المشكلات الاجتماعية في تلك البيئات أو المدن الصناعية في تفسخ العائلة والطلاق وجنوح الأحداث والأحياء المتخلفة والإدمان الكحولي والتفسخ الاجتماعي. هذه المشكلات تحرض الأفراد الذين يقعون في شباكها على ارتكاب أنواع الجرائم، فان كثرة العناصر السكانية والفئات الاثنولوجية القومية التي تتكون منهما المدينة الصناعية، ان المدينة الصناعية نتيجة لخاصيتها لأيدي العاملة تستقطب أنواع العناصر والفئات السكانية والأقليات الاثنولوجية والقوميات الأجنبية، هذه الكثرة التعددية تجعلان الأفراد والجماعات تنقسم على نفسها إذ تتضارب مصالحها وأهدافها، لذا فان إخفاق الفرد في تحقيق هدفه لا يتردد عن القيام بالسلوك الإجرامي ضد الآخرين انتقاما منهم[20] .

تزداد معدلات الجرائم في المجتمع الصناعي لان هذا المجتمع يوفر المناخ الايجابي للمجرمين المحترفين وللشلل والعصابات الإجرامية ويؤدي إلى ظهور الجرائم المنظمة ولاسيما الجرائم الاقتصادية وجرائم المهنيين التي ترتكب يوميا بحق القانطين من أبناء المدينة الصناعية. ان المدينة الصناعية يكثر فيها المجرمون ويتأثر الأشخاص الأسوياء عندما يكونوا على اتصال معهم وعندما يحتك السوي بالمجرم المحترف فانه سرعان ما يتأثر ويكتسب منه فنونه وخبراته وتجاربه الإجرامية ويأخذ منه أخلاقه وقيمه ومقاييسه المنحرفة ويتحلى بها حتى تصبح جزء لا يتجزا من ذاتيته الشخصية، وبعد وهلة من الزمن تسيطر القيم الإجرامية والمنحرفة على شخصية الفرد حتى تصبح قيما سوية عنده وهنا يبدأ الفرد بارتكاب

أنواع الجرائم والمخالفات بحق المجتمع معتقدا بأنها أعمال سوية لا خلل فيها، من مـــا ذكـــر نســـتنتج ان المدينة الصناعية هي بيئة ملائمة لظهور الجريمة وانتشارها[21] .

الخاتمة:

الجريمة ظاهرة اجتماعية وخلقية وسياسية واقتصادية قبل ان تكون حالة قانونية، وانطلاقاً من هـــذا المفهوم نرى أنها عبارة عن تعبير للموازنة بين صراع القيم الاجتماعية والضغوط المختلفـــة مـــن قبـــل المجتمع، و مما لا شك فيه أن الجريمة في الجزائر مهما اختلفت أسبابها و تنوعـــت أشـــكالها و تعـــددت خصائصها وعناصرها ، يمكن التنبؤ بها و بمخرجاتها على اعتبار انها مرتبط بالسلوك و ممثلة في أفعال أفراد المجتمع الجزائري ، و على هذا الأساس إذا أردنا الحد من خطورة هذه الظاهرة في مجتمعنا يجـــب التعامل عها بالموضوعية و العلمية اللازمة ، فعلى الباحثين و العلماء في شتى اليمدان عامـــة و ميـــدان علوم الاجتماع خاصة العمل على البحث في الحلول الناجعة بناء على المعطيات المتوفرة علـــى مســـتوى البناءات الاجتماعية خاصة الكبرى الغيـــر رســـمية تأخـــذ بعـــين الاعتبـــار الخصـــائص و العناصـــر الانتربولوجية الاجتماعية و خاصة البعد التاريخي في المجتمع الجزائري، بعبارة أخرى اذا ما أردنا الحـــد من الفعل الاجرامي و مختلف المسببات المحركة له و التي غالب مـــا يقودهـــا التحـــولات و التغيـــرات الخطيرة الغير مرغوب فيها علينا القيام بالدراسة والتحليل للواقع المعاش في الجزائـــر و أهـــم تحولاتـــه بمعطيات و إحصاءات دقيقة و واضحة للوصول الى نتائج سليمة يبنى على أساسها مجموعة من الحلـــول و الطرق للقضاء على سلبيات هذه الظاهرة التي أصبحت اليوم ظاهرة عالمية تحتاج من الجميع الدراســـة و المشاركة للحد من انتشارها و توسعها.

قائمة المراجع:

1. الحسن إحسان محمد، علم الإجرام، بغداد، مطبعة المعارف ، 2001، ص266.
2. عبد الجبار عريم، نظريات علم الإجرام، بغداد، مطبعة المعارف ، ط7، 1973، ، ص16.
3. السيد علي الشتا، علم الاجتماع الجنائي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1987،ص ص22-23.
4. السيد رمضان، الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ص152.
5. عبد الجبار عريم، ،مرجع سابق ، ص84.
6. المشهداني، فهيمة كريم، التصنيع والجريمة، ط1، بغداد، مطبعة المعارف، 2009، ص44.
7. الدوري عدنان، أصول علم الإجرام، أسباب الجريمة السلوك الإجرامي ، الكويت، مطبعة جامعة الكويت، 1976، ص11.
8. عبد الجبار عريم،،مرجع سابق ، ص ص240- 249.
9. الحسن إحسان محمد ،مرجع سابق ، ص ص193-214.
10. طارق السيد، الانحراف الاجتماعي الاسباب و المعالجة،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية، 2001،ص99-103
11. معن خليل العمر،التفكك الاجتماعي ،دار الشروق للنشر و التوزيع،عمان، ط1 ،2005،ص93-95-94
12. معن خليل العمر،علم المشكلات الاجتماعية،دار الشروق للنشر و التوزيع،عمان،ط1، 2008،ص173
13. حسين عبد الحميد احمد رشوان،التغير الاجتماعي و المجتمع ،المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية،2008،ص ص ،125-132
14. حسين عبد الحميد احمد رشوان،مرجع سابق،ص ص133-134.
15. معن خليل العمر، التغير الاجتماعي، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص 271.
16. عبد الرزاق الفارس، الفقر و توزيع الدخل في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى،2001، ص 21.
17. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التكافل الاجتماعي البيئي، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 49. 50.81.
18. محمد بومخلوف، نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته دراسة إحصائية و تحليل نظري ، الملتقى الثالث لعلم الاجتماع ، 2004 ، ص ص1-4.
19. حسين تومي : واقع الطلاق في ولايات الوطن ، الملتقى الثالث لعلم الاجتماع ، جامعة الجزائر ،2004.
20. محمد بومخلوف، التحضر، دار الامة، الجزائر ، 2000 ، ص28
21. السرقة عند الأحداث، دراسة تحليلية إحصائية، المركز القومي للبحوث والدراسات الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1959، نقلا عن سيتاكوس، حجم المشكلة جنوح الأحداث، المجلة الجنائية، العدد الثاني، المجلد الثامن، القاهرة، 1965، ص ص200 - 225.

منهجية تحقيق المخطوط " كنز الأسرار ولواقح الأفكار" لصاحبه أبي عبد الله محمّد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الهنائي البرنسي المعروف بالصنهاجي الزموري المتوفي سنة (795هـــــ – 1392م) بأزمور.

الدكتور بلقاسم الذوادي – جامعة برج بوعريريج

الملخص:

قال أبو حيان التوحيدي:"إنّ الكلام على الكلام صعب.....؛ لأنّ الكلام على الأمور المعتمدة فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متسع، والمجال فيهمختلف، فأمّا الكلام على الكلام فإنّه يدور على نفسه ويلتبس بعضه ببعض، ولهذا شقّ النحو. وما أشبه النحو من المنطق، وكذلك النثر والشعر وعلى ذلك "الامتناع والمؤانسة(131/2).

إنّ فهم كلام العلماء البارزين في ميدان العلم والأدب والدين صعب، وإنّ محاولة تحويل هذا الفهم الى نصّ أمر أشدّ صعوبةوبل شك فإنّ تكوين رأي أو بلورة فكرة حول أيّ عمل ابداعي يحتّم على المرء تكرار القراءة وإعادة النظر وإمعان البصر واستحضار الفكر، حتى يتسنّى لهمعرفة خصائص التجربة والحقول التي تتحرّك فيها الأفكار والمشاعر والأخيلة، ومعرفة الدّلالات التي تقصد إليها.فإذا تمّ له ذلك أتبعه بإجراء مقارنات مع تجارب أخرى لتبيّن له التّمايز أو الاجترار أو الاستنساخ ، ولا يخفى أنّ هذا النّهج شيء موضوعي وضروري، يدلّ دلالة ساطعة على جديّة صاحبه ومدى احترامه لعلم التّحقيق والتخريج وهذا بغية إخراج مؤلّف علمي –بالغ الأهمّية في تاريخ الثّقافة العربية – من براثن النّسيان وجور الأزمان ومرأى بعض الأعيان من بني الإنسان الى نور البيان وسلطان البرهان ووهج العرفان، إنّه:

" كنز الأسرار ولواقح الأفكار" لأبي عبد الله محمّد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الهنائي البرنسي الصنهاجي الزموري(725هـ - 730هـ) (1325م – 1330م) بأزمور.

مقدمة

من الوهلة الأولى يمكننا أن نقول أن المخطوط الذي بين أيدينا يحوي صعوبات حقيقية (فعلية) ليست من النوع الذي لا يمكن تجاوزه (التغلب عليه) وليست عوائق ولكنها صعوبات خطيرة. وأهمها طوله المفرط ،فهو اسراف قد يؤدي إلى تشتيت انتباه القارئ و تقويض مصداقية مضمون النص. وثانيها وليس أقلها، طريقة عرضه (تقديمه)- في المخطوطات- ككتلة متماسكة حيث الأجزاء ملتحمة بعضها ببعض .ولقد كتب النص من بدايته إلى نهايته دون انقطاع (دون علامات وقف / علامات ترقيم). كما يصعب تحقيق توازن بين الرغبة في التنظيم (التنسيق) تبدأ بملخص غزير ولكن واضح في هدفه، والاستطرادات التي تعتبر حريات مغتصبة لريشة القلم. وأما ثالثها فهي أن النص في حد ذاته يشكل عقبة حيث يضع القارئ في مجال غير واضح، كمتاهة لا سبيل للخلاص منها حيث المعلومات مختلطة بعضها ببعض بشكل لانهاية له وترتبط ببعضها بأدوات ربط غريبة. ولهذا، يمكن أن يضع الكتاب بعض القراء في حالة من عدم الارتياح متمثلة في: الاضطراب الذي يجده (يشهده) بعض الأشخاص المتعودين على استخلاص استدلالات بقوة العقل أمام حقائق هذا الترتيب.

وفي الواقع، يتألف كتاب كنز الأسرار و لواقح الأفكار من استحضارات مستمرة، وانقطاعات ، وتوقعات، انطلاقا – من بين امور أخرى- من النحو و علم أصل الكلمة. فهو يتبع مسارا إلا أنه لا يكون ابدا على يقين من استكماله أو استنفاذه. فهو يتركه هنيهة ليعود وينقض عليه (ويحكم قبضته عليه من جديد) من البداية (مثيرا غضب أو سخط كل من القارئ والمترجم) و لا يدرج في النهاية إلا تفصيلا طفيفا أمام أعيننا، من بين الأهميات الأولى. ويطغى شعور وكأن النص حقل يحرث إذ يتم خلط المفاهيم باستمرار. كما لا توجد حواجز بين النقاط المختلفة بل بالعكس يستمر في كونه امتداد أو فيض وعلى القارئ أن يشق طريقه من خلال نص مثقل بالذكريات. وكذلك، فإن الكاتب غالبا ما يضللنا. فهل يمكننا سويا أن نتحدث بسهولة عن قوة الملائكة وحلقات كوكب المريخ والتنجيم (قراءة البخت)؟ إذ أن الصنهاجي لا يتردد في ضبط (تعديل) المقالات

بشكل متقارب لدرجة أن تتداخل الفقرات أحيانا. ولمصلحته، وبأي حال يجب أن نعترف أنه يكمن هنا متنفسه الخاص، وطابعه الشخصي وأنه من هذا يتنافس مع الحياة.

وعلى أي حال، يصعب فهم العمل، لأن الصعوبة لا تكمن أين نجدها في العادة أي في التأويل (التفسير) الحرفي

لنص. بل نجد المشكلة في أمر آخر وغالبا ما تكمن في القراءة (التأملية، رمزية) أو روحية لكل مقطع. فقط خيط رابط (ناظم) واحد واضح يمكِّن من الاختيار بين المعاني المختلفة التي يرغب القارئ في إعطائها لهذا التراص من الجمل الذي لا نهاية له، ولهذا التعاقب الذي نجهل تنقيطه (وضع علامات التنقيط)، ولبروز المشاهد هذا والتي تتهاوى وحدتها أحيانا. ويجد كل مقطع امتدادات و تشعبات ما يمكن التنبؤ بها أكثر من كونها غير متوقعة في مقاطع أخرى. ولا نعلم في الأخير أتوضح التفاصيل الكل أم العكس، ويتجلى انه لا يزال يصعب تقريبا التقطيع في هذه التشابكات المستمرة. ولا تقدم رغبة الاستئناف لدى الكاتب الشيء الكثير بقدر ما في معظم الوقت لا تقوم بدورها إلا بإطالة التفكك (الانحلال).

وعلينا أن نسلط الضوء على أنه ومنذ البداية لم يكن بحوزتنا سوى مخطوطا يرجع إلى القرن الرابع عشر تصعب قراءته، ولسنا على دراية إلا بالشيء الضئيل منه، إن لم يكن لا شيء.

وانطلاقا من هذه المعطيات الصغيرة كان علينا الشروع في عملنا حيث فيما يلي المراحل الكبرى المتبعة:

تعنى المرحلة الكبرى الأولى للعمل بنسخ النص للغة العربية وذلك استنادا على العديد من المخطوطات يعود أقدمها إلى القرن 10 للهجرة، موزعة في عدة مكتبات ضخمة : القاهرة – باريس – الرباط – الجزائر العاصمة، خمسة عشر مكتبة في الإجمال. ولا نعلم إذا كان حريا بنا القول في هذا المقام أنها أول مرة في مشوارنا العلمي نتطرق فيها إلى مثل هذا النوع من العمل ولم نكن مستعدين كل الاستعداد كما لم نتخيل في بداية الأمر مدى جسامة وصعوبة هذا العمل. فقد كان يجب أن نأخذ في عين الاعتبار بشكل سريع أن إتقان اللغة العربية، والذي يعتبر شرطا مؤكدا لا غنى عنه، كان غير كافٍ ، لها وحدها،

في هذا النوع من الدراسة. وهو أول درس مهم تم تعلمه. كان يجب علينا تعلم، شيئا فشيئا، كيفية جمع الترسانة التقنية الضرورية للتعامل مع هذه النصوص القديمة كما نتجهز لإرسالية. ونحن على علم تام بتقدم العمل مكتشفين، مع مرور الزمن، بعض البحوث الكبيرة حول فن الكتابات وعلم المخطوطات التي تساعدنا بدورها وتوفر لنا دعائم تقنية. ولكن وبلا شك يبقى الأستاذ الحقيقي "الصنهاجي" وكتابه " الكنز".

فنحن نسبح بين هذه العقبات. ناهيك أن النص خال من علامات الوقف والترقيم، فهو عبارة عن فيض بلا انقطاع و الجمل يربطها حرف الربط 'الواو' فقط. وقد كان علينا وضع معالم في هذا الطريق الوعر متجنبين أن تبدو وكأنها مساند.

وتعتمد المرحلة الثانية من العمل على تحديد كل الآيات القرآنية ثم الأحاديث بالبحث عنهم في الملاحظات المنقحة التي ذكرها الكاتب قبل محاولة إيجاد متواردات أخرى في مدونات أخرى، ثم إنشاء مؤشر أعلاميّ بأسماء الأشخاص وذلك بتقديم لمحة قصيرة عن سيرة حياتهم إطلاقا، قدر الإمكان، من المصادر. وقد ذكر الكاتب أكثر من 450 شخص والذين كان عليه تمييزهم : الصّحابة، التابعون، من تلى الكاتب ومن عاصره. وغالبا ما كان الكاتب لا يعطي الاسم الكامل للشخص بل جزءا منه فقط، وكما يمكن لعدة أشخاص أن يحملوا نفس الاسم لذا وجب الاختيار، لتحديد النسب الصحيح، انطلاقا من اسم الأستاذ، اسم زميل أو تلميذ، أو من مقولة، أو كتاب إلخ. وغالبا ما كنا نملك سوى إشارات، وهذه المواد الضئيلة هي التي استخدمناها في تحقيقنا. ثم أضفنا بعدها فهرس للكلمات التقنية في الكنز.

ويهدف الجزء الأخير لإعطاء وصف لمختلف المخطوطات. ولقد حاولنا أن نقدم أوصاف دقيقة قدر المستطاع. وهو بمثابة مسح منهجي لكل النقاط التي لها صلة بالكتابة وهي: الورق، الحبر، التجليد، المستهلات، الفقرات، القواعد المختلفة، الصلاحيات، سند الملكية، أسماء الناسخون. وللأسف، لم نستعمل أي جهاز لتحديد التاريخ، وتحليل أو تقديم التركيبة الكيميائية للمنتج. ورغم ذلك، فقد ساعدتنا بعض الدراسات حول علم النقش و علم المخطوطات والتي غالبا ما زودتنا بالمساهمة فيما يخص المصطلحات التقنية المستعملة ومرجع

إلى أعمال أخرى. وهذا القسم الرئيسي من التعليق، وكما نشهده، فإنه خارجي جدا، ويبقى لا غنى عنه في فهم النص الذي يلي، باللغة العربية والفرنسية.

ثم تأتي المرحلة الكبرى الأخيرة وهي: تلك الخاصة بالتعليق عن النص والمكرسة لبعض السمات الخاصة للمُؤلَف نفسه.

ب – نبذة عن الصنهاجي حسب المصادر القديمة

ولا نملك إلا القليل من المعلومات عن حياته، وتفاصيل ضئيلة جدا ومقتطفات من المعلومات التي يمكن جمعها من هنا وهناك، عنه ليست كافية و مبهمة وغير دقيقة خاصة تلك المتعلقة بالتواريخ. ونحاول هنا رغم كل شيء وانطلاقا من هذه المعلومات المبعثرة أن نعيد تشكيل سيرة ذاتية موجزة. ومن جهة أخرى، يبدو أن كتابه كنز الأسرار، موضوع دراستنا، كان معروفا جدا ومقدرا من طرف قراء تلك الحقبة وكذلك تلك التي تليها مباشرة. فقد ذكره العديد من الكتاب.

النسب: (يحتمل بعض الفروق من مدون إلى آخر) الشيخ، رجل قانون وقاض، الرحالة الحاج أبو عبد الله محمد ابن سعيد ابن عثمان ابن سعيد الهنائي البرنسي الصنهاجي الزموري، معروف باسم نقشابو. وقد ولد بين السنوات (725-730) (1325-1330) بأزمور.

الأساتذة : تتلمذ لدى أبو حيان والقاضي ابن عبد الرزاق الجزولي و أبي العباس ابن عبد الرحمان المكناسي المعروف باسم المحاصي و العلامة المقري الجد، وهذا الأخير كان له كذلك كتلاميذ علماء مشهورين مثل : لسان الدين ابن الخطيب، أبو عبد الله ابن زمراك، أبو عبد الله القجاتي، ابن خلدون، ابو اسحاق الشاطبي، أبو محمد عبد الله ابن جزي، الحفيظ ابن علاق، ابن عباد الرندي، من بين آخرين،الخ. كما يؤكد في كتاب **المعتمد** أنه خلال سفره إلى مكة حضر دروسا لدى شيوخ مصر (القاهرة) والاسكندرية. ومن بين أساتذته، لدينا كذلك الخليل المكي الشهير.

تلامذته : لا نعلم له أي تلميذا مباشرا سوى **ابن الأحمر.**

آثاره:

- معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب، في ثلاث أجزاء[32]
- كنز الأسرار ولواقح الأفكار
- التحفة الظريفة في الأسرار الشريفة
- تعليق على الرسالة لابي زيد القيرواني[33]

ومن أسراره التي تهز حقبة بكاملها، كما قال التنبكتي : " روى لي أستاذي- شيخ المالكي في مكة – خليل أن الأولياء (الصالحين)، الجديرين بالثقة و المقيمين في مكة، قالو له أنه (الصنهاجي) رأى نيران تصعد إلى السماء"

ابن الأحمر (727-808) (1326-1406)

(اسماعيل ابن يوسف ابو الوليد ابن الأحمر) (727\1326- 808\1406) وهو ليس من نفس قيمة ابن خلدون أو ابن الخطيب و لم يشغل أي منصب عالي في الادارة الحكومية أو الدينية. واكتفى ببعض المناصب التي ليس لها تأثير كبير. عانى من المحن التي تلت اغتيال السلطان أبو سليم (763\1361) الذي كان مخلصا له عاطفيا و معتمدا عليه ماديا. وقد أُبعِد شيئا فشيئا وفقد كل فضل لدى السلاطين. ومع ذلك، على ما يبدو أنه شغل في وقت لاحق منصب قاض. وعاش ابن الأحمر في الحقبة نفسها التي عاش فيها الصنهاجي وهو معروف باعتباره من بين المؤرخين وقد ألف على الأقل اثني عشرة كتاب معظمها محفوظ، ونذكر من بينها:

نثر الجمان (776\1374) النفحة النسرينية (789\1387)، مستودع العلامة (796\1393) روضة النسرين (806\1404)، فهرسة، وقائمة باسم أساتذته والتي

لم نستطع الإطلاع عليها، وهو مذكور من بين آخرين، وهو ما يهمنا هنا 'الصنهاجي'. وانطلاقا منها ألف كل من التنبكتي و ابن القاضي نبذة فيما يخصه[3].

وقد وصف ابن الأحمر (الصنهاجي)، عندما أعطى أسماء أساتذته في كتابه نثر الجمان [4]، على أنه " واحد من شيوخي والذي أعطاني الإجازة"

المقري (985\1577 – 1039\1632)

ونجد في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب سيرة ذاتية والتي خصصها للغرناطي لسان الدين ابن الخطيب، أنه ذكر كاتبنا في فقرة أين ذكر أسماء بعض تلاميذ جده:

" من بين أولئك الذين تتلمذوا على يده، رحمه الله، عدد من مشاهير العلماء بينهم: لسان الدين ابن الخطيب الرجل ذو الوزارتين، الوزير أبو عبد الله ابن زمراك، الأستاذ والعالم أبو عبد الله القجاطي الذي برع في علم قراءات القرآن، الشيخ و رجل القانون والقاضي والرحالة الحج أبو عبد الله محمد ابن سعيد ابن عثمان ابن سعيد الصنهاجي الزموري الدار، المعروف باسم نقشابو، الأستاذ ابن خلدون كاتب التاريخ، الذي ، في بعض المواضع يكنيه بصديقنا وفي أخرى بأستاذنا، الخبير أبو إسحاق الشاطبي، العالم أبو محمد عبد الله ابن جزي، الحفيظ ابن علاق، وآخرون ستطول القائمة إن ذكروا. ولكن نستحضر في الذاكرة، بمثابة بركة، اسم الشيخ الشهير المثقف أستاذي إبن عباد الرندي، الشارح لكتاب "الحكم" لابن عطاء الله، الذي يتباهى به جدي، ويفتخر أنه كان من تلامذته." [5]

أحمد بابا التنبكتي (973- 1036) (1566-1627)

وفيما يلي النبذة التي قدمها أحمد بابا التنبكتي في معجمه للسيرة الذاتية. المعلومة هيكلية وموحدة، فإنها تعيد ذكر ابن الأحمر ولا تضيف شيئا عن الشخصية:

" 566- محمد ابن سعيد ابن عثمان ابن سعيد الصنهاجي الهنائي البرنسي (من أزمور\ الزموري الدار)، الشهير باسم نقشابو.

الشيخ، رجل القانون، القاضي، العدل، الأرضي، التقليدوي، الناقل، الحذر، المعلم، المنصف، الحاذق أبو عبد الله رجل القانون، المعلم المفتي، منجز الكتب، القاضي الحج

الرحالة، تتلمذ على يد أبو حيان و القاضي ابن عبد الرزاق و أبي العباس ابن الرحمان المكناسي الشهير بكنية المجاسي وصاحب علوم وعلامة، والمقري وآخرين. معلومات مثبتة في كتاب الفهرسة[6] لابن الأحمر.

وقلت: له كتابات والتي منها نقد للمجمع (مفصل) لابن الحاجب، والذي أعطاه عنوان معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب في ثلاثة أجزاء أين يقول أنه حضر لمحاضرات لدى شيوخ مصر (القاهرة) والاسكندرية. ويذكر في الفصل المخصص للحج، بتعابيره: ' روى لي أستاذي خليل [7] –شيخ الولاء المالكي في مكة- أن الأولياء الجديرين بالثقة والمقيمين بمكة قالو له أنه رأى نيران تصعد إلى السماء.

وهو كذلك كاتب كنز الأسرار و لواقح الأفكار [8] كتاب عذب (مليح)[9] والذي اطلعت عليه."[10]

وهنا الآن نبذة مع بعض الفروق ونجدها في تكملته لنيل الابتهاج المعنون بكفاية المحتاج معرفة من ليس في الدباج. ونجد الوصف أكثر تنوع :

" 488- محمد ابن سعيد ابن عثمان ابن سعيد الصنهاجي الهنائي البرنسي، المعروف باسم الزموري[11] والنقشابو.

وقد كان رجل قانون، قاضي عدل، تقليدي، معلم منصف وحاذق، كاتب. سافر و أدى الحج، تتلمذ على يد أبو حيان والقاضي عبد الرزاق و أبي العباس ابن عبد الرحمان المكناسي الشهير بكنية المجاصي، لدى الإمام المقري و آخرين. معلومات مؤكدة عند ابن الأحمر.

لقد قلت: (نجد من بين أساتذته خليل المكي الذي قال عنه، حسب بعض الأشخاص الأتقياء والجديرين بالثقة المقيمين في نواحي مكة، أنه رأى نيران تصعد إلى السماء.

وهو كذلك كاتب كنز الأسرار و لواقح[12] الأبكار[13]،(كتاب جميل)، وكما أنه نقد ذمامة ابن الحاجب (فروع ابن الحاجب) والتي أعطاها عنوان معتمد الناجب في ثلاثة أجزاء. ويقول أنه قرأها بتوصية من شيوخ مصر والاسكندرية."[14]

والتالي الوصف التلخيصي الذي قدمه ابن القاضي:

"217- محمد ابن سعيد النقشابو الزموري محمد ابن سعيد ابن عثمان ابن سعيد الصنهاجي الهنائي الزموري، المعروف باسم نقشابو. الشيخ، رجل القانون، القاضي، العدل، المعتمد، التقليدي، الناقل.و يقول عنه ابن الأحمر[15] : ' شيخنا، رجل القانون، المفتي، المعلم، مؤلف الكتب، القاضي، الحجي، الرحالة أبو عبد الله الذي تتلمذ على يد الشيخ أبي حيان (و بمدينة فاس لدى القاضي رجل القانون المحافظ) محمد ابن علي ابن عبد الرزاق الجزولي وعند المعلم أحمد ابن عبد الرحمان المكناسي، المعروف بكنية المجاسي. من بين مؤلفاته نذكر: معتمد النجيب في إيضاح مبهمات ابن الحجيب. أريد أن أشير هنا إلى التطورات الثانوية لهذا الكتاب (فروع) وكذا كنز الأسرار و لاقح[16] الأفكار. ويقال أيضا أنه ألف نقد للرسالة[17] . والله أعلم !"[18] .

وصف المخطوطات المطلع عليها

إن كنز الأسرار معروف و أشير إليه في عديد القواميس التي تتحدث عن السير الذاتية، و في كتب أدب ذاك العصر و من الغريب جدا التجاهل الذي طال الكاتب و لكن مع هذا تم نسخ نسخ كثيرة للكتاب ، و يبدو أيضا، و بالرجوع إلى عدد كبير من النسخ المحتفظ بها أنه أحيط ببعض الشهرة فلا توجد اختلافات كثيرة بين مختلف النسخ المطلع عليها سوى بعض الاختلافات في الكتابة، في تأخير و تقديم ألفاظ على أخرى وفي حذف كلمات و في الترقيم و في الأخطاء الإملائية أو في الانتقال بين الأسطر، فالمشكل الوحيد، الحقيقي الذي صادفنا هنا هو المظهر المركب لبعض المخطوطات و بالتحديد ثلاثة من بينها، وهو : تواجد بعض الأجزاء المجهولة الدخيلة و هي طويلة نوعا ما تم لصقها كمجموعات بالنص و التي سنشير إليها في عائلة مخطوطاتنا دون تحديد اختصاص كل منها. وتم حشوها في النص و هي تشكل كتلة في حد ذاتها. حتى وإن كان الموضوع المعالج يقترب من نصنا لكن زالت عنه بعض الخصوصيات: طريقة الإجراء مختلفة، بعض أنواع الخطوط و الحبر المستعمل، وسماكة الخط، و الأسلوب و الكتاب المذكورين...إلخ . و في غياب النصوص الأكيدة و الأصيلة و التي تم تأريخها من طرف الكاتب[19] أو التي قام بتأريخها بعض من تلامذته و بعد

تفحص النصوص، توضح لنا أنه من الصعب مطابقته على الأصل (مقارنته مع الأصل) فالفارق الزمني هو لأكثر من قرن يفصل فعليا بين النسخة القديمة المطلع عليها(919هجري) و التاريخ المعروف لوفاة المؤلف(795هجري) فلذا أصبحنا مجبرين على إعادة تركيبها و هذا من خلال النسخ التي سمحت لنا الفرصة بالاطلاع عليها فهذا العمل المبين على المظاهر الخارجية و فحص المتبقي و بالرغم من أهميتها و سطحيتها(خروجها عن الموضوع) على حسب مايبدو لنا، يمكن لهم أن يكونوا مادة ثرية للباحث:

"فهاته الأخيرة بإمكانها إيضاح النص للمختص في علم المخطوطات، و هذا يتم على سبيل المثال بالإشارة إلى تواجد عائلة من المخطوطات و بعبارة أخرى نسخ تعتمد على أصيل واحد و في بعض الأحيان يكون الأصيل قديما جدا"[20]

كما و لا يفوتنا لا يجب التركيز فقط على محتوى المؤلف، فيجب أيضا مراعاة الجوانب المحيطة به: القصة و النوع و الشكل و التركيبة و مجمل كل المواد و التقنيات التي ساعدت على انشائه. و دراسة هذا الجانب الخشن و الشكلي يمكن أن يؤدي إلى الاصطدام مع نخبة من العلماء و معتنقي مذهب الأنسية الفلسفي (الأنسيّين) و المفسرين و فقهاء اللغة والمؤولين و الذين تشغلهم روح الرسالة و ضليعون بتعقيدات النصوص التي يعملون على دراستها - و لكنها توضح دون شك على مظاهر المُؤَلَف التي غالبا ما يتم تهميشها و اعتبارها ثانوية و التي لم تكن تتطلب مسبقا سوى اهتمام عرضي وهو: تجليد سخيتياني، أغايتها فقط أن تنال إعجاب حامليها؟ وتسعى كلا المقاربتين، في نهاية الأمر، إلى الالتحاق بالنص و هذا انطلاقا من بدايتين مختلفتين.

ويفترض علم المخطوطات[21]– علم جديد نوعا ما والذي يمارس في تواصل سابقه علم قراءة النصوص القديمة - هذه المقاربة المثيرة للسخرية: و هذا السفح المتجاهل للشيء المكتوب و لكن يرفض الامتثال لأي أمر مفروض من المعنى. وهو يوافق أن الموضوع يتطلب استقلالية والحق في نتائج معترف بها، و لذا توجب عليه إزالة المعنى المعروف في المؤلف أو الاصطدام به. و القصص الحديثة حول اللوحات المزورة [22] و هي عبارة عن

أمثلة كاشفة: فعلماء الكيمياء و بواسطة بعض المذيبات و تدخل الآلات المستحدثة عملوا على إزالة البطاريات على حساب وهم العلماء. نعم للتكملة و لا للتقسيم، ردد هؤلاء الباحثين بشكل دقيق:

" مشروع علم دراسة المخطوطات[23] جدير بأن يعد بين العلوم المساعدة في التاريخ. و لا يقتصر دورها في تجميع العناصر التي من شأنها أن تسهم بفهم و إدراك تاريخ حقبة بشكل جيد : و هذا بفضل المعرفة الدقيقة أكثر فأكثر للإجراءات الموضوعة في إطار المراحل المتبعة لإنشاء المؤلَف و إمكانات تأريخ و أيضا تحديد نسخة و هذا دون ذكر مكان أو تاريخ الذي أخذت تتطور و ترتقي إلى مصاف الدقة. ولكن كما فهمنا من قبل، الخدمات التي من شأنها أن يقدمها علم المخطوطات للذين يتمحور مجال عملهم على المخطوطات تعتمد قبل كل شيء على الصبر و الثبات في العمل و تجميع المعطيات الدقيقة و تحليل دقيق لمداخلاتهم [24]

كما و أن علم دراسة المخطوطات يمكن أن يذهب إلى التحليل الأسلوبي أو توطيده، وتحريك تاريخ تاريخي و رفض اختصاص، و إعادة بناء المعطيات و إيجاد طريقة للتقدم، و رفع الستار على التغيرات و زعزعة القوانين المعمول بها و المعيارية و هذا انطلاقا من مادة هشة. وهذه الأخيرة من شأنها أن توفر العديد من المعلومات (و الشيء الأكيد أنها بطريقة مخالفة تماما) بقدر مايوفرها المضمون إن لم نقل أكثر، فهي لا تكتفي في حد ذاتها. وهذه المُخرَجة، الثمينة جدا، لايمكن أن تحد القراءة. وهي دائما مثقلة ذاتيا .فإذا أنزلنا درجة واحدة من الرسم التخطيطي للأثر فإن الموضوعية سوف تنهار معها لامحالة.

ومن ضمن المخطوطات العديدة التي تمت الإشارة إليها في القوائم (الجداول) والتي أمكننا تفحصها مباشرة أو عبر الميكروفيلمات، يوجد خمسة عشر، و هو ما يشكل عدد كبير استنادا إلى حجم المخطوط. ومجموعة المخطوطات هاته مصنوعة يدويا، و أثناء التفحص أيضا توجب علينا معالجة انتقاء ثلاثة من بينها و التي تتحلى بمعايير موثوق فيها ألا وهي : نص كامل، تواريخ أكثر قدما، ومراجع يمكن إيجادها و مقروئية جيدة للنص ووضعية

الاحتفاظ ملائمة كمخطوطات أساسية. و سنشير لاحقا إلى العيوب التي جعلتنا نحجب نظرنا عن المخطوطات الأخرى .

ويوجد اثني عشر مخطوط في الخزانة الحسنية في الرباط، الخزانة الملكية سابقا في(المغرب)، وفيما يلي سيتم تقديم البيانات التي تمت على المخطوطات ويشترط الترتيب. وقد تمت المراجعة على المخطوطات الأساسية:

تم حفظ الأول تحت الرقم 5665، و هذا المخطط يورد في هامشه (الحاشية) اسم الكاتب: أبو عبد الله محمد ابن سعيد الصنهاجي، دون ذكر تاريخ الميلاد أو تاريخ الوفاة و تم اتباعه بالعنوان . و المؤلف في جزء واحد، والعناوين و الفصول مكتوبة بالحبر الأحمر. و لم يتم ترقيم الصفحات، فالحساب الذي قمنا به ساقنا إلى وجود تسعة و ثمانون ورقة. و الأبعاد هي 33,5على 21 سم، و متوسط عدد الأسطر هو 28، وأما فيما يخص الكلمات فهي تتفاوت بين 18 و22. ولا يختلف المؤلف عن غيره من المؤلفات حيث أنه يبتدئ بصيغة الحمدلة: الحمد لله... و يشتمل على نفس الخطأ الوارد في الملخص وهو المرور من النقطة الرابعة عشر إلى النقطة الثانية والعشرين[25]، و ينتهي المخطوط في النقطة الخامسة عشر في الجزء الأخير: رضوان الله(رضي الله عن أصحاب الجنة)، وهو دون بيانات نسخ وكما لم يظهر اسم الناسّخ. و نوعية الخط هي من النوع المغربي. فهي لا يختلف كثيرا عن المخطوطات القديمة المطلع عليها، نذكر منها مخطوط 919 هجري، مضمون و ملخص و عناوين و الأجزاء الافتتاحية و الاختتامية، فهذا المخطوط يورد اسم المالك(التملك): المعطي ابن الصالح. و هو مجلد بالجلد الأحمر.

والمخطوط الثاني تم حفظه تحت رقم12055، فهذا المخطوط و بعد اصداره لعنوان الكتاب: كنز الأسرار و لواقح الأفكار و الذي ألفه الشيخ العالم العميل المحقق أبي عبد الله محمد ابن سعيد الصنهاجي، فبدأه بصيغة الحمدلة المعتادة: الحمد لله... فالعناوين و الإشارة (قلت)[26] تمت كتابتها بالحبر الأحمر. وينتهي في النقطة الخامسة عشر من الجزء الأخير: رضوان الله(رضوان الله على أهل الجنة). وهذا المخطوط يشير إلى اسم الناسّخ: أبوبكر ابن محمد ابن عيسى ابن منصور البامي القاطن بلد نفزا حرسها الله وتم ذكر تاريخ انتهاء

النسخة : الخميس1131 هجري. فعدد الأسطر هو بمعدل 27، و أبعاد الورقة هي 21,5 و 15 سم وعدد الكلمات في كل سطر يتراوح بين 16و 18. و الصفحات لم يتم ترقيمها، و تحصلنا بعدما قمنا بالحساب على 130صفحة، و تمت كتابته بالخط المغربي، غير مقروء مع اشتمالها على أخطاء إملائية كثيرة و تم تجليده بجلد مرن أحمر.

وتم حفظ الثالث تحت رقم 12570. وينقصه جزء من البداية و جزء من النهاية، و يبتدئ من الفصل الخامس: في الجنة (الفصل الخامس: في الجنة) إلى غاية غرف الجنة. والكتابة بخط مغربي مقروء و أنيق. وتمت كتابة العناوين بالحبر الأزرق و الأحمر، و ينتهي في النقطة : طول الحياة و قصرها بالكلمات التالية : فسح الله في مدتك وهذا بخصوص مقتل الخليفة عمر. وأبعاد الورقة هي 24,5 و 18 سم و متوسط عدد الأسطر هو 15 سطرا، و عدد كلمات كل سطر يتفاوت بين 7 و 8 كلمة ، و لم يتم ترقيم الصفحات، وتحصلنا بعد الحساب على 130 صفحة، تم تجليده بجلد أحمر مرن، دون إضافة أي معلومة أخرى.

وأما الرابع فحُفظ تحت الرقم 4956. و الكتابة من النوع المغربي محفوظ جيدا. و تم تزيين صفحة الواجهة و تم وضع النص في إطار أسود، ليس له نسّاخ لكن تم ذكر تاريخ انتهاء نسخه، في الأيام الأخيرة من شعبان في 1100 هجري، أشارت الصفحة الأولى إلى اسم الكاتب: قال الشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن ابن سعيد الصنهاجي المعروف بـــأمقشب، القاضي بمدينة أزمور رضي الله عنه[27]، و أبعاد الورقة هي 21,5 و 17 سم، و عدد الأسطر 18 سطرا بمعدل كلمات تتراوح بين 11 و 14. و لم يتم ترقيم صفحات المخطوط و توصلنا إلى عددها بعد القيام بعملية الحساب إلى 229 صفحة، كما لوحظ تواجد بقع على الورق (تبلل مع انتفاخ في بعض الأوراق في بعض الأماكن)، و تم تجليده بجلد لونه أحمر رماني مرن.

والخامس حُفظ تحت رقم 13834. والكتابة من النوع المغربي المتوسط، تم تزيين العناوين بتفسيرات على الهامش. لم يتم إيراد اسم النسّاخ لكن أورد تاريخ النسخ و الذي تمت الإشارة إليه(1276 هجري) و كذا متلقي[28] التدوين الذي قام بها الناسخ: إلى السيد

الحاج الفقيه محمد ابن محمد ابن أحمد القاضي، و أبعادها هي 24 و 18,5 سم، و يتراوح عدد الأسطر بين 24 و 40 صفحة على حسب الصفحات و عدد الكلمات مابين 18 إلى 20 كلمة، كما و لم يتم ترقيم الصفحات، و بعد قيامنا بالحساب تحصلنا على 71 صفحة، المخطوط غير مكتمل لأنه تنقصه الكلمات الأخيرة و تم تغليفه بجلد لونه أحمر رماني.

والسادس محفوظ تحت رقم 1982، ويفتتح بنفس صيغة الحمدلة دون تعريف للكاتب. وتمت كتابة العناوين و الفصول(فصل، وجه، نظر) بالحبر الأحمر و الأزرق و الأخضر، وتمت كتابته بالحروف المغربية، مقروءة و أنيقة، و ينتهي بنفس الصيغة مثل سابقاته، و الأبعاد هي كالتالي 21,5 و 16,5 سم بمتوسط عدد أسطر 16 سطرا لكل ورقة، و يتراوح عدد الكلمات بين 13و 14 و لم يتم ترقيم الصفحات وبعد الحساب الذي قمنا به تحصلنا على 241 صفحة ، تم ذكر اسم الناقل : ابن عيسى ابن محمد ابن أحمد زنيبر كان الله له و لوالديه [29] . وكانت النسخة موجهة إلى القائد العبد الطالب محمد بن القائد المجاهد السيد عبد السلام ابن عدة. رحمه الله في 5 من شهر شعبان 1281 هجري، و كان الورق في حالة جيدة و تم تغليفه بجلد أحمر مرن.

وأما السابع فهو محفوظ تحت الرقم 6846 و الذي تنقصه الصفحة التمهيدية ويبتدئ بكلمة الجواد فبصر بصيرتي و حماها. وإبتداء من النقطة التي تشتمل على إتيان الملائكة بالهداية دُست اثنا عشرة ورقة و التي لم نجدها في المخطوطات الأخرى و التي تنتهي بقصيدة تبتدئ: أيا من حلّ جنات الخلد[30]، و ينتهي المخطوط بالصيغة : تم كتاب كنز الأسرار و لواقح الأفكار للأحاديث و الأخبار و الآثار[31].

ولم يتم ذكر تاريخ النسخ و لا اسم الناسخ، تتضمن الصفحة الأولى في الهامش على اليسار تأليف الشيخ القاضي العدل أبي محمد ابن سعيد المعروف بأمقشاب القاضي بأزمور. الكتابة مشرقية، صعبة القراءة. الأبعاد هي 21 على 14,5 سم و متوسط عدد الأسطر 21سطرا، أما الكلمات فبين 10و 13، لم يتم ترقيم الصفحات أثمر الحساب على 222 صفحة مكتوبة من الجهتين(من الامام و الخلف).

وحُفظ الثامن تحت رقم 10749 ، تنقصه البداية، يبتدئ من النقطة السادسة للملخص: الجنات المختلفة، والنهاية حيث ينقصها أيضا النقاط الثانية عشر و الثالثة عشر و الرابعة عشر و الخامسة عشر من الفصل 25. وترتيب النص على شكل أجزاء و أجزاء فرعية ليست نفسها المعتمدة في النسخ القديمة(التي يعود تاريخها إلى 919 هجري) و التي وفرها لنا هذا النموذج. وفي الفصل 17 إتيان بالصحف، فحذف المخطوط النقاط الأربع الأولى و انتقل مباشرة إلى الخامسة شهادة الأنبياء المطابقة لنموذجنا. وعوض مصطلح وجه، استعمل كلمة مقام، وانتهى هذا المخطوط في الوجه 11 من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الكافر إذا عمل حسنة..." وهنا توقف المخطوط وتنقصه الفصول 18و 19 و 20 و لم يتم ذكر اسم الكاتب، و لا اسم الناسخ، و الأبعاد هي كالآتي: 25 و 18,5 سم و عدد الأسطر 31 و متوسط الكلمات لكل سطر يتراوح بين 18 و 22، و لم يتم ترقيم الصفحات و الحساب الذي قمنا به أدى إلى الحصول على 77 صفحة ، و تمت الكتابة بحروف مغربية و غلف بورق مقوى. و تم حفظ المخطوط التاسع تحت رقم 2761، زيّنت الصفحة الأولى، وهو بمثابة مخطوط كامل و الذي يشبه النسخ الثلاث المعتمدة كنموذج والتي ارتكزنا عليها، فهو يبتدئ بالبسملة، ومن ثم يقدم عنوان كتاب كنز الأسرار ولاقح الأفكار للشيخ الإمام العلامة الهمام أبا عبد الله عمر بن سعيد بنو عمر بنو سعيد الصنهاجي ثم القاضي. كما و لم يتم ذكر اسم الناقل، و تم تدوينه بالأسلوب المغربي البدوي المتوسط، والتي استقى منه تلامذته والتي أوردها ابن خلدون في مقدمته[32]. و أبعاد الصفحات هي 21 و 15، و لم يتم ترقيم صفحات المخطوط و بعد الحساب حصلنا على 229 صفحة، و يختتم المخطوط بـــ : تم كتاب كنز الأسرار و لواقح الأفكار، تأليف الإمام الهمام، علامة العلماء الأعلام الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن عمر بن سعيد الصنهاجي ثم القاضي بالمشايد، تغمده الله برحمته و مغفرته و الحمد لله أولا و أخيرا و بالهناء و زاهرا والصلاة و السلام على سيدنا محمد النبي الأمي [33] وآله الطاهرين وأصحابه المنتخبين و أمته أجمعين يارب العالمين.وانتهى نسخه في الرابع من جمادة الأولى عام 1150 هجري، غفر الله لكاتبه. و لم يذكر اسمه، و الورق من النوع الخشن و فيه بقع

و تبلل، تم تغليف النسخة بجلد مرن ذو لون بني.حُفظ المخطوط العاشر تحت رقم2496، الورقة الأولى مزينة برسومات، وهو نسخة لا تختلف بدايتها عن سابقاتها، وهي مكتملة بنفس العناوين المكتوبة بالحبر الأحمر، و النص بالحبر الأسود ، و الصيغة الاختتامية هي كالآتي: كمُل بحمد الله و قوته و توفيقه كنز الأسرار و لواقح الأفكار، تأليف الإمام العلامة أبي زيد سيدي عبد الرحمن بنو سعيد الصنهاجي قاضي أزمور المعروف بابن أمقشب، رحمه الله ونفعنا به و بعلومه آمين. يوم الاثنين 21 ذي القعدة الحرام من عام 1257 و التي عمل على ترجمته الناسخ المكي ابن محمد العسافي لأخيه في الله: سيدي الجلالي بنو محمد بنو عبد الله العسافي أصلح الله قلبه و غفر ذنبه و ستر عيبه. و أبعاد الصفحات هي 31,6 على 21,2 سم، و عدد الأسطر 26سطرا، و يتراوح عدد الكلمات بين 14و 17 كلمة، كما لم يتم ترقيم الصفحات و الحساب أعطى 133 صفحة و الكتابة من النوع المغربي المتوسط، مقروءة و لكن صعبة. تم تغليف النسخة بورق مقوى، و الأوراق مصفرة مع بعض البقع و غرز. وتم حفظ المخطوط الحادي عشر تحت رقم 2391. و لم يتم إيجاد الجزء العلوي للصفحة الأولى كما لانجد الأسطر الثلاثة الأولى، و هو يبتدئ بـــ: و الصلاة الدائمة على سيد الكونين ...، وكتبت العناوين بخط و حجم كبيرين ، و العناوين الفرعية ، و(قلت) تمت كتابتها بالحبر الأحمر، و المخطوط كامل و ينتهي بصيغة حسبنا الله و نعم النصير، تم كتاب كنز الأسرار و لواقح الأفكار، تأليف الشيخ القاضي أبي عبد الله محمد ابن سعيد ابن عمر ابن سعيد الصنهاجي المحرر بالمشايد القاضي بأزمور ببلاد المغرب. رحمه الله تعالى وغفر له. وأبعاده هي 19,7 على 15 وعدد الأسطر 25سطرا و عدد الكلمات يتفاوت بين 16 و 18 كلمة، كما لم يتم ترقيم الصفحات و بعد الحساب حصلنا على 152 صفحة و الكتابة من النوع المغربي غير الأنيق كما لم يتم إدراج اسم كاتبه و لا تاريخ نسخه.وتم حفظ المخطوط الثاني عشر تحت رقم 4030. و يبتدئ المخطوط بصيغة قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو زيد عبد الرحمان ابن سعيد الصنهاجي المعروف بـــابن أمقشاب، بمدينة أزمور. رحمه الله و رضي عنه. و المخطوط كامل، و تم نسخه بالخط المغربي المقروء. وجدت عليه اثار بقع و لطخات على الحواف والتي تشتمل

على بعض الكلمات. وكتبت العناوين بحجم كبير و بالحبر الأسود، و أبعاد الصفحات هي كالآتي 24,3 على 18 سم، و عدد الأسطر هو 26سطرا، بينما عدد الكلمات يتراوح بين 20إلى 23 كلمة تم ترقيم الصفحات بأرقام عربية و بعد الحساب تحصلنا على 106 صفحة ،وينتهي بنفس الصيغ مثل المخطوطات الأخرى ، تم النسخ يوم الجمعة 9 من شهر رمضان المعظم من عام 1004 هجري. و يغفر الله لنا و لجميع المسلمين، الحمد لله رب العالمين، لم يتم ذكر اسم كاتبه.ويحمل المخطوط الثالث عشر الرقم 7115 بمكتبة القاهرة[34]، اطلعنا على هاته النسخة على ميكروفيلم و منه استخرجنا نسخة، و أبعاد الصفحات هي 22 على 15,19 سم، متوسط عدد الأسطر 19سطرا و عدد الكلمات يتفاوت بين 13و 14 كلمة و هو نموذج تم تزيينه و تأطيره برسم يحتوي على قويسات، و كتب العنوان بحجم كبير ، بالخط الكوفي، و هو يبتدئ بصيغة: تأليف العالم الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام القدوة المحقق المدقق جمال الدنيا و الدين أبي عبد الله محمد الشهير بقاضي أزمور. رحمه الله رحمة الأبرار و أسكنه فسيح دار القرار بمنّه و كرمه. آمين ! آمين ! ونجد في الهامش الصيغة التالية: اصطحبه العبد الفقير إلى الغني القدير : أبو الفضل محمود السحر [35] . والنص كامل، كما تم ترقيم الصفحات بأرقام هندية من 1 إلى 254، و النص مكتوب بخط مشرقي مقروء، و يختتم الكتاب بنفس ما اختتمت به الكتب الأخرى. و كتبت الصيغة الاختتامية في مثلث: تم الكتاب بحمد الله و منّه و حسن توفيقه في صباح الجمعة من شهر صفر من عام 919.ويحمل المخطوط الرابع عشر رقم 1412 على ميكروفيلم دار الكتب القومية بالقاهرة(مصر)، تم صنع الميكروفيلم انطلاقا من المخطوط الذي تم الاحتفاظ به تحت رقم 1127 في رف التصوف بنفس المكتبة. وتنقص الصفحة الأولى للمخطوط. وقراءة الكتابة صعب و متعب، وبعض الكلمات غير مقروءة، في حين أن البعض الآخر تم حذفه. و أبعاد الصفحات هي 21على 15 سم و يتراوح عدد الأسطر بين 21 و 22 سطرا و عدد الكلمات لكل سطر يتفاوت بين 15 و 16 كلمة. تمت كتابته بالحبر الأسود و بالخط المشرقي، كما و تم ترقيم الصفحات وعددها 188 صفحة، ويذكر اسم الكاتب: محمد ابن سعيد بنو حماد بنو سعيد بنو محمد أبو عبد الله

الصنهاجي الديلاس البصيري[36]. تم كتاب كنز الأسرار و لواقح الأفكار في الأحاديث و الأخبار على التمام و الكمال نعوذ بالله من سوء الحال و الزيادة و النقصان لنفسه و لمن شاء من بعده: الفقير المعاني(علي المراغي. حرر عام 1009، كما تم إلصاق بعض الفقرات المحرفة في النص انطلاقا من الفصل 26 في النقطة التي تتحدث عن وسائد أهل الجنة. والمخطوط الخامس عشر الذي تم الاطلاع عليه هو ذلك المتواجد بالكتبة الوطنية بباريس في قسم المخطوطات، فهرس المخطوطات العربية الذي قام به سلان مابين 1833-1895 و هو يحمل الرقم 1401، تمت الاطلاع عليه من خلال الميكروفيلم[37]، و عدد صفحاته 237 صفحة تم ترقيمها بأرقام عربية، و عنوان المؤلف موجود في الصفحة الأولى: كنز الأسرار و لواقح الأفكار، تأليف الإمام الصنهاجي، لم يذكر في النص اسم الناسخ و لا تاريخ النسخ، والكتابة صعبة المقروئية نوعا، لم يتم نسخ النص من طرف ناسخ واحد، بل لدينا كتابتين مختلفتين، و ينتهي النص في النقطة 3 من الفصل 25، و الفقرات التي تليه تم دسُها و يفتتح على نفس قصيدة المخطوط رقم 6846: يامن حلّ جنات الخلد... وأبعاد الصفحة 29 على21 سم، و يتفاوت عدد الأسطر مابين 21 و 22، و عدد الكلمات من 13 إلى 14، كما و حذفت بعض الفقرات، تواجد بعض البقع و أخطاء إملائية فادحة والتي من شأنها جعل القراءة مضنية. فقد تم على المخطوطات بعض التنقيحات الواضحة. و قبل إسدال الستار الفصل وجب علينا الرجوع و لمرة أخيرة إلى إجراءات التحقيق الخاصة بعلم دراسة المخطوطات : فهو عبارة عن علم يتطلب إلى حد كبير أجهزة تكنولوجية مستحدثة، وأعمال مخبرية و تخصص معمق. و تم تفحص المخطوط في جل محتواه. و المعلومات المستقاة من طرف .....

*** الهوامش:**

[1] ذكرت في نيل الابتهاج للتنبكتي، ص 457.

[2] ذكرت في جذوة الاقتباس لابن القاضي المكناسي، ص 238.

[3] انظر مايا شتزميلر، علم المؤرخ الميريني، ابن خلدون ومعاصريه، ليدان أ.ج. بريل، 1982.

[4] انظر فيما يلي، لمحة لبابا التنبكتي .

[5] ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل ، نذير فراعيد الجمان في نظم فحول الزمان، طبعة، محمد رضوان الدايا، بيروت،1967،ص.85.

[6] المقري، أحمد ابن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، طبعة من طرف إحسان عباس. دار صدير، بيروت،ج5.ص ص.340-341.

7 بن شقرون محمد، الحياة الفكرية المغربية في ظل الميرينيين والواطاسيين(في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر) الرباط،1974،ص.333(يذكر بن شكرون بدوره وجوده دون متسع من الإفادات). تكون الفهرسة، حسب علمنا،في حالة مخطوطة في مكتبة فاس

[8] ابن اسحاق خليل كاتب المختصر للإمام مالك.

9 يعطي التنبكتي المصطلح مفردا(لاقح وليس لواقح) طبعة قام بها عبد الحميد عبد الله الحرمه.طرابلس1989، الجزء1و2، ص.457.

[10] من المثير للإهتمام أن نذكر أن التنبكتي، في تقديره للكتاب، استعمل كلمة قد تستخلص من الذوق أو فن الطبخ، حيث الأصل ملح. وأعلاه، استعمل ابن الخطيب فيما يتعلق برحلة الصنهاجي الفعل أطرف بحديث رحلته : يبهجنا برواية رحلته. فهل أرادوا بذلك القول أن الكتاب تنقصه الجدية؟ ولكن لنأخذ كل شيء في الإعتبار، فيفضل كتاب حلو النكهة على كتاب ممل ولاطعم له !.

[11] أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الدباج، ص.457.

[12] والكاتب معروف من الآن فصاعدا بالزموري نسبة إلى منطقته، وكذا نقشابو . (انتماءات متبادلة) .

[13] ويستعمل هنا التنبكتي خلافا لنيل الديباج الجمع للواقح وليس لاقح.

[14] لواقح الأبكار وليس لواقح الأفكار.

[15] بابا أحمد التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج، طبعة محمد مطيع، نشر وزارة الشؤون الإسلامية في المغرب،2000، ج.2، ص ص.93-94 .

[16] ابن القاضي يعيد ذكر مقولة ابن الأحمر دون اعلامنا من أي من مؤلفات الكاتب أخذها. ونحن في وسط الطريق وليس لنا معلومات مسبقة. فهي نبذة سرية .

[17] ونجد هنا أيضا لقيح في المفرد.

[18] وبالتأكيد الرسالة الشهيرة لابن أبي زيد القيرواني.

[19] لا نود البتة إفتراض عدم وجودها مع العلم أنه لم يحالفنا الحظ للإطلاع على كل المخطوطات المدرجة .

[20] جماعي. موجز في علم دراسة المخطوطات المكتوبة بالخط العربي، تحت رئاسة فرانسوا ديروش، المكتبة الوطنية بفرنسا،2000، ص19.

[21]"ويجب بلا شك تشجيع هذا الرجوع إلى المعنى الأصلي للكلمة. والأمر الأكيد، هو أن كلمة codex كانت تعني كتاب للقدماء، و المعاصرين لهم عادة سيئة في ترجمة مصطلح Codex بـــ"مخطوط" مقترفين بذلك خطأ كبيرا" أ.داين، المخطوطات، طبعة، الرسائل الجميلة، تجميع للدراسات القديمة، باريس،1964، ص14.

[22] مكننا تقريبا القول تزوير في الكتابة، وهو مجال يقترض الكثير من المصطلحات القانونية.

[23] و طالب بالكلمة أ. داين و الذي لم يذكره ف. ديروش حرفيا و التي عرفها بإيجاز كما يلي: "الكوديكولوجيا هي علم يهدف إلى دراسة المخطوطات نفسها(ذاتها) و ليس طريقة كتابتها(...) و الكلمة جديدة في اللغة الفرنسية و طالب تبنيها " أ. داين، المخطوطات،ص76 .

[24] ديروش، ص.20.

[25] الترتيب الذي بحوزتنا، و نشير إليه من خلال ملخص للنص و الذي يرجع دائما. نفس الخطأ وامتد من مخطوط إلى آخر.

[26] تمت كتابة **قلت** بالخط العريض في تحقيقناو هذا لتمييزها عن النص و لتتناسب مع المخطوط.

[27] تختلف هاته التسمية عن غيرها في المخطوطات الأخرى وهي تمتاز بخصوصيية تتمثل في أنها متبوعة بصيغة الرضى الخاصة دائما بالصحابة أو الأشخاص المعروفين في التصوف.

[28]"هو عمل، بالتأكيد، بكونه ناسخ، و هي عملية دقيقة. المدون الذي هو أساسا - زيادة لفن الخط- يجب أن يقوم بجهد متواصل لتجنب الوقوع في أخطاء النسخ أو ملهيات لامفر منها ، و مهمته تكمن أيضا في إعادة إعداد نموذج محدد" أ. داين، المخطوطات،ص16.

[29] ينا استعمال المبني للمجهول غير أن الكاتب كشف عن اسمه : و هو ما يشبه فكرة الحذر من 'أنا ' في العالم الإسلامي. لكن في التضرع، فهي ليست منوطة بهم، "فكل هؤلاء الأشخاص كانوا خادمين جيدين وشجعان للرسائل، و تبعا للأمنية التي كانوا يعبرون عنها في اخر كل نسخة، فهم يستحقون أن يدعو القارىء الله لهم أن يسكنهم فسيح جناته ، و من جهتي أنا لم أتوارى ولو لوهلة عن هذا الواجب المقدس. وتمنح الريشة للكاتب ملكوت السماء." أ. داين المخطوطات، ص17

[30] وجدت نفس القصيدة في مخطوط باريس. و لا نعرف مؤلفها، بعض الأجزاء الموجودة في نبذات عن السير الذاتية تذكر الشاعر الصنهاجي : تكلم ابن الخطيب عن كتاباته الشعرية (منزوميه)، نوفادى، ص76.

[31] ولا نجد هاته التكملة الإعلامية في المخطوطات الأخرى.

[32] المقدمة، (الكتابة و فن الخط) ص654 و س. "ولكن، و بعد تراجع طيف الموحدين، تراجعت معهم كذلك الحضارة و الثقافة و الفخامة. وتدهور فن الخط و لم يقدِم أحد على تدريسه"، ص661

[33] النبي الأمي (القران .157) وسببت هذه الكلمة الكثير من المتاعب لمترجمي معاني القرآن الذين ترددوا في تقديم المعنى الأنسب لترجمتها : فالرسول الذي لم يتعلم العلوم الإنسانية(أ. سفري)، الرسول الفطري (ج. بارك) رسول الأممي (غ. بلاشار، د. ماسون) ، الرسول الأمي (ب. كاسيميرسكي، أ. موني، ج. قروسجن، أ. بينو)، الرسول الوثني (حمد لله) الحواري الأمي (أ. بيسل و أ. تيجاني)، و نبي ..... (أ. شوراكي).

[34] انظر،بروكلمان،الجزء.7،ص448

[35] لا نعرف إن كان اسم الناسخ والذي اعتدنا على أنه يختم النص أو المالك .

[36] هو المخطوط الوحيد الذي يحوي هاذين التنويهين و التي لها علاقة بميلاد ديلاس وللشاعر الملقب: البصيري. و تُلمح المعلومة إلى الشاعر شرف الدين محمد أبو عبد الله سعيد الصنهاجي و المعروف أكثر باسم البصيري(1296/1212) و هو مؤلف البردا المشهور (قصيدة مخصصة لمدح رسول المسلمين) و الشعبية في بلاد المغرب. انظر المكرزي، حاجي خليفة، السيوطي. ومن المهم الإشارة أنه تم هنا التلميح بأن كاتبنا هو شاعر أيضا. وهذه المدرجات الصغيرة التي تم حشوها في النص انتهت تقريبا بإقناعنا. ومع ذلك لايمكننا تأكيده بطريقة أكيدة سوى إمكانية معرفة الأشعار التي تم تحريفها في مخطوطات الكنز. لم يسعفنا الحظ للإطلاع على هاته المؤلفات و خاصة التحفة الظريفة في الأسرار الشريفة.

[37] نتقدم بالشكر إلى المشرفة على مذكرة التخرج، الأستاذة جونفييف قوبيلو و التي قدمت لنا هذا الميكروفيلم الذي عملنا عليه .

أثر التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب في تدريس الإحصاء على التحصيل ودافعية الانجاز لدى طلبة كلية العلوم التربوية والآداب / الأونـــــروا

د.ابتسام أبو خليفة/كلية العلوم التربوية والآداب/الأونروا
أ.هيام أبو خليفة/ كلية الأميرة سمية الجامعية

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر توظيف التعلم بمساعدة الحاسوب في تحصيل طلبة كلية العلوم التربوية في مادة الإحصاء التربوي وفي دافعية إنجازهم. وتكونت عينة الدراسة من 76 طالبة من طالبات السنة الجامعية الأولى، قسمت إلى مجموعتين تجريبية استخدم في تدريسها التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب وضابطة درست بالطريقة التقليدية لوحدة منحنى التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية. وتم تطبيق اختبار تحصيلي في الإحصاء ومقياس دافعية الإنجاز.

استخدم اختبار ت للعينات المستقلة عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) لاختبار فرضيات الدراسة الصفرية. وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تحصيل الطالبات لصالح المجموعة التجريبية وكذلك في دافعية إنجازهم

وأوصت الدراسة بضرورة تطبيق التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب في تدريس كل المواد في الجامعة لجعل الطالب محور العملية التعليمية، وكما أوصت بإجراء المزيد من الدراسات حول التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب.

* الكلمات المفتاحية: التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب، دافعية الإنجاز ،التحصيل

Abstract :

The Effect of Computerized Programmed Learning on Developing Faculty of Educational Sciences &Arts(FESA) Students' Achievement in Statistics and Academic Motivation

Dr.Ibtisam Abu-Khalifeh&Heiam Abu-Khalifeh

abstract

This study aims at investigating the effect of computerized programmed learning on developing FESA students' achievement in statistics and academic motivation. The study sample consists of (78) female students distributed into (2) groups: an experimental programmed learning and the other group instructed with the application of traditional methods. An achievent test and an achievement motivation scales are applied after the application of computered programmed learning on the sample. T-test is applied at ($\alpha \leq 0.05$); results of the assigned sample Indicates that there is statistically significant difference in the development of fresh students, achievements and academic motivation compared to the group instructed traditionally.

This study recommends a necessary implementation of computerized programmed learning in teaching all EESA courses in order to make a students center of learning – teaching process. It has been also recommended having more intensive research. In computerized programmed learning in other fields.

Key words: computerized programmed learning, Academic, academic motivation.

مقدمـــــــــة:

يشهد هذا العصر تطوراً كبيراً في مجال التقنيات التكنولوجية التي تم توظيفها في مختلف مجالات التعلم، واستوجب هذا التقدم التكنولوجي والتسارع المعرفي إلى ضرورة وجود نوع جديد من التعلم، لكن تبقى الحاجة إلى برامج جيدة يتم إعدادها من قبل مختصين ليتسنى للمعلمين توظيفها وتطبيقها بسهولة و يسر.

إن التطور الكبير والمتسارع في المعرفة والتقدم العلمي والتقني في مختلف مجالات الحياة، أدى إلى وجود تحديات واجهت التربية واستدعت إحداث الكثير من التغييرات التي شملت بنية التربية وطرائقها ووسائطها وطرق تقديمها، والتحول من التعليم للتعلّم، ومن المعلم للطالب، ومن التخطيط غير النظامي إلى التخطيط بأسلوب النظم، ومن الكتاب المقرر إلى مصادر التعلّم المتعددة، ومن التعلّم الجمعي إلى التعلّم المفرد (الحيلة، 1998).

ويعتبر نموذج التعلم المبرمج من التطبيقات الأساسية لنظرية الاشراط الإجرائي لاسكنر، ويطلق عليه البعض التعليم أو التدريس المبرمج الذي يعد أحد أشكال التعلم الذاتي، ومن مميزات التعلم المبرمج أن الدور الأساسي في تنفيذ البرنامج يعتمد على التلميذ، ويتحدد دور المعلم في توفير المواقف الضرورية لحدوث التعلم، أو التحكم بالظروف الخارجية للتعلم وكذلك تحديد طرق التعزيز، واستخدام المناسب منها، ومن مميزاته أيضاً تجزئة الوحدة التعليمية المراد تعلمها إلى أجزاء صغيرة بحيث يتعلمها التلاميذ على خطوات متعددة متسلسلة، يتبع تعلُم كل خطوة أو كل وحدة تقييم وتغذية راجعة لمستوى الأداء، ولا يتم انتقال تعلم الجزئية اللاحقة للوحدة إلا بعد تعلمه الجزئية السابقة لها وهكذا. ومن المميزات الأخرى للتعلم المبرمج صياغة الأهداف في صورة سلوك للتلاميذ قابل للملاحظة والقياس باعتبار ذلك أساس بناء وحدات البرنامج من ناحية، ولتحديد محكات يمكن بالاستناد إليها تحديد مستوى إتقان التلميذ للمهمة المحددة في الإطار من ناحية أخرى ، لذلك فإن الاختبارات المناسبة لقياس تحصيل التلاميذ في التعلم المبرمج هي الاختبارات محكية المرجع. (جامعة عدن، 2004).

ومن المميزات الأخرى للتعليم المبرمج أنه يراعي الفروق الفردية من المتعلمين، ويحفز التلاميذ للدراسة ويساعدهم على التعلم الذاتي والتعلم خارج المدرسة، كما يسهم في معالجة تعليم الأعداد المتزايدة من التلاميذ، إضافة إلى أنه يزود المتعلم بالعلوم الحديثة المتطورة. ويتفوق التعليم المبرمج على طريقة التعليم الحالي في معدل التقدم في التعليم وفي اختصار كثير من وقت التعلّم وجهده، ويتفوق أيضاً في حجم التذكر وطول احتفاظ المتعلم بالخبرة المتعلمة في الذاكرة وفي تجريد الخبرة وتعميمها وانتقال أثر التدريب إلى مواقف عديدة. كما يمكن استخدام حوافز داخلية تكون كنتيجة منطقية لاستخدام التعزيز والاستجابة بطريقة منتظمة (مجدي ، 2002 م).

وعلى الرغم من فوائد التعليم المبرمج بالنسبة للتلميذ إلا أن له كثير من المساوئ أهمها الكلفة المالية الكبيرة التي يحتاجها إعداد المواد المبرمجة باستخدام آلات التدريس المختلفة، والزمن الكبير الذي يتطلبه تطوير هذه البرامج وكذلك تطبيقها، كما أنه مفيد بصورة أساسية من أجل تحقيق أهداف التعلم في مستوى المعلومات، ولا يساعد كثيراً في تحقيق المستويات العليا في المجال المعرفي، إضافة إلى أن التعلم المبرمج جعل التعلم يتسم بالنمطية. (جامعة عدن، 2004).

ويوجد نوعان من البرامج أو البرمجة في التعليم المبرمج، تسمى الأولى **البرمجة الخطية** وتسمى أيضاً طريقة سكنر وتستخدم عبارة السلسة أو التتابع التي تشير إلى درس مبرمج كامل أما عبارة المقرر المبرمج فتشير إلى مجموعة من التسلسلات المتعلقة بالموضوع نفسه، والإطار هو جزء من السلسلة وتكون الإطارات في ترتيب رقمي. أم النوع الآخر فهو البرمجة المتفرعة وتسمى طريقة كراودرا، فموقف التلميذ التقني يختلف عندما يواجه بآلة معطلة. فعليه أن يجد سبب العطل في الآلة بأسرع ما يمكن وأن يطرح أقل عدد من الأسئلة يستنتج منها سبب العطل وما مناص لديه من الأخطاء، ولكن الأهم أن يأخذ في اعتباره هذه الأخطاء ولا يسير في خط مستقيم، وهو يتقدم تدريجياً إلى أن يضع يده على السبب الحقيقي وعلى الرغم أن البيانات هنا غير منظمة، وأن الإجراءات غير منهجية، إلا أنها تعتبر الوسائل الوحيدة لتعزيز معلومات التلميذ وتجديدها (مرعي والحيلة، 2002)

ويتم تطوير المنهج في نموذج التعلم المبرمج وفقا للخطوات التالية:

1- تحديد الأهداف السلوكية يساعد في تجزئة المادة التعليمية إلى وحدات صغيرة يتم تعلمها بصورة تدريجية أو وفقاً لخطوات متدرجة.

2- إعداد نسخة تجريبية لوحدات صغيرة لجانب واحد من جوانب البرنامج المراد تعلمه في صورة أسئلة كثيرة، يجيب عنها الطالب أو في صورة جمل ناقصة يقوم المتعلم باستكمالها تسمى إطارات (Frames).

3- إخضاع النسخة المطورة لهذه الجزئية من البرنامج للتجريب على عدد من التلاميذ تحت إشراف أحد المشاركين في تطوير البرنامج والذي يقوم أيضاً بمراقبة أداء التلاميذ وتزويدهم بالتغذية الراجعة المطلوبة.

4- تقييم هذه الوحدة الصغيرة من البرنامج باستخدام برنامج محكي المرجع، ويصدر الحكم بأنها مقبولة إذا بلغت النتائج فيها نسبة 90% أو أكثر.
5- مراجعة الوحدة أو الجزئية من البرنامج وتطويرها في ضوء نتائج التقويم.
6- تطوير الوحدات الأخرى للبرنامج في نفس الخطوات.
7- بعد اكتمال تطوير كافة وحدات البرنامج يتم إخضاعه لمحك للتجريب مرة أخرى على مجموعات صغيرة من التلاميذ، ثم يقيم ويراجع. (جامعة عدن، 2004)

ونتيجة للأبحاث التربوية والنفسية الحديثة التي ركزت على الاهتمام بالمتعلم واعتبرته مركز العملية التعليمية ومحورها زاد الاهتمام بالتعلم الذاتي والذي يقصد به أن يتعلم الفرد بنفسه حسب قدرته واهتماماته ورغباته، وأن يصبح المعلم موجهاً له ومرشداً يساعده عند الضرورة. (عليمات، 1989).

ويعد التحصيل من المفاهيم التي شاع استعمالها في ميدان التربية وعلم النفس وذلك لمالهُ من أهمية في تحديد وقوائم الأداء الدراسي للطلبة، وهو محك أساسي يمكن في ضوءه ومن خلال الحكم على حجم الانتاج التربوي كماً ونوعاً (جروان، 1999).وقد بيّن ماكليلاند Maccleland وآخرون منذ الخمسينات أن الدافعية للانجاز والتحصيل تؤثر في حياة الأفراد والشعوب، وقد بينوا عبر دراسات مطولة ومعقمة دور الدافعية للانجاز في تقدم المجتمعات والشعوب. وقد وضع ماكليلاند في عام 1961 كتابه الشهير الشركات المنافسة The Achieving Society الذي توصل فيه من خلال دراساته إلى أن البلاد التي تتمتع بمستوى عالٍ من الدافعية للانجاز تحقق مستويات أعلى من النمو الاقتصادي، وصنف المجتمعات على أساس ما لدى أبنائها من دافعية إلى الانجاز والتحصيل.وتوج أعماله بكتابه الشامل "الدافعية الانسانية" عام 1985، (قطيم، 1989).

والدافعية للانجاز حالة داخلية مرتبطة بمشاعر الفرد وتوجه نشاطه نحو التخطيط للعمل، وتنفيذ هذا التخطيط للعمل، وتنفيذه بما يحقق مستوى محدد من التفوق الذي يؤمن به الفرد ويعتقده (ابو علام، 1993).

والطلبة الذين لديهم دافعية إنجاز يعملون بجدية أكبر من غيرهم، ويحققون نجاحات أكثر في حياتهم، وفي مواقف متعددة من الحياة وعند مقارنة الأفراد بمن هم في مستواهم من القدرة العقلية ولكنهم يتمتعون بدافعية منخفضة للتحصيل، وجد أن المجموعة الأولى تسجل علامات أفضل في اختبار السرعة في إنجاز المهمات الحسابية واللفظية، وفي حل المشكلات ، وبالحصول على علامات مدرسية أفضل، كما أنهم يحققون تقدماً أكثر وضوحاً في المجتمع (Santrock, 2003).

الدراسات السابقة:

أولاً: الدراسات التي تناولت أثر التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب على التحصيل

قام (Goldrick, 1987) بدراسة هدفت إلى تحديد ما إذا كان التعلم المبرمج كأحد طرق التعلم الذاتي بديل مقال التعليم أساسيات موضوع التحكم في العدوى لعينة من الممرضات بدلاً من المحاضرات داخل حجرة الدراسة. وقد أجريت الدراسة على عينة عشوائية مكونة من (144) ممرضة.واعتمد التصميم التجريبي للعينات غير المتكافئة، بحث قسمت العينة إلى (78) ممرضة في العينة التجريبية مقابل (66) في العينة الضابطة، وأوضح تحليل التباين لنتائج الاختبار التحصيلي البعدي وجود فرق دال احصائياً عند مستوى ($\alpha \leq$ 0,01)بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية مما يؤكد فعالية التعليم المبرمج في تدريس المادة موضوع الدراسة.

وفي دراسة حسنين (1994) تم استخدم الحاسب الآلي في المرحلة الثانوية للتعرف على مدى إمكانية إسهامه في تحقيق أهداف تدريس الفيزياء. ومنها التفكير العلمي، والتحصيل ، وقد اقتصرت في تجربتها على موضوعي قوانين الحركة لنيوتين، وقانون لجذب العام.وأجريت الدراسة على مجموعتين من طالبات الصف الأول الثانوي كل منها تتألف من40 طالبة، مع ضبط العوامل المرتبطة بالعامل التجريبي، واستغرقت الدراسة التجريبية شهرين. وأظهرت النتائج عن فروق دالة احصائياً في التفكير العلمي والتحصيل بين طالبات المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية عند مستوى ($\alpha \leq$ 0,05) مما يؤكد فعالية الكمبيوترالمعلم في التحصيل.

وفي دراسة (Kromrey, Jeffrey, 1995) تمت مقارنة فعالية كل من المحاضرة والتعلم التعاوني والتعليم المبرمج في تحقيق الأهداف التعليمية حيث تم اختيار (95) طالباً من طلاب كلية التربية

(81 طالباً و14 طالبة) قسموا عشوائياً على النحو التالي: 30 طالباً للمحاضرة، 32 طالباً للتعليم المبرمج، 33 طالباً للتعلم التعاوني، وقد اختار الباحث موضوع الأهداف السلوكية ليكون موضوع الدراسة. وقد استغرقت الدراسة أسبوعين وفي نهاية المادة تعطى المجموعات الثلاثة امتحاناً موجزاً حول الموضوع لقياس التحصيل. وقد جاءت النتائج سلبية حيث لم تكن هناك فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعات الثلاثة.

وهدفت الدراسةجمال الدين(1995) إلى دراسة فاعلية برنامج تعليم بالكمبيوتر في مادة الاحصاء على تحصيل الطلاب واتجاهاتهم نحو استخدام الكمبيوتر في التعلم، كما سعت الدراسة إلى التعرف على قدرة التغذية الراجعة من خلال الكمبيوتر على تفريد التعليم. وقد تألفت عينة الدراسة من 49 طالبة تم اختيارهم عشوائياً وتم من خلال برنامج تعليمي على الكمبيوتر بصورتين إحداهما بتغذية راجعة والأخرى بدونها، وقد اشارت النتائج الى فاعلية البرنامج في حالة وجود تغذية راجعة بالمقارنة مع عدم وجود تغذية راجعة، كما وجد اتجاه ايجابي نحو استخدام الكمبيوتر في المجموعتين.

وهدفت دراسة (موسى، 2002) الى التعرف على الاستراتيجيات التي تمكن معظم الطلاب من التعلم الفعال، وتكون مجتمع الدراسة الأصلي من طلاب الصف الأول بالمدارس الثانوية باليمن، واستخدم الباحث النص المبرمج والاختبار التحصيلي كأدوات لجمع البيانات والمعلومات، وباستخدام المنهج الوصفي التحليلي مع عينة قصدية توصل الباحث الى أن التعلم الذاتي والمفرد يوفر الوقت ويوفر الزمن ويؤدي الى اتقان عال وفهم أفضل للمادة المبرمجة.

وهدفت دراسة الصرايرة (2006) الى قياس اثر الطريقة المحوسبة لمنهاج الرياضيات والطريقة المعدلة في التحصيل والتعبير الكتابي لدى (17) طالبا وطالبة من طلبة الصف السابع الأساسي وزعوا عشوائيا على 6 مجموعات: ثلاث مجموعات للذكور (تجريبتين وضابطة) وثلاث مجموعات للاناث (تجريبيتين وضابطة) درست المجموعة التجريبية الأولى بالطريقة المحوسبة لمنهاج الرياضيات (برمجية الوزارة) في حين درست المجموعة التجريبية الثانية بالطريقة المعدلة (برمجية الوزارة+اوراق عمل كتابية) واعد الباحث أداتين: اختبارا تحصيليا واختبارا في التعبير الكتابي وتحقق الباحث من صدق الأداتين وفق الأسس المعتمدة، أظهرت نتائج الدارسة وجود فرق جوهري دال احصائيا عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0,05$) بين متوسطات علامات طلبة المرحلة الأساسية المتوسطة بين المجموعة التجريبية التي درست بالطريقة المحوسبة والمجموعة التجريبية التي درست الطريقة المعدلة لصالح المجموعة التجريبية التي درست بالطريقة المعدلة.

وهدفت دراسة نوفل والعبسي (2006) الى استقصاء اثر برنامج تعليمي- تعلمي محوسب في تنمية مهارة التقدير في الرياضيات لدى تلاميذ الصف الثالث الأساسي في الاردن، ولتحقيق هذا الهدف تم تطوير برنامج تعليمي – تعلمي وتطبيقه على عينة مكونة من (86) تلميذا وتلميذة، وزعوا على مجموعتين: تجريبية تعرضت لتطبيق البرنامج التعليمي، وضابطة تعلمت بالطريقة التقليدية وبعد تطبيق البرنامج التعليمي تم تطبيق اختبار التقدير.وبعد استخدام اختبار(ت) للإجابة عن أسئلة الدراسة أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى الى تطبيق البرنامج التعليمي المحوسب لصالح تلاميذ المجموعة التجريبية.

وفي دراسة (Poppletion, P.K & Austrwick. K, 2011) تم تطبيق طريقتين للتعلم المبرمج على مجموعتين من الطلاب من مستوى السنة الأولى بحيث تقوم المجموعة الأولى والمؤلفة من 20 طالب بالاستجابة على البرمجية أما المجموعة الثانية وعددها (36) طالب فتستجيب على نفس المادة ولكن بصورة كتاب مقررtext book . وقد وصلت المجموعتين الى نفس مستوى التحصيل لكن وجد ان مجموعة البرمجية تعلمت بشكل أفضل من مجموعة الكتاب المقرر (النص).

ثانياً: الدراسات التي تناولت التعليم المبرمج بمساعدة الحاسوب وأثره في دافعية الانجاز.

تعددت الدراسات التي تناولت استخدام الحاسوب في التدريس وأثره على التحصيل بالرغم من وجود بعض الدراسات التي أشارت إلى أثر استخدام التدريس على دافعية الانجاز، ومن هذه الدراسات

دراسة الحسناوي (2006) التي أظهرت أن استخدام الانترنت والحاسوب لتزويد الطلبة بمعلومات اضافية عن مادة الالكترونيات كان لها أثراً ايجابياً في زيادة دافعية الطلبة للتعلم.

وهدفت دراسة (أبو زعرور، 2003) إلى التعرف على اثر استخدام لغة فيجوال بيسك على التحصيل الآتي والمؤجل لطلبة الصف السابع الأساسي ودافع انجازهم في تعلم الرياضات في مدينة نابلس وقد تم تطبيق أدوات الدراسة على عينة من (140) طالباً وطالبة بعد توزيعهم غلى شعبتين تجربتين وشعبتين ضابطتين وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عن مستوى(α>0,01) بين متوسطات التحصيل العلمي تعزي لطريقة التعليم ولصالح البرنامج المحوسب، كما توجد فروق ذات دلالة

إحصائية عند مستوى (α>0,01) في التحصيل العلمي لصالح الاختبار المؤجل كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (α>0,01) بين متوسطات دافع الانجاز الآني والمؤجل لطلبة الصف السابع تعزى لطريقة التعليم ولصالح البرنامج المحوسب.
لكن في حدود اطلاع الباحثين لم توجد إلا دراسة واحدة قديمة تناولت أثر التعليم المبرمج في دافعية الانجاز وهي دراسة (J.Hartly&others,1971) التي تم فيها تطوير إستبيان في مدرسة ثانوية لقياس الدافعية للإنجاز ، وبعد التحقق من صدقه وثباته تم اعتماده في توزيع الطلبة إلى ثلاث مجموعات حسب دافعية الإنجاز الأكاديمي (دافعية مرتفعة،دافعية متدنية ، دافعية متدنية ومرتفعة) وبعد ستة أسابيع من تطبيق النص المبرمج أظهرت النتائج عدم وجود فروق بين المجموعات الثلاثة في الأداء على الاختبار التحصيلي ، وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة في اتجاهات المجموعات الثلاثة نحو التعلم المبرمج.

تعليق على الدراسات السابقة:

يحتل التحصيل مكانة بارزة في المجتمع نظراً لأهميته في حياة الفرد في مستقبله الوظيفي، وحيث أن هناك عوامل خارجية تتعلق بالأسرة والمجتمع والمؤسسات التعليمية. وبمصادر التعلم والتكنولوجيا التي تساهم جميعها في دافعية الفرد نحو الانجاز والنجاح والتميز، جاءت هذه الدراسة لتبين أثر تطبيق التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب في تحصيل الطلبة في مادة الإحصاء وفي تنمية دافعيتهم للانجاز.وقد أشارت معظم الدراسات السابقة إلى الدور الايجابي للتعلم المبرمج أو حتى لتوظيف الحاسوب في التحصيل.كما أظهرت أهمية توظيف الحاسوب في زيادة دافعية الانجاز الأكاديمي، وكذلك دراسة أثر النص المبرمج في التحصيل .لكن تبقى هذه الدراسة مختلفة عن الدراسات السابقة في كونها تستقصي أثر توظيف التعلم المبرمج المحوسب وليس المكتوب نصاً في التحصيل ودافعية الإنجازفي المستوى الجامعي وذلك بتطبيقه على وحدة محوسبة من مساق الاحصاء التربوي التي تعتبرمن المواد الاجبارية في خطة تخصص معلم الصف في الجامعة،في حين إهتمت معظم الدراسات السابقة بمواد تعليمية مدرسية .

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة بالإجابة عن السؤال التالي:
ما أثر التعلم الالكتروني المبرمج في تحصيل طلبة كلية العلوم التربوية في الإحصاء وفي دافعية الانجاز الأكاديمي لديهم؟
وتفرعت عن السؤال السابق الأسئلة التالية:
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدراسة ($\alpha \leq$ 0,05) في تحصيل طلبة المجوعتين التجريبية والضابطة في مادة الإحصاء تعزى إلى طريقة التدريس (التعلم المبرمج المحوسب، والطريقة التقليدية) ؟
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائيةعند مستوى($\alpha \leq$ 0,05) في دافعية الانجاز لدى طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة تعزى إلى طريقة التدريس (التعلم المبرمج المحوسب ، الطريقة التقليدية).
فرضيات الدراسة:
-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدراسة ($\alpha \leq$ 0,05) في تحصيل طلبة المجوعتين التجريبية والضابطة في مادة الإحصاء تعزى إلى طريقة التدريس (التعلم المبرمج المحوسب، والطريقة التقليدية) ؟
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدراسة ($\alpha \leq$ 0,05) في دافعية الانجاز لدى طلبة المجوعتين التجريبية والضابطة في مادة الإحصاء تعزى إلى طريقة التدريس (التعلم المبرمج المحوسب، والطريقة التقليدية) ؟

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية الدراسة في الكشف عن أثر التعلم المبرمج ا لمحوسب على التحصيل ودافعية الانجاز الأكاديمي لدى طلبة كلية العلوم التربوية والآداب . كما تتبدى أهمية هذه الدراسة في إظهار الفائدة العملية للتعلم المبرمج المحوسب في رفع تحصيل الطلبة في مادة الإحصاء وفي تنمية دافعيتهم للانجاز.كما تتضح أهمية الدراسة في الاستفادة من أدوات الدراسة التي تم إعدادها في سياق البحث في دراسات مستقبلية.كما تأتي أهمية الدراسة في إطار الاهتمام العالمي بالحاسوب والتحصيل الدراسي في المستوى الجامعي في الجامعة وذلك لأهمية اكتساب الطالب للمهارات الاحصائية الأساسية في دراساته وأبحاثه المستقبلية.

التعريفات الإجرائية

1) **التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب**: طريقة التعليم باستخدام بوابات الانترنت سواء كان عن بعد او في غرفة الصف وذلك لإيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة.
2) التحصيل: علامة الطالب في اختبار التحصيل البعدي في الإحصاء الذي أعد لغايات هذه الدراسة في وحدة منحنى التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية حيث يقيس الاختبار مقدار ما اكتسب الطالب من مفاهيم ومهارات للمادة العلمية في الوحدة.
3) دافعية الإنجاز: الدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس الدافعية للانجاز المستخدم في هذه الدراسة.

محددات الدراسة:

ستعمم نتائج هذه الدراسة في ضوء المحددات التالية:

- اقتصرت الدراسة على عينة طلبة كلية العلوم التربوية والآداب التابعة لوكالة الغوث الدولية/ الاونروا من مستوى السنة الأولى.
- اقتصرت الدراسة على تدريس وحدة منحنى التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية، ويعتمد تعميم النتائج على درجة صدق وثبات اختبار التحصيل ومقاييس دافعية الانجاز.

الطريقة والاجراءات:

تصميم الدراسة:

تعتبر هذه الدراسة شبه تجريبية حيث تحاول دراسة اثر التعلم المبرمج المحوسب على التحصيل الدراسي لدى الطلبة المسجلين في مساق الإحصاء التربوي لذلك يمكن تصنيف متغيرات الدراسة كما يلي:

1- المتغير المستقل: ويمثل طريقة التعلم المبرمج المحوسب لمادة الإحصاء.

2- المتغير التابع في الدراسة هو التحصيل الأكاديمي،و دافعية الانجازالأكاديمي.

عينة الدراسة

تم اختيار عينة عشوائية عنقودية من طلبة كلية العلوم التربوية الجامعية التابعة لوكالة الغوث الدولية من مستوى السنة الأولى وعددهم (76) طالبا وطالبة موزعين على مجموعتين تجريبية تعرضت لتطبيق المادة المحوسبة المبرمجة وضابطة تعلمت بالطريقة التقليدية.

ادوات الدراسة:

أولا: مقياس التحصيل الأكاديمي: استخدم اختبار تحصيل في مادة الإحصاء التربوي لقياس اثر التعلم المبرمج المحوسب في التحصيل الأكاديمي لدى طلبة السنة الأولى في كلية العلوم التربوية والآداب / الاونروا.

وقد تم إعداد اختبار التحصيل لوحدة التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية ملحق(1) ضمن مستويات معرفية مختلفة (معرفة، فهم واستيعاب، تطبيق، عمليات عقلية عليا) وتشكل الاختبار في صورته النهائية من (15) فقرات من نوع الاختبار من متعدد حيث كانت عدد البدائل (4) لكل فقرة ،و6 فقرات في سؤال مقالي أما خطوات بناء الاختبار فتمثلت بما يلي:

1- تحليل مستوى الوحدة ثم تحديد الأهداف السلوكية للوحدة، وإعداد جدول مواصفات.
2- صياغة (25) فقرة للاختبار في صورته الأولية.
3- عرض الصورة الأولية للاختبار وجدول المواصفات المعدلة على مجموعة محكمة من ذوي الخبرة، وفي ضوء ملاحظاتهم تمت صياغة فقرات الاختبار بصورتها النهائية، وبذلك تم التحقق من صدق المحتوى لهذا الاختبار.
4- حساب معامل ثبات الاختبار بتطبيق الاختبار على عينة استطلاعية (30 طالبا) من خارج نطاق عينة الدراسة ومن ثم حساب معامل الثبات باستخدام معادلة كودر ريتشاردسون (KR-20) وقد بلغ معامل الثبات الداخلي(0,78) وهي قيمة مقبولة لأغراض الدراسة الحالية.

ثانياً:مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي :

تم استخدام مقياس (كنعان، 2003) الذي بتكون من (36) فقرة ملحق(2) ، وقد توفر للمقياس دلالات جيدة للصدق والثبات ،وقد تم في هذه الدراسة التحقق من صدق المقياس من خلال عرضه على مجموعة من المحكمين المختصين في التربية وعلم النفس حيث تم إقراره واعتماده في هذه الدراسة . وقد تم التوصل إلى مؤشرات عن ثبات الدرجات على مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي بطريقتين :

1. الثبات بالإعادة : أجريت دراسة الثبات باستخدام طريقة الإعادة على عينة مؤلفة من (30) طالبا وطالبة وبفاصل زمني عشرة أيام بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني ، وقد كان معامل الثبات المحسوب بطريقة الإعادة والناتج من معامل ارتباط بيرسون بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني مساويا 0,85 وهي قيمة مناسبة لأغراض هذه الدراسة.
2. الثبات بطريقة الاتساق الداخلي : لقد استخدمت معادلة كرونباخ الفا لإيجاد معامل الاتساق الداخلي بدلالة إحصائيات الفقرة للدرجات المتحققة لعينة الدراسة على فقرات المقياس وقد وجد أن قيمة معامل الاتساق الداخلي تساوي 0,82 وهذا يؤكد الاتساق الداخلي للمقياس.

ثالثاً: مادة التعلم المبرمج المحوسبة ملحق(3) CD

هي عبارة عن جميع الأهداف السلوكية للوحدة التي أعدتها الباحثة بصورة أنشطة وتمارين ، وقامت أحدى المبرمجات ببرمجتها وإعادة تصميمها وتحويلها إلى لوحات الكترونية يتبع كل منها تغذية

راجعة فورية مع مراعاة المؤثرات الحركية والألوان في البرمجة والتصميم وقد بلغ عدد اللوحات (30) لوحة الكترونية شملت جميع أهداف وحدة منحنى التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية.

صدق مادة التعلم المبرمج المحوسبة:

للتحقق من صدق مادة التعلم المبرمجة المحوسبة تم عرضها على مجموعة من المحكمين (سبعة محكمين) من حملة درجة الدكتوراه في التربية ومن حملة درجة الماجستير في برمجة الحاسوب، الصدق التجريبي لمادة التعلم المبرمج المحوسبة وفي ضوء ملاحظات واقتراحات المحكمين تم إجراء التعديلات اللازمة.

تم تجريب المادة المحوسبة على عينة استطلاعية من طلبة مساق الإحصاء التربوي وعددهم 20 طالب وطالبة من غير عينة الدراسة وفي ضوء نتائج التجريب تمت معالجة بعض أخطاء الطباعة في المادة المحوسبة، وتغيير بعض الألوان المستخدمة لتكون أكثر وضوحاً وتصبح المادة جاهزة للاستخدام من قبل الطلبة.

نتائج الدراسة ومناقشتها

أولاً: النتائج المتعلقة بتكافؤ التحصيل لمجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة قبل تطبيق التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب:

تم اعتماد الامتحان الأول لمادة الإحصاء التربوي لعينة الدراسة في توزيع طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة حيث تم التحقق من تكافؤ المجموعتين قبل إجراء التجربة وذلك من خلال دراسة الفرق بين المتوسطات الحسابية لعلامات الطلبة لشعب مساق الإحصاء في الامتحان الأول باستخدام اختبار(ت) للعينات المستقلة ويبين جدول (1) نتائج اختبار(ت)

جدول (1): نتائج اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطات علامات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة في الامتحان الأول لمادة الإحصاء.

المجموعة	عدد الطلاب	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	مستوى الدلالة
تجريبية	38	13,62	3,15	1,08	0.07
ضابطة	38	12,62	2,75	1,08	

تظهر النتائج الواردة في الجدول(1) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0,05$) بين متوسطي المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على الامتحان الأول لمادة الإحصاء التربوي وهذا يعني ان المجموعتين متكافئتان في التحصيل القبلي لمادة الإحصاء التربوي.

ثانياً: النتائج المتعلقة بأثر التعليم المبرمج بمساعدة الحاسوب في تحصيل طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة في وحدة منحنى التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية.

بعد تطبيق الاختبار التحصيلي وحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة، تمت دراسة الفرق بين المتوسطات الحسابية لعلامات الطلبة في المجموعتين على اختبار الإحصاء في وحدة التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية ويوضح جدول (2) نتائج اختبار ت للمقارنة بين متوسطات علامات تلاميذ المجموعتين التجريبية والضابطة في مادة الإحصاء بعد تدريس الطلبة للوحدة بطريقة التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب.

جدول (2) : نتائج اختبار(ت) للمقارنة بين متوسطات علامات المجموعتين التجريبية والضابطة بعد تطبيق التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب.

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدلالة الإحصائية
تجريبية	38	15,71	2,58	6,38	*0.000
ضابطة	38	11,58	3,04	6,38	*0.000

***مستوى الدلالة** ($\alpha \leq 0,05$)

يظهر من الجدول (2) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى($\alpha \leq 0,05$) بين متوسطي المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية وهذا يؤكد فاعلية التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب في زيادة تحصيل الطلبة في مادة الإحصاء ضمن الحدود الزمانية والمكانية وفي العينة المستخدمة في هذه الدراسة وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Goldrick, 1987) ودراسة حسنين (1994) ودراسة جمال الدين (1995) ودراسة موسى(2002) التي أظهرت فاعلية التعلم الذاتي والمفرد وفاعلية النص المبرمج في التعليم، وتتفق هذه الدراسة أيضا مع دراسة (Proppletion, P.K. Austrick, k, 2011)التي أظهرت أهمية المادة المبرمجة بالمقارنة مع المادة المكتوبة (text book) كما تتفق الدراسة في نتيجتها مع دراسة الصرايرة (2006) التي دعمت التعلم بمساندة الحاسوب بأوراق عمل أدت غلى زيادة التحصيل بالمقارنة مع الطريقة المحوسبة بدون أوراق عمل كما تتفق هذه

الدراسة مع نتائج دراسة نوفل والعبسي (2006) في كونها تؤيد وتدعم استخدام البرنامج التعليمي المحوسب في تنمية مهارة التقدير في الرياضيات بالمقارنة مع الطريقة التقليدية.

لكن لأسباب قد تتعلق بالعينة المختارة أو ظروف التطبيق مع بعض الدراسات قد تأتي النتائج سلبية وذلك بأن لا توجد فروق سواء استخدام الباحث الطريقة التقليدية أو التعلم المبرمج أو التعلم التعاوني، كما جاء في دراسة (Kromey& Jeffrey) التي لم تتفق نتائجها مع نتائج هذه الدراسة التي أظهرت فاعلية التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب في إتقان وفهم المادة التعليمة وفي زيادة التحصيل لدى الطلبة.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بتكافؤ دافعية الانجاز لمجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة في الأداء القبلي على مقياس دافعية الانجاز:

تم تطبيق مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي على أفراد المجموعتين الضابطة والتجريبية قبل البدء بإجراءات تجربة التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب وذلك للتأكد من تكافؤ المجموعتين في دافعية الانجاز الأكاديمي ويبين الجدول (3) نتائج اختبار (ت) للعينات المستقلة للمقارنة بين متوسطات الأداء القبلي للمجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي.

جدول (3): نتائج اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطات الأداء القبلي على مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي للمجموعتين التجريبية والضابطة

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدلالة الإحصائية
تجريبية	38	111,89	21,22	1,81	0,07
ضابطة	38	118,89	10,87	1,81	

يظهر من الجدول (3) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0,05$) في متوسطات طلبة المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي القبلي وهذا يعني ان المجموعتين متكافئتين من حيث دافعية الانجاز الأكاديمي قبل تطبيق التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب.

رابعاً: النتائج المتعلقة بأثر التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب على دافعية الانجاز الاكاديمي البعدي لدى المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة :

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات الطلبة في المجموعتين التجريبية والضابطة على مقياس دافعة الانجاز الأكاديمي البعدي و ذلك لدراسة الفرق بين متوسطات الأداء على المقياس للمجموعتين قبل تطبيق التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب ، ويوضح جدول (4) نتائج تطبيق اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطات درجات دافعية الانجاز للمجموعتين الضابطة التجريبية.

جدول (4): نتائج اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطات درجات دافعية الانجاز للمجموعتين التجريبية والضابطة.

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدلالة الإحصائية
تجريبية	38	130,61	17,49	4,89	*0.000
ضابطة	38	115,56	9,76	4,89	*0.000

*($\alpha \leq 0,05$)

تشير نتائج اختبار (ت) في الجدول (4) إلى أن هناك فروق في دافعية الانجاز الأكاديمي ذات دلالة إحصائية عند مستوى($\alpha \leq 0,05$) تعزي إلى التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب وهذا يعني أن هناك أثر لطريقة التعلم في دافعية الانجاز وبالرجوع إلى الجدول (4) فإن الفروق في الأداء على مقياس دافعية الانجاز الأكاديمي لصالح المجموعة التجريبية حيث أن متوسط أداء المجموعة التجريبية 130,61 في حين أن متوسط اداء المجموعة الضابطة 115,56 بفرق مقداره (15,05) لصالح المجموعة التجريبية، ويمكن أن نعزو هذه النتيجة إلى خلو المادة التعليمية المبرمجة من اية تعقيدات تسبب الملل عند الطلب إضافة إلى عنصر التشويق والتفاعل النشط في متابعة التمارين من خلال التغذية الراجعة الفورية التي تقدم للطالب بعد كل تمرين مما يحفزه ويدفعه على التواصل ومتابعة التمارين، حيث أن أسلوب التعلم المبرمج يعتمد التركيز على المحتوى وعلى نتائج عملية التعلم وعلى التواصل في تقديم التمارين المتدرجة من السهل إلى الصعب والتي تعتمد كل جزئية من جزيئات المادة العلمية، إضافة إلى تعلم الطالب بالطريقة التي تناسبه وإمكانية رجوعه إلى تمارين سابقة لمراجعة وتعزيز التعلم بالمقارنة مع الطريقة التقليدية التي يفترض فيها تساوي جميع الطلبة في سرعة تعلمهم، والتركيز على تدفق وحشو المعلومات دون إعطاء الطالب الفرصة في الرجوع إلى اي تمرين سابق يعزز إتقانه وفهمه لهدف معين في المادة التعليمية المقدمة له، فالتعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب الذي ييسر عملية التعلم يعزز دافعية الطالب نحو التعلم ويزيدها، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الحسناوي (2006) كما تتفق مع دراسة (ابو زعرور،

2003) التي تعزز استخدام التغذية الراجعة في زيادة الدافعية للانجاز. وتختلف نتائج هذه الدراسة مع دراسة (J.Hartly&others,1971) التي أظهرت عدم وجود فروق بين المجموعات الثلاثة لمستويات دافعية الانجاز في الأداء على الاختبار التحصيلي بعد تطبيق التعلم المبرمج.

التوصيات:

1. توظيف التعلم المبرمج في مجال التعليم والتعلم وجعل الطالب محور العملية التعليمية من خلال مشاركته الفاعلة في حل التمارين وإعطائه فرص لتصحيح أخطائه ومناقشتها.
2. تدريب المعلمين على تصميم الدروس وتقويمها وفقاً للتعلم المبرمج
3. أجراء المزيد من الأبحاث في أسلوب التعليم المبرمج باستعمال الحاسوب بدل الكتب المبرمج.
4. تشكيل لجنة متخصصة للتخطيط لإعداد برامج تعليمية محوسبة في كل المواد التعليمية

المراجع العربية:

1. ابو زعرور (2003) **اثر استخدام التعليم بمساعدة الحاسوب بلغة فيجوال بيسك على التحصيل في الرياضيات ودافع الانجاز الآني والمؤجل لطلبة الصف السابع الأساسي في مدينة نابلس** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2. أبو علام، رجاء(1993) **علم النفس التربوي**، ط6، الكويت: دار القلم.
3. جامعة عدن(2004) مدخل إلى طرائق التدريس، دار جامعة عدن للطباعة والنشر.
4. جروان، فتحي عبد الرحمن (1999) **تعلم التفكير، مفاهيم وتطبيقات**، دار النفائس، بيروت، لبنان.
5. جمال الدين، هناء (1995) **فاعلية برنامج تعليمي بالكمبيوتر في مادة الإحصاء على تحصيل الطلاب واتجاهاتهم نحو استخدام الكمبيوتر في التعلم**،رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية،جامعة القاهرة.
6. الحسناوي، موفق عبد العزيز(2006) اثر استخدام كل من الانترنت والحاسوب في تدريس الكترونيات القدرة الكهربائية في دافعية الطلبة للتعلم واتجاهاتهم نحوهما، **مجلة العلوم الإنسانية**، مجلد عدد(32)، 2007.
7. حسنين، أماني أحمد (1994) **اثر تدريس العلوم بمصاحبة الحاسب الآلي على تنمية التفكير العلمي والتحصيل لدى طلاب المرحلة الثانوية** .رسالة ماجستير غير منشورة،معهد الدراسات والبحوث التربوية،جامعة القاهرة.
8. الحيلة، محمد محمود (1998) **تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق**، عمان، دار المسيرة للطباعة والنشر.
9. الصرايره، فارس (2006) **اثر الطريقة المحوسبة لمنهاج الرياضات والطريقة المعدلة في التحصيل والتعبير الكتابي لدى طلبة المرحلة الاساسية المتوسطة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.
10. العجلوني، خالد، وابو زينة، مجدي (2006) تصميم حقيبة تعليمية محوسبة ودراسة أثرها في تحصيل طلبة المرحلة الثانوية في الفيزياء، **مجلة العلوم التربوية والنفسية**، مجلد 7 العدد 3، 152-173.
11. عليمات، محمد مقبل (1989) صيغ التعليم الذاتي في التعليم الجامعية، **المجلة العربية لبحوث التعليم العالي**. العدد 10، ص77.
12. فطيم، لطفي محمد (1989)العلاقة بين عادات الاستذكار والتحصيل الأكاديمي لدي طلبة وطالبات كلية البحرين الجامعية **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، السنة التاسعة، العدد 36.
13. **كنعان**،صفوت جابر(2003) العلاقة بين مفهوم الذات **ودافعية الانجاز** الاكاديمي لدى طلبة جامعة اليرموك.رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك.
14. مجدي، عزيز إبراهيم، (2002) **المنهج التربوي وتحديات العصر**، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية.
15. مرعي، توفيق احمد، والحيلة، محمد محمود(2002) **تفريد التعليم**، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
16. موسى، محمد المعتصم، (2002) **تفريد التعليم وأثره على إتقان التعلم في مادة الكيمياء**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة الخرطوم.
17. نوفل، محمد، والعبسي، محمد(2006) اثر برنامج تعليمي، تعلمي محوسب في تنمية مهارة التقدير في الرياضيات لدى تلاميذ الصف الثالث الأساسي، **مجلة العلوم التربوية والنفسية** المجلد7، العدد4، ص208-227.

المراجع الأجنبية:

- Goldrick, Barbara Ann Petrocchi (1987) **Effectiveness of Programmed instruction in teaching the principles of infection control to inservice nurses,** ph.D, the University of connecticuts .
- Hartley, J, Holt, J,andHogarth, F. W. (1971). Academic motivation and programmed tearnining, British Journal of Educational psychology, 41:171-183
- Kromrey, Jeffrey (1995) Acomparison of lecture, Cooperative. Learning and programmed instruction at the college level/Daniel M. Purdom. **Studies in Higher Education** vol.20 No.3 P341

- Poppletion, p.k and Austwick, k. (2011) **A comparison of programmed learning and Note making at two age levels** Retrieved 2/12/2013 From http: onlinelibrary. Wiley.com.
- Santrock,J.(2003) **Psychology**, McGrowhill, Bostorn

ملحق (1)

اختبار تحصيلي في وحدة منحنى التوزيع الطبيعي والدرجات المعيارية

السؤال الأول : (9 علامات) : : ضع دائرة حول رمز إجابة صحيحة واحدة فقط فيما يلي:

1) حصل طالب في اختبار رياضيات على العلامة(85) ، وكان متوسط الدرجات لهذا الاختبار (77) ،والانحراف المعياري 4 فان العلامة المعيارية لهذا الطالب هي :-

أ) -0.5 ب) 0.5 ج) - 2 د) 2

2) إذا كانت الدرجة المعيارية لعلامة طالب في اختبار تساوي صفر هذه الدرجة تعبر عن درجة :

أ) عالية ب) ضعيفة ج) متوسطة د) لا نستطيع الحكم

3) أي الجمل التالية تعتبر <u>غيرصحيحة</u> لمنحنى التوزيع الطبيعي المعياري:

أ) المساحة تحت المنحنى يساوي (1).

ب) المساحة بين أي قيمتين موجبتين من قيم ز دائما أكثر من 50%

ج)المساحة إلى يسار أي قيمة موجبة من قيم ز أكثر من 50%.

د) المنحنى متماثل حول المحور العمودي.

4) الطالب الذي يحصل على العلامة 15 في اختبار متوسط درجاته 25 وانحرافه المعياري 5 يعني أن هذه الدرجة :

أ. تفوق المتوسط بثلاث انحرافات معيارية ب. تفوق المتوسط بانحرافين معياريين

ج. تقل عن المتوسط بانحرافين معياريين د. تقل عن المتوسط بثلاث انحرافات معيارية

5) نسبة الدرجات التي تقل عن انحراف معياري واحد فوق الوسط تعادل :-

أ) 34% ب)84% ج) 16% د) 1%

6) التوزيع الطبيعي المعياري هو توزيع وسطه وانحرافه المعياري على الترتيب هو :-

أ) (0 ، 1) ب) (1، 0) ج) (0، 0) د) (1، 1)

7) لتقدير متوسط أعمار الطلبة في الجامعة العربية المفتوحة تم تقدير ذلك من متوسط احدى الشعب في الجامعة فإن القيمة التي تم حسابها في هذه الحالة تدعى :-

أ) مجتمع ب) عينة ج) معلم د)إحصائي

8) ما علامة طالب تنحرف علامته (3) انحرافات معيارية دون الوسط الحسابي الذي قيمته (30) . علما بأن الانحراف المعياري يساوي (4) ؟

أ) 42 ب)34 ج)18 د)30

9) اذا علمت أن مجتمعا احصائيا يتوزع توزيعا طبيعيا بوسط=100 وانحراف معياري =20،وأنه تم اختيار عينة من (25) شخصا ، فان الخطأ المعياري في القياس(خطأ المعاينة) =

أ) 20 ب) 8 , ج)4 د) 20

السؤال الثاني: (6 علامات)

يتوزع الدخل الشهري لمجموعة من الأشخاص عددهم (1000) شخص توزيعا طبيعيا بمتوسط مقداره 200 دينار ،وانحراف معياري (40) احسب:

أ) عدد الأشخاص الذين يتقاضون دخلا أكثر من (240) ديناراً؟

ب) الدخل الشهري الذي يقل عنه 65% من الأشخاص؟

ج) الرتبة المئينية المقابلة للدخل الشهري 230؟

انتهت الأسئلة
مع تمنياتي لكم بالنجاح والتوفيق.

ملحق(2)

الرقم	الفقرة	درجة الموافقة				
		بدرجه عالية جدا	بدرجه عالية	بدرجه متوسطة	بدرجه قليلة	بدرجه قليلة جدا
.1	اثابر على بذل الجهد لان ذلك يساعدني على النجاح.					
.2	ابذل قصارى جهدي لاتفوق على زملائي.					
.3	اشعر بالملل من الدراسة بسبب كثرة المقررات والامتحانات.					
.4	احب النشاط والعمل داخل الصف وخارجه.					
.5	عند مناقشة زملائي حول موضوع دراسي معين أشعر بضعف الثقة بالنفس.					
.6	استفيد من وقت الفراغ واستثمره في الدراسة.					
.7	اسعي لان اكون في مستوى الطلبة المتفوقين في دراستهم.					
.8	ارغب الامتحانات التي تكون اسئلتها سهلة.					
.9	إذا انتقدني زملائي لإنجاز عمل دراسي فإنني أتفهم هذا النقد بموضوعية.					
.10	اهتم بدروسي ولا تهمني المشاغل الاخرى.					
.11	عندما لا استوعب درسا من الدروس اتركه وانصرف إلى شيء آخر لا يتعلق بالدراسة.					
.12	اعتمد في الدراسة على تصوير دفاتر زملائي للمادة الدراسية.					
.13	افضل بالمتعة عندما اطالع الكتب اللامنهجية التي تفيدني في دراستي.					
.14	افضل ساعات يومي هي التي اقضيها في احاديث عامة مع أصدقائي او في النزهة.					
.15	عند شرح موضوع دراسي إمام الطلاب القيه بكل ثقة واقتدار.					
.16	اواظب على متابعة دروسي مهما كانت الظروف.					
.17	عندما لا افهم موضوعا دراسيا معينا احاول بذل كل جهدي لفهمه.					
.18	اميل للتنافس مع الطلبة في الدراسة.					
.19	الجا إلى الغش في الامتحان عندما لا اتمكن من الإجابة على الأسئلة.					
.20	اشعر ان الوقت يمر بطيئاً في الفصل الدراسي.					
.21	اعتقد بان مرحلة الدراسة مسؤولية كبيرة يصعب تحملها.					
.22	عندما يطلب مني إبداء رايي في المحاضرة اتردد خشية النقد من الطلاب والمدرسين.					
.23	اشعر ان الدراسة مسؤولية كبيرة يصعب تحملها.					
.24	انا في سباق مع الزمن من اجل النجاح.					
.25	عندما يطلب مني إبداء رايي في المحاضرة اتردد خشية النقد من الطلاب والمدرسين.					
.26	لدي الاستعداد الكافي لاداء الامتحانات.					
.27	ابذل قصارى جهدي لرفع مستوى العلمي.					

الرقم	الفقرة	درجه الموافقه				
		بدرجه عالية جدا	بدرجه عالية	بدرجه متوسطة	بدرجه قليلة	بدرجه قليلة جدا
.28	احاول ان اجيب اسئلة المدرسين قبل ان يبادر زملائي بذلك.					
.29	احرص على تحضير دروسي قبل تقديمها.					
30	اشعر ان مستقبل المهن الحرة افضل من مستقبل مواصلة الدراسة.					
.31	ارغب في تاجيل امتحاناتي او الاعمال الفصلية إلى آخر لحظة في الفصل.					
.32	أواظب على القيام بالواجب الذي بيدي حتى يكتمل أو ينتهي					
.33	اتمنى لو إن وقت المحاضرة تم اختصاره.					
.34	حينما يختلف رايي عن اراء الطلاب الاخرين حول موضوع دراسي معين فإنني أشعر بالخجل والارتباك.					
.35	اتابع ما يبذله زملائي من جهد لكي اتفوق عليهم.					
.36	مهما ابذله من جهد للدراسة فإن الحظ هو اساس النجاح.					

النوازل العقدية في بلاد المغرب العربي

أ. صخري خرفية

اجتهد علماء المغرب العربي فى تحصيل علوم الشريعة مركزين على الحديث والفقه، ناهلين من الحجاز، حتى برعوا في ذلك، وساهموا في إقامة الدين على أصول ثابتة اعتمادا على مصادره التشريعية الواضحة، وبذلك أحرزوا تفوقا في العلوم الدينية الأمر الذي لم يسجل لهم في العلوم الفلسفية، وقد أخذوا هذا الاتجاه من مالك ورجال مذهبه، فتجنبوا الكلام في الدين والقدر، ووقفوا في حزم وحماس دون ظهوره بإفريقية مثلما كان بالمشرق، لكن رغم الحذر الشديد فقد ظهر بالمغرب، ذلك لأن وحدة الثقافة الإسلامية لابد أن تفرض وجودها، فما بالمشرق من تمازج الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات كالفارسية والهندية كان من الطبيعي أن ينتقل إلى دول الإسلام الأخرى بافريقية، فتعددت المدارس الفكرية في بلاد المغرب، وكان لبعضها ثقل مذهبي وسياسي تحميه دولة مما أكسبت تلك الاتجاهات هيمنة، وساعد شيوعها في مناطق متعددة من الشمال الإفريقي وهي:

1- الاتجاه السني ويمثله دولتا الأغالبة والمرابطين(451-541هـ) والدولة الزيرية الصنهاجية في آخر عمرها.

2- الاتجاه الخارجي: ويمثله دولة المدراريين (140-347هـ).

3- والاتجاه الإباضي: وتمثله دولة الرستميين (144-296هـ).

4- الاتجاه الرافضي وتمثله دولة العبيديين: وهذا الاتجاه كان آخر المذاهب الفكرية دخولاً لبلاد المغرب.

5- الاتجاه الاعتزالي: ويمثله دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى(172-313هـ).

6- الاتجاه المختلط وتمثله دولة الموحدين التي وضعها أبو عبد الله محمد بن تومرت في أوائل المائة الخامسة للهجرة، وهو من أصل بربري طلب العلم في العراق، واستخدم مختلف الأفكار لتحقيق أهدافه السياسية وكان يدعي أنه المهدي.

هذه أهم الاتجاهات التي ظهرت في بلاد المغرب؛ فكان الكلام في القدر ثم الاعتزال والمحنة بخلق القرآن، وقد تصدى علماء المالكية بالمغرب لهته النوازل العقدية وأولوها حقها من البحث[1]، لهذا ظهر الجدل في الشريعة أصولها وفروعها إلى جانب المجالس والمناظرات التي تنتظم للبحث في المسائل الكلامية؛ وهذا عرض لها في دول المغرب:

أولا: في الدولة الرستمية (160هـ _296هـ) التي أسسها عبد الرحمن بن رستم وهي فترة الهيمنة الإباضية والصفرية (خوارج) في المغرب العربي، هذه الفترة التي كان المغرب منقسما فيها إلى دول مستقلة عن بعضها

البعض، فكان ما يعرف بالمغرب الأدنى وهو ليبيا وتونس حاليا، والمغرب الأوسط وهو الجزائر اليوم، والمغرب الأقصى وهو المملكة المغربية.

في هذه الفترة الغنية بالأحداث في بلاد المغرب امتدت الدولة الرستمية جنبا إلى جنب مع جارتها الشرقية وهي دولة الأغالبة، ومؤسسها هو إبراهيم بن الأغلب، الذي استقل بولاية افريقية (تونس حاليا) عن الخلافة العباسية، سنة 184هـ وعاصمتها القيروان، وجارتها الغربية المتمثلة في دولة الأدارسة، نسبة إلى إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن السبط بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنه، سنة 172هـ وعاصمتها فارس، ودولة بني مدرار الصفرية أسست سنة 140هـ وعاصمتها سجلمانة وهي تقع في الجنوب الغربي من دولة الأدارسة.

لقد شهدت الدولة الرستمية خلال تاريخها الطويل بعض الخلافات والفتن، والحقيقة أن هذه الخلافات في أغلبها كانت تصدر عن الإباضية ذاتها من الفرق المنشقة عنها، حيث شغلت أفكار حركة النكار وهم أتباع يزيد بن فندين وحركة الخلفية وهم أتباع خلف بن سمح وحركة النفاثية وهم أتباع نفاث بن نصر النفوسي، قد شغلت أفكار هته الحركات تاريخ الإباضية في القرن الثالث الهجري، وتعدت إلى إباضية المشرق الذين كانوا يستفتون في تلك المسائل و لم تختلف إجابتهم عن إجابة علماء المغرب[2].

لقد لعبت التجارة دورا هاما في توافد مختلف الأجناس والمذاهب إلى تيهرت فوجد فيها الصفرية من الخوارج والواصلية من المعتزلة، ومن أهل السنة: الحنفية الذين اشتهروا بالرأي والقياس والمالكية الذين يؤكدون على السنة والأثر، كما وجد بعض الشيعة، وقد أطلق على العاصمة الرستمية تسمية عراق المغرب تشبيها لها ببلاد العراق الحافلة بمختلف المذاهب الفكرية والفقهية والكلامية، فانتحل البحث في المذاهب، وعظم الجدال وفشت المناقشة في المسائل الخلافية بين علماء الفرق.

ولقد فتح الرستميون المجال واسعا أمام حرية الفكر، فلم يضايقوا أحدا ولا طردوا مخالفا، بل إن من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك[3]، وكل واحد يطمع في استدراج الآخر إلى مذهبه.

وقد دارت مناظرات بين المعتزلة والإباضية آن ذاك ومن بين المناظرين: أبو عبيدة الأعرج، ومحمود بن بكر الذي كان مدار الإباضية ومن يذب عن عقيدتهم ويرد على مخالفيهم، وهو من أخص الناس بأبي اليقظان.

ويعتبر ابن الصغير المالكي صاحب تاريخ الرستميين من الشخصيات البارزة في تهريت في المناظرات أين ظهرت معرفته بالفقه والعقيدة[4].

---

(1) النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، عوض خليفات، دار مجدلاوي، ط1: 1980، ص 103.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، (د ت)، ج10 ص94.

(3) الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، بحاز إبراهيم بكير، مطبعة لافوميك، الجزائر، (د ت)، ص330 _333.

(4) المرجع نفسه، ص333.

وأهم ما نسجله من النوازل العقدية في الدولة الرستمية تلك الردود التي كانت من الوهبية[5] الإباضية على أقوال النكار ورأيهم في أسماء الله حيث قالوا بأنها مخلوقة، وردودهم كذلك على النفاثية حيث كان نفاث بن نصر يقول بأن الله هو الدهر الدائم، ولما سئل عن ذلك قال هكذا وجدته في الدفتر، وهو يعني كتابا بذلك العنوان لا يعرف عنه شيء، وقوله هذا قد جعل الإمام أفلح يرسل إليه كتب عديدة يعظه تارة ويأمره بالتوبة من اعتقاداته الباطلة تارة أخرى معنفا إياه[6].

وهناك مناظرات بين الإباضية والمعتزلة أشار إليها ابن الصغير المالكي الفقيه المؤرخ وقال بأنها كانت تجري بنهر مينة، و لم يكن الإمام عبد الوهاب الإباضي بالقوي على رد كل شبه الواصلية المعتزلة؛ مما دعاه إلى استمداد العون من نفوسة (ليبيا) التي كان بها عدد كبير من علماء الإباضية؛ واستعان بالشيخ مهدي النفوسي فقصد تيهرت مع ثلاثة من أصحابه كل واحد اختص في فن من العلم أو المبارزة[7].

ثانيا: وفي دولة الأدارسة (172هـ _223هـ) في المغرب الأقصى تم توحيد القبائل المتنازعة من البربر والعرب واشتركوا جنبا إلى جنب في جيش الأدارسة للقضاء على الخوارج[8]، ومما يعكس التقارب الإيجابي بين المذاهب في هذه الفترة أن الأدارسة كانوا علويين شيعة والقضاء في دولتهم على المذهب المالكي، لقد كان الأئمة الأدارسة يعتبرون أنفسهم أئمة المسلمين بصرف النظر عن هوياتهم المذهبية، فالمذاهب لا تخالف جوهر الدين فلا مانع لدهم من أن يطبق الفقهاء في دولتهم مذهب الإمام مالك، ولعل سلوك التقارب عندهم مبني على موقف الإمام مالك حيث أيد ثورتهم ضد العباسيين سنة 145هـ.

وقد عين الإمام إدريس الثاني عامر بن محمد بن سعيد قاضيا وذلك في سنة 189هـ عندما وفدت عليه الوفود من الأندلس وإفريقيا، وقد كان عامر رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروي عنهما كثيرا، وكان يحكم وفق المذهب المالكي الذي انتشر في الغرب والأندلس في نهاية القرن الثاني الهجري.

ثالثا: وأما في الدولة العبيدية (296هـ _362هـ) فأول ما نستهل به من النوازل العقدية في هذه الفترة ذكر مناظرات محمد ابن سحنون الذي قدم إلى القيروان سنة 191هـ ، فهو إمام أرباب الجدل المالكيين بها، وقد أبلى

---

(5) الوهبية هم إباضية أتباع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وهو فارسي الأصل، من سلالة الملك الفارسي، وقد كان جده مولى للخليفة عثمان بن عفان نشأ وتربى في بيئة عربية من العراق إلى القيروان وقد اتصل بسلمة بن سعيد الداعية الاباضي وتأثر به ثم طلب العلم بالعراق وعاد إلى المغرب وبويع بالإمامة من طرف اخوانه في المذهب وكان بذلك أول إمام لأول دولة إباضية إسلامية في المغرب الأوسط_ الجزائر_ عرفت بالدولة الرستمية. (انظر: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، البارون سليمان بن عبد الله النفوسي، مطبعة الأزهار البارونية، مصر، (د ت)، ج2 ص190)

(6) المرجع نفسه، ج2 ص199.

(7) انظر: سير الأئمة وأخبارهم، لأبي زكريا يحي بن أبي بكر، تحقيق: اسماعيل العربي، اصدارات المكتبة الوطنية، الجزائر، ط: 1399هـ _1979م، ص69.

(8) انظر: دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي، سعدون عباس نصر الله، دار النهضة العربية، بيروت، ص136.

البلاء الحسن في الرد على المعتزلة والشيعة العبيديين، ومن مناظراته في ذلك تعجيزه لأبي سليمان النحوي بسؤال لم يجد له مناظره جوابا فكان السؤال الأول والأخير في المناظرة، قال ابن سحنون لأبي سليمان: (أرأيت كل مخلوق هل يذّل لخالقه؟)، فانتظر الحاضرون جواب أبي سليمان النحوي وقتا طويلا دون جدوى، وسئل ابن سحنون عن معنى سؤاله فقال: (إن قال كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر، لأنه جعل القرآن ذليلا، لأنه يذهب إلى أنه مخلوق وقد قال الله عز وجل: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)) [فصلت]، وإن قال لا يذل فقد رجع إلى مذهب أهل السنة لأنه لا يذهب في هذه الحالة إلى أنه مخلوق الذي هو صفة من صيفاته[9].

ومن اجابات الشيخ ابن سحنون الدقيقة المبهرة للمعتزلة ما حدث حين حاول سليمان الفراء إمام المعتزلة بالقيروان أن يورطه فيقول بحدوث الأسماء والصفات دون أن يشعر، فسأله: (يا أبا عبد الله، الله سمى نفسه ؟) فأجاب ابن سحنون في غاية السرعة بما قوى المذهب السني وزاده حجة وقال: (الله سمَّى نفسه لنا _لم يزل_ وله الأسماء الحسنى)، فنجا بغاية الحنكة من القول بحدوث الصفات على مذهب المعتزلة إضافة لذكره الحجة القوية في ذلك.

كما نجا في موقف أخر من القول بالمنزلة بين المنزلتين على مذهب المعتزلة حينما دفعه الأمير إبراهيم بن أحمد لذلك بسؤاله إياه: (ما تقول في يزيد؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما أقول ما قالت الإباضية ولا ما قالت المرجئة، قال: وماذا قالتا؟ قال: قالت الإباضية: إن من أذنب ذنبا فهو من أهل النار، وقالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد، أتى يزيد عظيما جسيما ويفعل الله في خلقه ما أحب) ثم انصرف[10]، وهنا قد أجاب ابن سحنون جواب سني وتخلص من القول بأن يزيد بن معاوية فاسق أي تجنب القول بالمنزلة بين المنزلتين _ منزلة الكفر ومنزلة الإيمان_ وتجنب قول المرجئة الذين يسقطون العمل من تعريف الإيمان، في موقف يعسر على من لم يحصل علمه أن يخرج منه سالما.

هذه جملة من مناظراته وله غيرها مما تظهر فيها براعته العقلية الممتازة في المسائل الكلامية وقوة حجاجه فيها ولعل فارس الميدان في المناظرات المتصدي للنوازل العقدية بعد ابن سحنون هو أبو عثمان سعيد بن الحدّاد المالكي الذي كان من أدهى الناس وأعرفهم فيما اختلفوا فيه، تتلمذ على سحنون وظل معتزا به كامل حياته إلا أنه عاش مبعدا عن العامة بسبب نزوعه إلى المذهب الشافعي واستنقاصه المدونة، لكنه تزعم الشعب القيرواني ومالت قلوب الناس إليه في آخر أيامه، عندما أبلى البلاء الحسن في مناظراته مع العبيديين، مسفها آراءهم منتصرا للسنة، وقد توسع بعلمه إلى المذاهب الفقهية السائدة بإفريقية والمشرق والمذاهب الكلامية والمسائل الاعتقاديّة، إلى جانب

---

[9] رياض النفوس، في طبقات علماء القيروان، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1 ص350 _351.

[10] تراجم أغلبية، استخرجها من المدارك محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس، ط: 1968م، ص 181.

تمكنه في علوم العربية من لغة وبلاغة ونحو، ودراية بالقرآن ومعرفة معانيه فكان متضلعا في علوم الشريعة فاهما لأسرارها ومراميها.

وقد ناظر أبو عثمان سعيد بن الحدّاد المعتزلة في القول بخلق القرآن ثم الشيعة العبيديين لما حاولوا إخضاع السنيين إلى مذهبهم وآرائهم العقدية ونُقل في نضاله ضدهم أربعون مجلسا[11].

ومن مناظراته للمعتزلة تلك المناظرة التي سجل فيها ابن الحداد انتصارا باهرا على من حاولوا بالمجلس تحريك الأمير إلى كيد السنة وإماتتها بقولهم للأمير: (كثر التشبيهُ وفشا بالقيروان) يشيرون بذلك إلى هيمنة أهل السنة المشبهة في نظرهم ونظر بعض المبتدعة _كما حدث بعد ذلك في دولة المرابطين أين ادعى بن تومرت أنهم مشبّه لأنهم يثبتون الصفات وأقام على أنقاض دولتهم: "دولة الموحدين" التي يُقصد بها المعطلين للصفات _ فحاجهم أبو عثمان وأعجزهم حتى اضطر الأمير إلى أن يتخذ قرارا بأن ينادي في الناس ألا يتكلموا في الكلام، فطمأنه أبو عثمان بأن الناس ساكتون وأعلمه أنه بندائه سيحرك ساكنهم، ثم انجر بهم الحديث إلى تكليم الله تعالى لموسى _عليه السلام_ فسأل أبو عثمان: ابنَ الأشج سؤالا يوقعه في الكفر إن أجاب عنه، وكاد، لولا تدخل الأمير الذكي الذي لم يفهم المراد من السؤال سواه، فأنقذ صاحبه من المأزق الخطير وأسكته، والسؤال هو: (ممن سمع موسى الكلام)، فإن قال مخاطبه: (من الشجرة على الحقيقة يكون قد أنكر أن يكون الله تعالى قد خص نبيه موسى بالكلام دون سائر الأنبياء فيكفر)، لهذا زاد أبو عثمان لإحراجه وإيقاعه في الفخّ بأن قال له: (من ورقها، أم لحاها؟) والجواب بهذا أو بذاك عين الكفر والحقيقة أنه لا شك في كون الله تعالى قد كلم موسى تكليما، أمّا كيف؟ فقد أجاب تعالى في تنزيله: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ(51)) [الشورى] ، وعلى هذا يكون القول بأن موسى _عليه السلام_ سمع من الشجرة، لحاها أو ورقها إنكارا لتكلم الله بهذه الواسطة، وهي الواسطة الثانية من بين الثلاث المذكورة في الآية وهي أن يكلمه من وراء حجاب بأن يسمع من الله كلامه بواسطة جسم كالشجرة، لهذا أسكت الأمير إبراهيم بن أحمد صاحبه ابنَ الأشج، واستأنف عنه الجدال مع أبي عثمان، وكأنه استشعر هو بدوره الخوف فتنحى عن القول بخلق الكلام ليوقع أبا عثمان في الفخّ، فقال: لا أقول مخلوقا ولا غير مخلوق، لأن الله قال:(كلامي)، ولم يقل مخلوقا ولا غير مخلوق، وواضح أنه يريد من وراء ذلك أن يضع أبا عثمان وغيره من السنيين في موقف المتعسفين القائلين بغير علم وبما لم يرد فيه نصّ قرآني، فسأله أبو عثمان عن (العلم)، فقال فيه الأمير الحكم نفسه الذي قاله في (الكلام)، ولما سأله عن دليله، وأجاب، قامت عليه الحجة وأبطل بنفسه رأيه دون أن يشعر، وذلك لأن قوله بتصور خلق العلم يفضي إلى الحكم بجهل الله تعالى، والله تعالى منزه عن الجهل، وإن حَكَمَ بنفي هذا التصور لزمه أن ينفي تصور الله قبل خلق الكلام لأن في ذلك الحكم بالخرس، وإذا تنزه الله عن الجهل وجب أن يتنزه عن الخرس، فتكون النتيجة: الحكم بعدم خلق الكلام بحكم عدم خلق العلم.

---

(11) المرجع نفسه ص356.

وكان هذا كافيا لإفحام الأمير لكن أبا عثمان أبى إلا أن يسوق دليلا آخر أشد قوة وأسطع إعجازا، وفحواه: أن العلم صفة لفعل من الله تعالى، فمن شك في ذلك كفر، ومن شك فلم يدر ذلك مخلوقا أو غير مخلوق فقد كفر أيضا، قال أبو عثمان: (فالواقف شاهد على نفسه أنه تارك للقول بالحقّ حتما) يقصد الأمير، وانهزمت حجة الأمير وتبسم معربا عن تقديره لحجج أبي عثمان، غير أنه تعصب و لم يستسلم[12].

ولأبي عثمان بن الحدّاد في مجاهدة الشيّعة مواقف حاسمة ومناظرات شديدة الضراوة كشف فيها تكلفهم وتعسفهم في تأويل معاني الآيات الكريمة منها: أن قال له أبو عبد الله الشيعي أو أخوه: (القرآن يقول: إن محمدا ليس بخاتم النبيين، فقال له : أين ذلك؟ قال : في قوله: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)[144 ألأحزاب]، فخاتم النبيين غير رسول الله، فقال له: هذه الواو ليست واو الابتداء، وإنما هي من واوات العطف كقوله تعالى: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) [3 الحديد]، فهل أحد يوصف بهذه الصفات غير الله.

وادعى مرة أخرى بأن الله قد أخبرنا بأن أصحاب محمد سيرتدون بعده بدليل قوله تعالى: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) [144 آل عمران] فأجابه من يفهم أسرار البيان على حقيقتها أن الاستفهام في الآية بمعنى التقرير، و(انقلبتم) بمعنى (أفتنقلبون) وساق له مثالا آخر من نفس المعنى: (أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) [34الأنبياء].

ونختم بمناظرته للخليفة عبيد الله المهدي، وهدفها البعيد أن المهديّ يريد أن يجعل الولاية أو الإمامة كحق من حقوق علي _رضي الله عنه_ دليلا من الحديث النبويّ، وليس هذا فقط بل إنه يرمي إلى هدف أبعد من ذلك، ذاك أنه يريد أن يضمّن الحديث النبوي: (من كنت مولاه فعليي مولاه) معنى العصمة لعليّ وأحفاده، وواجب العبودية لهم ولعلي بمقتضى ذلك.

حاول المهدي بذلك أن يناظر أبا عثمان في أهم ما تقوم عليه المعتقدات الشيعية وهو حق العصمة وحق الإمامة لهم في الأرض، وأن واجب الناس أن يعبدوهم ويؤلهوهم، إذ هم يعدون الاعتقاد بإمام ركنا أساسيا من أركان الإسلام.

لكن أبا عثمان فنّد مزاعمه وأبان عن المدلول الحقيقي الواضح للحديث المذكور، أقرّ أبو عثمان بصحة الحديث وذكر أنه من رواته، فطرب المهدي وظنّ أنه قد غنم فقال: (فما للنّاس لا يكونون عبيدنا؟)

أجابه أبو عثمان أن العبودية لله وحده دون سواه وأن المراد بالولاية في الحديث ولاية الدين لا ولاية الرّق والعبودية، ويكابر عبيد الله المهدي ويطلب من أبي عثمان شاهدا على ما يقول، فيسوق له الآية الكريمة: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ

[12] رياض النفوس، ج1 ص32.

بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(80)) [آل عمران] فاتضح من هذه الآية الكريمة أن الأنبياء لم يخصهم الله بصفة الألوهية والربوبية، وما لم يحض به نبي معصوم لا يمكن أن يتصف به بشر سواه، عليّ أو غيره[13].

ولقد حسب دعاة الشيعة أنهم يستطيعون فرض أفكارهم على النّاس بغاية اليسر لما أوتوا من فصاحة في اللسان وقوة في البرهان، لكن فقهاء المالكية بالقيروان سفهوا أحلامهم وفندوا مزاعمهم حتى لجأوا إلى القوّة فعذبوا وقتلوا وإنما سلم ابن الحداد من بطشهم على صراحته وجرأته لكونه كان يحاربهم بسلاح الله، وقد تكلم يوما فغضب من كلامه رجل من كتامة...وقام له بالرمح فكفه عنه بعض من حضر ذلك المجلس، فقال له: شيخ كبير ومبارك، ثم عطف على أبي عثمان فقال له: يا شيخ! لا تغضب هذا الشيخ الذي يغضب لغضبه اثناعشر ألف سيف فقال له أبو عثمان: لكني أغضب لله الواحد القهار الذي أهلك عادا وثمودا...) وقد شعر ابن الشيخ أبي عثمان بالخطر الذي كان يحدق أباه من الشيعة فنهاه عن مناظرتهم، فكان قول أبي عثمان: (حسبي من له عضبت وعن دينه ذببت!)[14].

وهكذا انتقل الشيعةُ العبيديون من أسلوب المناظرة التي لم تؤتي نتيجة في إقناع الناس بمذهبهم إلى أسلوب التخويف والقمع والإكراه، قال القاضي عياض: سئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد – يعني خلفاء مصر- على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟ قال: (يختار القتل ، ولا يعذر أحد في هذا الأمر، كان أول دخولهم قبل أن يعرف أمرهم وأما بعد فقد وجب الفرار...)، وقال أبو الحسن القابسي: إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة ألاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت.

وختاما ندرك أن المذهب المالكي الذي ساد بشمال إفريقيا قد وقف أصحابه في وجه أعاصير الفتن، وخاضوا ألوانا من الصراع الفكري، وثبتوا في ذلك بفضل إيمانهم وتمسكهم بالعقيدة الصحيحة الخالصة من كل تعقيد، فأقاموا بهذه البلاد صرحا للدين متينا، واعتنوا بالنوازل العقدية وأولوها اهتمامهم وأعطوها حقها من البحث فتصدوا للشبه وأزالوها، فناظروا وألفوا و لم يدخروا جهدا في ذلك بل جاهدوا في الذب عن الدين من أن يدخله التبديل والتأويل، أو يمس عقيدته الانحراف والغلو، و لم يكن يمنعهم شنأن قوم عن قول الحق والعمل به بل ينقل صاحب المعيار المغرب فتوى الشيخ عز الدين في هل يجوز ترك السنة إذا ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون المبتدع يفعلها أم لا؟ فأجاب: لا يجوز ترك السنن لمشاركة المبتدعين فيها، إذ لا يترك الحق لأجل الباطل، ومازال العلماء والصالحون يقسمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين، وإذا لم يترك الحق لأجل الباطل، فكيف يترك الحق لأجل المشاركة في الحق؟ ولو ساغ ذلك لترك الأذان والإقامة والسنن الراتبة وصلاة الأعياد وعيادة المرضى والتسليم وتشميت العاطس والصدقات والصلوات وجميع الخيرات المندوبات[15].

---

(13) الصراع المذهبي بافريقية، عبد العزيز المجدوب، الدار التونسية، ط2: 1985م، ص158.

(14) تراجم أغلبية، ص357.

(15) المعيار المعرب، الونشريسي، دار الغرب الإسلامي، لبيروت، ج12 ص355.

فقد عمل علماء المالكية على مقاومة أهل البدع بلا استثناء قصدا لحماية الدين لا تحصيلا للمناصب، فلم يقاوموا الأحناف لكونهم أحنافا بل لكونهم عراقيين قدموا إفريقية لا لغاية العلم وخدمة الدين وتركيز قواعده، وإنما جاؤوها _بدافع الطمع_ لخدمة أغراض رجال الحكم الأغالبة، فنقلوا معهم الاعتزال وأخذوا الناس بالقول بخلق القرآن.

ثم قاوموا الفاطميين لا لكونهم شيعة علويين إنما لكونهم أظهروا من المعتقدات والتعاليم ما لا يتماشى مع أبسط قواعد الإسلام، فعطلوا الفرائض والسنن وخالفوا النصوص وغالوا في الأئمة وقهروا المسلمين، قال يوسف الرعيني: أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة، لما أظهروا من خلاف الشريعة [16]، ذلك لأنهم كانوا يدعون علم الغيب ويدعون الناس إلى الغلو فيهم وفي آل البيت رضي الله عنهم، ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين حصنوا الأمة بمنهج أهل السنة والجماعة في الشمال الإفريقي بالفتاوي التي تدل على كفر بني عبيد في تلك الفترة الحرجة الشيخ أبو إسحاق السبائي رحمه الله، والذي رأى أن الخوارج من أهل القبلة فاجتهد في الوقوف معهم ضد الكفرة العبيديين، قال الشيخ الفقيه أبو بكر بن عبد الرحمن الخولاني: «خرج الشيخ أبو إسحاق السبائي -رحمه الله تعالى- مع شيوخ إفريقية إلى حرب بني عدو الله مع أبي يزيد، فكان أبو إسحاق يقول -وهو يشير بيده إلى عسكر أبي يزيد- : هؤلاء من أهل القبلة وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة يريد عسكر بني عدو الله، فعلينا أن نخرج مع هذا الذي من أهل القبلة لقتال من «هو» على غير القبلة -وهم بنو عدو الله- فإن ظفرنا «بهم» لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد؛ لأنه خارجي، والله عز وجل يسلط عليه إمامًا عادلاً فيخرجه من بين أظهرنا ويقطع أمره عنا»، والذين خرجوا معه من الفقهاء والعباد: أبو العرب بن تميم، وأبو عبد الملك مروان بن نصروان، وأبو إسحاق السبائي، وأبو الفضل المسمى، وأبو سليمان ربيع القطان[17].

وقد اجتهد علماء المغرب في غرس منهج أهل السنة في أبناء الكتاميين والصنهاجيين والبرابرة الموالين للعبيديين، فإنهم كانوا يعلمون الأولاد الصغار أبناء حملة الدعوة العبيدية بحيل لطيفة وكانوا لا يأخذون منهم أجرًا، ترغيبًا لهم في الإقبال عليهم، وللعلامة أبو الحسن الزجال دور وافر في التخلص من المد الشيعي حيث اجتهد على الأمير المعز بن باديس في تربيته على منهج أهل السنة والجماعة، وقد أعطت هذه التربية ثمارها بعد ما تولى المعز إفريقية، وكان عمل العلامة أبو الحسن في السر دون أن يعلم به أحد من الشيعة الذين كانت الدولة دولتهم، واستطاع أن يزرع التعاليم الصحيحة في نفسية وعقلية وفكر المعز بن باديس الذي تم على يديه القضاء على مذهب الشيعة الإسماعيلية في الشمال الإفريقي.

وقد كان تمسك علماء المغرب بالمذهب المالكي لأنهم رأوا فيه المذهب العاصم عن الزلل والخروج عن الدين والشطط في العقيدة رغم أنه مذهب فقهي ويتضح ذلك مما نقله صاحب المعيار المعرب عن واحد من علماء المالكية قوله: (وكل من زاغ عن مذهب مالك أنه ممن رين على قلبه، وزين له سوء عمله، وقد نظرنا طويلا في

---

(16) تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2: 1959م، ص9.

(17) رياض النفوس للمالكي، ج2 ص342.

أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه، وإن فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة إلا مذهب مالك ما سمعنا أن أحدا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله)[18].

وعلى كل فإن ما وجد بإفريقية من صراع فكري طويل كانت له ثمار نافعة إذ كان الحافز على ظهور الحركة العلمية حيث شمر العلماء للغوص في أعماق العلم والتعمق في دقيق مسائله وكونوا المناظرين الحاذقين والفقهاء المحققين والمتكلمين المبرزين فازدهرت الحياة العقلية في المغرب التي تعكسها مناظراتهم وفتاويهم في النوازل العقدية آنذاك.

(18) المعيار المعرب، الونشريسي، ج12 ص26.

التكيف العاطفي وعلاقته بالصحة النفسية والجسدية
لدى نزلاء مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الأستاذ الدكتور عايد الوريكات

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين التكيف العاطفي والصحة النفسية والجسدية لدى عينة قصدية من النزلاء المحكومين تكونت من (135) محكوماً.

أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

وجود علاقة دالة إحصائياً بين تدني التوجه الحياتي والمشاعر السلبية والضغوط النفسية والشعور بالوحدة والمزاج الاكتئابي وإن زيادة التوجه الحياتي تؤدي إلى تكيف النزيل بشكل أفضل، وإن الشعور السلبي يزداد مع الشعور بالوحدة والمزاج الاكتئابي. وعدم وجود علاقة إحصائية بين الضغوط النفسية مع الشعور بالوحدة والعافية الجسدية والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى، وإن الذين يشعرون بالضغوط النفسية أقل قدرة على التكيف، وأخيراً اقترحت الدراسة بعض التوصيات.

Abstract

The study aimed to know the relationships between emotional coping, physical, and psychological well-being among convicted offenders, a convenient sample consisted of (135) convicted was chosen.

The study revealed the followings:

There was a significant relationships between low life-orientation and negative feelings, psychological stresses, loneliness, depressive mood, and the life orientation increasing lead to better coping. The negative feelings increased with the increasing of loneliness, and depressive mood. Moreover, there was a relationships between psychological stresses with loneliness, physical well-being, depressive mood, and grieve, and those who had psychological stresses unable to cope, with the prison life. Finally, the study suggested some recommendations.

التكيف العاطفي وعلاقته بالصحة النفسية والجسدية
لدى نزلاء مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الأستاذ الدكتور عايد الوريكات

مقدمة

تعتبر عقوبة السجن الأداة الرئيسية على مستوى العالم كرد على من يرتكب الجريمة وكنتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتحولات المتسارعة اتجهت معظم دول العالم إلى زيادة أعداد السجون أو ما يسمى مراكز الإصلاح وتأهيل الكوادر من أجل ذلك، أي أن تراجع الضبط الاجتماعي غير الرسمي أدى إلى زيادة في الضبط الاجتماعي الرسمي وخاصة في الدول العربية ومنها الأردن وعلى الرغم من كل ذلك فقد ارتفعت أعداد النزلاء على مستوى العالم حيث أشار مركز دراسات السجون عام (2005) إلى وجود حوالي تسعة ملايين نزيل ونزيلة وحوالي نصفهم يقبع في السجون الأمريكية (2,09) مليون والصين (1.55) مليون وروسيا (0.76) مليون نزيل وهذا يعني الاكتظاظ والازدحام في السجون وقد أيد ذلك العديد من الدراسات ومنها:

(Poulus & McCain, 1983), (Harreveld, et al., 2007), (Cox, et al., 1984)

وما زال هذا الاتجاه التصاعدي مستمراً، أي في العدد والعنف، وقد أشار إلى ذلك كل من (Kimmett, et al., 2002) وكذلك مكوركل (McCorkle, 1992)، ومما لا شك فيه أن لمثل هذه الأوضاع أثر سلبي على العافية النفسية للأفراد وقد تحدث عن ذلك كل من العلماء لورنس وأندرسون (Lawrence & Anderson, 2004) وليبور وايفنر وشنايدر (Lepore, et al., 1991) وعادة ما يعرف العلماء العافية النفسية قسم علم الاجتماع – الجامعة الأردنية (Psychological Well-being) من خلال مفاهيم الضغوط Stress وتدني مفهوم الذات Low Self-steem والوحدة Loneliness والاكتئاب Depression (Voolredeg, 1999) ومن جهة أخرى أشار بعض العلماء إلى أهمية الدور الإيجابي للدمج الاجتماعي Social Integration على العافية النفسية (Lindquisit, 2000) وعدم التعرض للإيذاء بكافة أشكاله (Leddy & O Connell, 2002) وكذلك أهمية الزيارات المتكررة (Woolredge, 1999) ولذلك اهتم العلماء مبكراً في موضوع التكيف في حياة السجون فقد تناولوا الآثار السلبية لها على الصحة النفسية والعاطفية للنزلاء ولماذا يتكيف النزلاء في هذه البيئة المغلقة أو ما أسماه غوفمان بالمجتمع الشمولي واذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل من كليمر (Irwin & Cressey, 1962, Clemmer, 1940) وسايكس (Sykes, 1958) وتك (Tock, 1977) وزامبل وبوربورنو (Zambe & Por porino, 1988) علاوة على ذلك هنالك بعض النزلاء الذين تحدثوا عن خبراتهم الشخصية وتكيفهم في السجون وقد وثق ذلك جونسون وتك (Johnson & Toch, 2000) وقد يكون لأنماط وأساليب تكيف النزلاء آثاراً بالغة على مستقبلهم فإذا ما شارك النزلاء على سبيل المثال في البرامج الإصلاحية في السجون كالتعليم أو المهن الأخرى فإن معدلات العود سوف تنخفض والعكس صحيح كما أشار إلى ذلك عدداً من العلماء ومنهم هارستون (Hairston, 1999) وكذلك قيبر وفرتك (Geber & Fritsch, 1995).

مشكلة الدراسة:

لا شك أن النزلاء في تزايد مستمر كما أشير أعلاه وأن نسبة العود في مراكز الإصلاح والتأهيل الأردنية مرتفعة حيث أشارت دراسة العمري (2005)(*) حول نسبة العود في الأردن قد وصلت إلى 75%، وخاصة بين مرتكبي السرقات الجنحوية والمشاجرات وهم أقل من 10% من مجموع السجناء بشكل عام. وهذا الرقم مرتفع بشكل مذهل مما يعني أن هنالك مشكلة في تكيف بعض نزلاء المراكز الأردنية سلبياً علاوة على ذلك لا يوجد دراسات في هذا المجال في حدود علم الباحث حول موضوع التكيف وعلاقته بالصحة النفسية والجسدية وإستراتيجيات التكيف وتتلخص مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين التوجه الحياتي مع كل من المشاعر السلبية والضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى إستراتيجيات التكيف؟
2. هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين المشاعر السلبية للنزيل مع كل من الضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى ومع إستراتيجيات التكيف؟
3. هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين الشعور بالضغوط النفسية عند النزيل مع كل من الوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف.
4. هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين شعور النزيل بالوحدة مع كل من المزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف؟
5. هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين مستوى شعور النزيل بالمزاج الاكتئابي مع كل من كشف الأسى وإستراتيجيات التكيف؟

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة تحقيق كل مما يلي:

1. معرفة الخصائص الاجتماعية والديمغرافية للمبحوثين.
2. التعرف على العلاقة أو الارتباط بين التوجه الحياتي مع كل من المشاعر السلبية والضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف.
3. التعرف على العلاقة أو الارتباط بين المشاعر السلبية للنزيل مع كل من الضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى ومع إستراتيجيات التكيف.
4. التعرف على العلاقة أو الارتباط بين الشعور بالضغوط النفسية عند النزيل مع كل من الوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف.
5. التعرف على العلاقة أو الارتباط بين شعور النزيل بالوحدة مع كل من المزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف.
6. التعرف على العلاقة أو الارتباط بين مستوى شعور السجين بالمزاج الاكتئابي مع كل من كشف الأسى وإستراتيجيات التكيف.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع نفسه والمتمثل في معرفة علاقة التكيف من قبل النزلاء وصحتهم النفسية والجسدية وماهية الإستراتيجيات المتبعة للتكيف داخل مراكز الإصلاح والتأهيل الأردنية، حيث تركز هذه الدراسة على أهمية الدور العاطفي الانفعالي والمرتبط بالعقوبة، وأثر ذلك على

(*) مكالمة هاتفية بين الباحث والعميد شريف العمري بتاريخ /2011/11.

العافية النفسية وهذا الدور النفسي مرتبط افتراضياً بالعافية الجسدية ومعرفة ذلك يمكن الباحث من التنبؤ بسلوك النزيل كما أشار إلى ذلك كل من دينار وساندفك وبانون (Diener, et al., 1981).

والحقيقة التي أثبتتها الأبحاث في مجال الصحة أن الانفعالات النفسية السلبية مثل الغضب والتوتر مرتبطة بالعديد من الأمراض مثل أمراض الشريان التاجي (KubZanky & Kawachi, 2000) وكذلك مرض السكري (Lustman, et al., 1991) وكذلك مرض الأزمة (Friedman & Booth – Kewly, 1987) ومن جهة أخرى، أشارت الأبحاث إلى الناحية الإيجابية للحالة العاطفية على الصحة وخاصة فيما يتعلق بالتفاؤل (Salovey, et al., 2000) وهذا يعني ربط إستراتيجيات التكيف بالنواحي العاطفية والجسدية ومعرفة علاقة ذلك بالسلوك الآني والمستقبلي.

الإطار النظري والدراسات السابقة وذات الصلة

لقد برز مفهوم التكيف على كليمر (Clemmer, 1940) في مؤلفه مجتمع السجن وفي هذا المؤلف أيضاً ظهر مفهوم آخر وهو مفهوم الحبس (Prisonization) والذي يعني بشكل عام تبني ثقافة السجن، وما زالت هذه المفاهيم تثير اهتمام الباحثين، وخاصة فيما يتعلق بردود أفعال النزلاء السلوكية والعاطفية تجاه بيئة السجن وهكذا نجد أن هنالك إطارين نظريين لموضوع التكيف وهما المنظور الداخلي (The Indigenous Approach) و(The Importation Approach) والمنظور الاخر هو الاستيراد (منظور الحرمان The Deprivation Model) وهو أن آلام السجن والحرمان الذي يعانيه ذات آثار أولية هامة على ردود أفعاله تجاه نفسه والآخرون كما رأى كل من غوفمان (Goffman, 1961) وسايكس (Sykes, 1958)، وسايكس وميسنجر (Sykes & Messinger, 1960) وغيرهم فالسجناء الذين وضعوا تحت المرافقة وسلبت حرياتهم وحرموا من العلاقات الجنسية وكذلك العلاقات الاجتماعية والعائلية وفرضت عليهم القيود المتعلقة بالزيارات والعلاقات الاقتصادية ومعاناتهم المتمثلة بحماية أنفسهم من السجناء الآخرين أي أمنهم الشخصي سوف يعانون من العديد من الآثار النفسية والجسدية (Flanagan, 1980-1985) وسوف يستخدمون إستراتيجيات متباينة إزاء ذلك. أن فقدان شخص عزيز أي فقدان الصحبة يعد المشكلة الأكثر سوءًا بالنسبة للسجين، في حين جاءت مشكلة فقدان الحياة الاجتماعية بالمرتبة الثانية تم الشعور بالضياع وأخيراً فقدان الحياة الجنسية وقد وجد رايت (Wright, 1989) أن المشكلة الأولى التي يعاني منها النزلاء هي الدعم الاجتماعي تبعها في الأهمية التغذية العاطفية والنشاط البنائي والأمن والإثارة الاجتماعية والحرية والخصوصية على التوالي، هنا أشير إلى إمكانية اختيار هذا الذي قضاه النزيل في السجن وقد دلت الأبحاث التي اختبرت هذا المنظور على أنماط مختلفة من التكيف، حيث وجدت دراسة شمت وجونز أن السجناء الذين حكموا بمدد قصيرة اظهروا أنماطاً محدودة من التكيف السلوكي بينما وجدت دراسة زامبل (Zamble, 1992) أن الذين حكموا بمدد طويلة من العقوبة تتضاعف لديهم المشاركة في العمل والنشطة المختلفة في السجن وتقل لديهم التنشئة الاجتماعية السببية مع النزلاء الآخرين، وكذلك وجدت دراسة كل من كوبدن وستيورات (Cobden & Stewart, 1984) أن السجناء الذين يقضون أوقاتاً طويلة من العقوبة يحافظون على مستوى مستقر من العلاقات مع الأهل والأصدقاء، وتقل لديهم مشاعر الخيبة، كذلك تقل مخالفاتهم لقوانين السجن الروتينية محاولين تجنب أدى الآخرين، وفي دراسة مماثلة للباحث سابفورد (SapsFord, 1978) دلت نتائجها على أن طول مدة العقوبة أو الحبس وبعد ضبط متغيرات علاقات ما قبل السجن أدت إلى تدني العلاقات الأسرية ومع الأصدقاء، وقد وجد كل من أدمز وزملائه (Adams et al., 1994) أن طول فترة السجن دفعت بالنزلاء إلى الانخراط أكثر في الأنشطة الروتينية للسجون وكذلك في برامج التعليم وقد وجدت دراسة قودشتاين وزملائه (Goodstiein et al., 1985) على عدم وجود تدهور في صحة السجناء مع الزمن وخاصة فيما يتعلق بالاكتئاب علماً أنهم أشاروا أن الفترة الأولى من سجن النزلاء قد تميزت

بالتوتر والقلق ولقد وجد كل من لوتز (Lutze, 2001) وكذلك وجد مككوركل ويث ودراس (McCorkle, et al., 1995) فترة العقوبة التي قضاها النزيل قد يكون مرتبطة ببعض العوامل من مثل طول فترة العقوبة ومستوى الأمن في السجن، وهذه العوامل من شأنها التأثير على التكيف العاطفي والنفسي للسجناء.

أما فيما يتعلق بنموذج الاستيراد (The Importation Approach) والذين يرتكز على المقولة التي تدعي أن تكيف النزلاء معتمد بالمقام الأول على أنماطهم الحياتية وطرق معيشتهم، وكذلك بعض خصائصهم لفترة ما قبل السجن (Irwin, 1970) وكذلك أرون وكرسي (Irwin & Cressy, 1962)، وفي دراسة مسحية أمريكية على نزلاء مؤسسات فيدرالية أظهرت نتائجها على أن 30% من النزلاء متزوجين و49% أنهوا المرحلة الثانوية و74% استخدموا المخدرات و31% تناولوا الكحول وتسببت لهم بمشاكل (Bureau of Justice Statiscs, 2000) ويمكن اختبار هذا المنظور من خلال معرفة العلاقة بين تكيف النزلاء وخصائصهم في مرحلة ما قبل السجن ومثال على ذلك مستوياتهم التعليمية والعمل والعلاقات واستخدامهم للمخدرات والكحول والسوابق الجنائية وغير ذلك.

لقد حاول بعض العلماء اختبار هذا المنظور وذلك من خلال معرفة أثر التعليم وكذلك البطالة على أنماط التكيف المختلفة، وقد وجدوا دعماً إمبريقياً على ذلك، فالعالم رايت (Wright, 1989) وبمعزل عن متغير العرق وجد أن النزلاء الذين لم يتجاوز مستواهم التعليمي المرحلة الثانوية لديهم مشالك جسدية أقل، ومثال على ذلك أنهم لم يتعرضوا لاعتداءات جسدية من قبل النزلاء الآخرين، كما لم يتم استغلالهم من قبل الآخرين، بينما وجد أن النزلاء الذين يعانون من البطالة قبل دخولهم السجن لديهم مشاكل جسدية أكثر، وكذلك ضغوطاً نفسية كما يعانون من الاضطرابات والإيذاء، علاوة على ذلك، وجد أنهم يعانون من مشاكل خارجية والنتيجة نفسها توصلت إليها دراسة فن (Finn, 1995) حيث دلت نتائج دراسته على أن الحرمان الاقتصادي والإقامة في المناطق الحضرية المهمشة ارتبطت إيجابياً بتجاوزات النزلاء لتعليمات السجون بينما لم يجد أثراً دالاً إحصائياً لكل من العرق والسوابق الجنائية وجدت الدراسة أن المستوى التعليمي لفترة ما قبل السجن مرتبطة سلبياً مع الاكتئاب والتوتر والتقيد بالتعليمات بينما لم يكن هناك أهمية إحصائية للعمر (Porporino & Zamble, 1984)

وقد يفترض الباحث هنا وبناءً على ما سبق أن سمات وخصائص النزلاء وحياتهم الفردية قبل دخولهم للسجن ذا أثر على تكيفهم داخل السجون وأضرب مثالاً على ذلك الشاب الذي حصل على تعليم متدن وعاطل عن العمل واستخدم المخدرات وليس لديه علاقات شخصية سوية قبل دخوله للسجن سوف يكون نمط تكيفه داخل السجن مختلفاً عن شخص يتمتع بمهنة محترمة ومستوى تعليمي مرتفع أي أن تكيف الأخير سوف يكون مختلفاً. لقد حاول الكثير من الباحثين اختبار المنظورين السابقين واذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسة كل من كامب وقيس ولانغن وسيلر (Camp, et al., 2003) وقلسبي (Gillespie, 2003) وجيانغ وفشر وقورلاندو (Jiang, et al., 2002) وكذلك فروتر وروتر وفروالد لهير وبوير وغيرهم (Frottier, et al., 2001) وغيرهم، فقد وجدت دراسة جيانغ وزملائه أن منظور الحرمان (الداخلي) لديه قدرة قليلة بل ومتواضعة على تفسير سلوك العنف وعدم تقيد السجين بالتعليمات وعدم إطاعة المسؤولين أو حتى النزلاء الآخرين مقارنة بمنظور الاستيراد (الخارجي) عله من المفيد الإشارة إلى أن بعض مقاييس منظور الاستيراد كالعمر والعرق لا تعتبر مؤشرات مهمة لتلك السلوكيات غير السوية بينما نجد أن مستوى الأمن في السجن وهو مقياس مهم لمنظور التكيف الداخلي يعتبر مؤشراً جيداً أو مقياساً جيداً كما يشير إلى ذلك كامب وزملائه وعلى أية حال فإن خبرات الشخص قبل السجن ذات أثر على تكيفه داخل السجن أن على الإستراتيجيات التي يتبناها من أجل التكيف داخل أسوار السجن.

وفي دراسة للباحثين هارفيلد وديربلت وكلسن وجيك (Harreveled, et al., 2007) حول العافية النفسية والجسدية وإستراتيجيات وطرق التكيف في مؤسستين إصلاحيتين هولنديتين حيث بلغت العينة ثمانية عشر نزيلاً وقد دلت نتائج الدراسة على وجود علاقة دالة إحصائياً بين كل من التفاؤل والعافية النفسية والجسدية علاوة على ذلك، وجدت الدراسة أن النزلاء الذين يعانون من مشاعر محددة من مثل الندم والتوتر والحزن يشتكون أكثر من الأعراض النفسية والجسدية، وقد وجدت الدراسة أن النزلاء الذين يستخدمون إستراتيجيات تكيف فعالة مثل الحديث مع الآخرين في حالة أفضل من أولئك الذين لا يتحدثون عن مشاعرهم ويحتفظون بها لأنفسهم، وقد وجدت الدراسة أيضاً أن الانخراط في إدارة المشاعر بشكل معرفي أكثر وذلك من خلال التركيز على السمات الإيجابية للمواقف قد ساعدتهم في تقليل المشاعر السلبية وأخيراً أوصت الدراسة بإجراء المزيد من الأبحاث حول هذا الموضوع.

وفي دراسة تقييمية للأذى الذاتي في مراكز الإصلاح للعلماء توماس وليفا وكازمرزاك (Thomas, et al., 2006) وقد دلت نتائج دراستهم على أن إيقاع الأذى على الذات واستخدام الأدوات الحادة أو محاولات الانتحار ما هي إلا وسائل تكيف من أجل جلب انتباه الآخرين وذلك رداً على البيئة المحيطة أي السجن وقد تكون استجابة لحالة الملل التي يعانيها النزيل أو من أجل ضبط البيئة أو يعد ذلك دليلاً على سوء تكيف من قبل النزيل كما في إشارتهم إلى إحدى الدراسات الكندية واقترحت الدراسة بعض التوصيات والتي من شأنها الحد من عقاب الذات لتحسين الظروف في السجون وإجراء المزيد من الدراسات حول هذا السلوك واللجوء إلى الزنازين الانفرادية كحل أخير ومحاولة إشراك النزلاء في إدارة أمور حياتهم في السجون.

وفي دراسة للباحثة إيفز (Ives, 2006) حول الاغتصاب في السجون الأمريكية والتي دلت نتائجها على وقوع أكثر من مليون حالة اغتصاب بالقوة للنزلاء الذكور البالغين وقد فسرت مثل هذا السلوك التكيف بناء على ثقافة العنف الفرعية في السجون وكذلك نظرية الأنشطة الروتينية فوجود المجرم ذو الدافعية في مثل هكذا بيئة جنائية ووجود الأهداف المناسبة (الضحايا) وغياب الرقابة البشرية والإلكترونية ساهمت في وقوع مثل هذه الجريمة وقد أوصت الدراسة بإجراء التدريبات اللازمة للنزلاء وإيجاد نظام من قبل النزلاء وهذا التدريب من شأنه إيجاد نسق قيمي معياري يساعد في نشوء نزعة قيمية إيثارية، وكذلك اتجاهات قيمية غير متصفة بالعنف وعلاقات واقية من حدوث هذه الجريمة وقد تطرقت إلى الآثار النفسية والصحية لهذه الجريمة على النزلاء وعلى المجتمع ككل من مثل انتشار الأمراض العضوية كنقص المناعة والأمراض الجنسية الأخرى، وكذلك تطرقت إلى تنامي سلوك العنف من قبل الضحايا نحو المجتمع وبالذات الأطفال والنساء والشاذين جنسياً.

أما دراسة قراوندز (Grounds, 2006) حول الآثار النفسية للإدانة الخاطئة والتي أجريت في بريطانيا على ثمانية عشر نزيلاً تم تحويلهم من أجل التقييم النفسي وذلك بعد أن أطلق سراحهم بسبب الإدانة الخاطئة، وقد دلت نتائج الدراسة على وجود الأمراض النفسية التي يعاني منها النزلاء، فقد عانى عشرة نزلاء من تغيرات في الشخصية نتيجة الخبرات السيئة، والتي نتجت عن إدانتهم وهنالك اثنا عشر نزيلاً يعانون من اضطرابات الضغوط النفسية، إضافة إلى اضطرابات المزاج والتوتر إما عن التكيف فقد عانى الجميع من التكيف مع أسرهم.

تناولت دراسة شوباتي (Chubaty, 2001) إستراتيجيات التيكف في السجن والخوف والضحايا، حيث تكونت العينة من واحد وتسعين نزيلاً في السجون الكندية، ومن ثم تم توزيع استبانة عليهم، وقد دلت نتائج الدراسة على وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائياً بين إساءة المعاملة الجسدية وغياب الوالدين أثناء مرحلة الطفولة وارتكاب العنف في السجن وكذلك وجود توجه لدى النزلاء نحو الرغبة في الموت والشعور المستمر بالذنب ووجود التوتر والاعتماد القهري على الذاتي، واستخدام العنف فجأة، ويستنتج

الباحث وجود نوع من الاستمرارية لسلوك النزلاء أي قبل السجن وخلال فترة السجن ويفسره بناءً على اللاوظيفة الأسرية (الجنائية)، من جهة أخرى، وجدت الدراسة أن النزلاء الذين يعودون إلى أسر تميزت باستخدام العنف يخشون التعرض للعنف داخل السجن وينبه الباحث إلى مصداقية النزلاء في هذه الدراسة، والذين يحاولون أن يظهروا بمظهر القوة ويخافون من التعرف على هوياتهم فلا يجيبون بصدق على الاستبانة، أخيراً يرى أنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الخبرات الحياتية الواسعة والفروق في التكيف أثناء وقوع العنف على النزلاء.

وفي دراسة مككوركل (McCorkle, 1992) على نزلاء إحدى السجون الأمريكية في ولاية تينسي حيث حاولت الدراسة معرفة الآليات والطرق التي يتبناها السجناء من أجل التكيف مع حياة السجن، وقد أجاب 40% من النزلاء أنهم يتجنبون الذهاب إلى بعض مناطق السجن خوفاً من النزلاء الآخرين، وأجابت النسبة نفسها للإيذاء من النزلاء الآخرين وأجاب حوالي 75% من النزلاء على أنهم يتبعون أساليب جافة وقياسية مع النزلاء الآخرين خوفاً من وقوع ضحايا واحتفظ حوالي 25% من النزلاء ببعض الأدوات الحادة للدفاع عن أنفسهم، وقد لاحظ الباحث إن العمر وبالذات الشباب يلجأون إلى إستراتيجيات العنف للتكيف مع حياة السجن القاسية.

منهجية الدراسة:

اعتمدت المنهجية المتبعة في هذه الدراسة على منهج المسح الاجتماعي بطريقة المقابلة الشخصية بالعينة وأسلوب التحليل الوصفي لجوانب الظاهرة محل البحث واكتشاف العلاقات والارتباطات بين المتغيرات ويعد المسح الاجتماعي من أكثر أنماط البحوث الاجتماعية التي تهدف إلى الوصول إلى صورة متكاملة لجوانب مجتمع العينة الذي يتضمن مسحاً مكتبياً بالرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع الجاهزة لبناء الإطار النظري للدراسة ومن ثم الاستطلاع الميداني لجمع البيانات عن طريق أداة الدراسة وإجابة تساؤلات الدراسة بعد التحليل الإحصائي المناسب.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة الإحصائي المستهدف من جميع نزلاء مركز إصلاح وتأهيل سواقة البالغ عددهم وقت جمع البيانات في شهر تشرين آب من العام 2011 حوالي (2085) نزيل من أصل طاقة استيعابية للمركز البالغة (2200) نزيل. (المصدر: مديرية الأمن العام 2011، بيانات المعلومات الجنائية – المملكة الأردنية الهاشمية).

وهنا يجدر التوضيح بأن البحث سيقتصر في مجتمعه على المحكومين دون الموقوفين ورغم التفاوت الشهري غير النمطي في موجود السجون فإن الباحث سيقوم باحتساب العينة على أساس 5% من الموجود في ذلك الوقت الذي يقوم فيه بتوزيع الاستبيان من أجل الوصول إلى تحقيق الأهداف والإجابة على التساؤلات سيستخدم الباحث العينة القصدية على أساس 5% من المحكومين المتواجدين في مركز الإصلاح في فترة تطبيق أداة البحث وذلك لصعوبة اختيار عينة عشوائية وهنا فإن الباحث يتوقع أن يقوم بتوزيع (105) استمارة ولكن للحرص على تمثيل مجتمع الدراسة فقد تم رفع مستوى التغطية إلى (135) نزيل.

أداة الدراسة:

تم وضع أداة الدراسة بعد الاطلاع والبحث فيما يمت للدراسة بصلة من الدراسات السابقة حيث تكونت أداة الدراسة من استبانة مغلقة تمثلت في ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول: ويشمل البيانات والمعلومات النوعية لأفراد عينة الدراسة (العمر بالسنوات ونوع الجريمة التي دخل الجاني بسببها السجن، مدة العقوبة، الأسبقيات والإصابة في الأمراض قبل دخول السجن ونوع المرض).

الجزء الثاني: ويتعلق ببيانات التوجه الحياتي وقد اشتمل على 9 فقرات تدريجية من 1 إلى 7 درجات والاتجاه السلبي ويشتمل على 20 فقرة تدرجت إلى 7 درجات والضغوط النفسية وقد شملت 10 فقرات والوحدة والتي شملت على 12 فقرة والعافية الجسدية واشتمل على 13 فقرة والمزاج الاكتئابي وقد اشتمل على 15 فقرة والعافية النفسية واشتمل على 6 فقرات.

الجزء الثالث: ويمثل آليات التكيف وقد اشتمل على 8 فقرات.

وتم التعبير عن البيانات عند إدخالها بالترميز التالي:

(أبداً =1، نادراً جداً= 2، قليل جداً =3، أحياناً =4، كثيرة =5، معظم الوقت=6، كل الوقت= 7).

ولحساب طول خلايا المقياس السباعي (الحدود الدنيا والعليا) تم الاعتماد على المعادلة التالية:

- تم حساب المدى (7 – 1 = 6).
- تقسيمه على فئات المقياس للحصول على طول الخلية الصحيح أي (6 ÷ 7 = 0.86).
- إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (أو بداية المقياس وهي الواحد الصحيح) وذلك الحد الأعلى لهذه الخلية.

واستخدم الباحث طول الخلايا في تفسير المتوسطات المحسوبة والمتوسطات المتوقعة في المجتمع كما يلي:

- متوسط حسابي يتراوح بين (1 إلى 1.857) يشير إلى أبداً.
- متوسط حسابي يتراوح بين (أكثر من 1.857 إلى 2.71) يشير إلى نادراً جداً.
- متوسط حسابي يتراوح بين (اكثر من 2.71 إلى 3.57) يشر إلى قليل جداً.
- متوسط حسابي يتراوح بين (أكثر من 3.57 إلى 4.43) يشير إلى أحياناً.
- متوسط حسابي يتراوح بين (أكثر من 4.43 إلى 5.29) يشير إلى مرات كثيرة.
- متوسط حسابي يتراوح بين (أكثر من 5.29 إلى 6.14) يشير إلى معظم الوقت.
- متوسط حسابي يزيد عن (6.14) يشير إلى كل الوقت.

أما الاتجاه العام للفقرات فقد تم تقسيمه على عدد فئات المقياس للحصول على طول الخلية الصحيح أي (7 ÷ 3 = 2.33) وعليه فإن المقياس العام يكون:

- متوسط حسابي يتراوح بين (1 إلى 2.33) يشير إلى درجة تعرض منخفضة.
- متوسط حسابي يتراوح بين (أكثر من 2.33 إلى 4.66) يشير إلى درجة تعرض متوسطة.
- متوسط حسابي يتراوح بين (اكثر من 4.66 إلى 7) يشير إلى درجة تعرض مرتفعة.

بعد اكتمال المحتوى تم عرض الاستبانة بشكلها الأولي على تسعة من المحكمين م

صدق أداة الدراسة:

بعد اكتمال المحتوى تم عرض الاستبانة بشكلها الأولي على تسعة من المحكمين من الأساتذة المتخصصين في العلوم الاجتماعية والنفسية والإدارية الذين قاموا مشكورين بوضع ملاحظاتهم فيما يتعلق ببعض المفاهيم وإعادة صياغة بعض الأسئلة والفقرات حيث تم الأخذ بآرائهم والقيام بالتعديلات المتقرحة في سياق الدراسة بما يتناسب مع العلاقة بين المتغيرات محل البحث، واعتمدت نسبة إجماع 80% للإبقاء على الفقرات بين المحكمين.

ثبات أداة الدراسة:

تم التأكد من ثبات أداة الدراسة من خلال عرضها مبدئياً وتوزيعها على عينة استطلاعية تجريبية بلغت 30 مبحوثاً وتم تعديل الاستمارة على آراء عينة الدراسة وبعد التعديل تم استخراج معامل ثباتها باستخدام معادلة كرونباخ ألفا (Cronbch Alpha) لفقرات كل مجال والأداة ككل ليتم التحقق من مدى درجة اتساق كل فقرة من الفقرات وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول الآتي:

جدول رقم (1)

قيمة معامل الثبات للاتساق الداخلي لكل متغير ولجميع الأبعاد المتعلق باستبيان عينة الدراسة

عدد الفقرات في الاستمارة	اسم البعد	معامل الثبات (كرونباخ ألفا)
9	التوجه الإيجابي	%64
20	الاتجاه السلبي	%77
10	الضغوط النفسية	%81
12	الوحدة	%73
13	العافية الجسدية	%85
15	المزاج الاكتئابي	%83
6	العافية النفسية (كشف الأسى)	%63
8	آليات التكيف	%66
93	المقياس الكلي للاستمارة	%92

يتبين من نتائج الجدول (1) أن معامل الثبات لجميع متغيرات وأبعاد الدراسة مقبولة لإجراء الدراسة بمصداقية مقبولة حيث بلغت قيمة معامل الثبات لمتغيرات الدراسة بين 63% و85% وللأداة الكلي 92% وهي نسب مقبولة لأغراض التحليل الإحصائي والبحث العلمي.

المعالجة الإحصائية:

لغرض الإجابة عن اسئلة الدراسة فقد اعتمدت الدراسة على الرزمة الإحصائية (SPSS19) في التحليل من خلال استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

1. مقاييس الإحصاء الوصفي (Descriptive Statistic Measures) وذلك لوصف خصائص عينة الدراسة اعتماداً على التكرار والنسب المئوية ومن أجل الإجابة عن أسئلة الدراسة ومعرفة الأهمية النسبية باستخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
2. اختبار تحليل ارتباط كندال للعينات الترتيبية (Kendalls tau-b) لقياس معنوية العلاقة بين مستوى مقاييس الدراسة.

عرض النتائج ومناقشتها والتوصيات

سيتم في البداية عرض لأهم أنماط الجرائم المرتكبة المتبعة والتي سجن بسببها النزيل في مركز إصلاح وتأهيل سواقة الأردني والهدف من ذلك هو تكوين صورة عن هذه الجرائم ثم ربطها بخصائص الجناة وأسبقياتهم.

التوزيع النسبي لأعمار نزلاء مركز إصلاح وتأهيل سواقة الأردني

جدول رقم (2)

التوزيع النسبي والوسط الحسابي لأعمال النزلاء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

فئة العمر بالسنوات	التكرار	النسبة
29 – 20	39	28.9
39 – 30	53	39.3
49 – 40	13	9.6
50 فأكثر	30	22.2
المجموع	**135**	**100.0**
متوسط العمر 37 سنة	**الانحراف المعياري 12.4 سنة**	

وحسب نتائج تحليل عينة الدراسة في الجدول (2) تبين أن متوسط أعمار النزلاء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة (37) سنة بانحراف معياري (12.4) سنة وقد توزع مدى الأعمار بين (20) سنة في حده الأدنى و(84) سنة في حده الأعلى.

نوع الجريمة المرتكبة من قبل السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة الأردني:

جدول رقم (3)

التوزيع النسبي لنوع الجريمة التي سجن بسبب ارتكابها الجاني في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

نوع الجريمة التي دخل بسببها السجن	الجرائم الواقعة على النفس	الجرائم الواقعة على الأموال	جرائم المخدرات	المجموع
القتل	35	0	0	35
الشروع بالقتل	11	0	0	11
الاختلاس	0	6	0	6
الذمة	0	9	0	9
السرقة الجنائية	0	17	0	17
تحرير شيك بدون رصيد	0	17	0	17
المخدرات	0	0	40	40
المجموع	**46**	**49**	**40**	**135**
%	**34.1**	**36.3**	**29.6**	**100**

يتضح من خلال نتائج المسح الميداني للسجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة الواردة نتائجه في الجدول (3) أن 36% من الجناة قد دخلوا السجن بسبب ارتكابهم جرائم واقعة على الأموال و34% بسبب جرائم واقع على النفس وحوالي 30% بسبب ارتكابهم جرائم مخدرات.

مدة المحكومية للنزلاء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة:

جدول رقم (4)

التوزيع النسبي ومتوسط مدة المحكومية للنزلاء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

فئة العمر بالسنوات	التكرار	النسبة
29 – 20	39	28.9
39 – 30	53	39.3
49 – 40	13	9.6
50 فأكثر	30	22.2
المجموع	**135**	**100.0**
متوسط العمر 37 سنة	**الانحراف المعياري 12.4 سنة**	

يتبين من خلال النتائج في الجدول (4) أن متوسط عدد سنوات المحكومية للسجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة بلغ (8) سنوات بانحراف معياري (5) سنوات وقد توزعت المدة بين سنة لأقل فترة محكومية و(20) سنة لأعلى مدة محكومية.

جدول رقم (5)

التوزيع النسبي ومتوسط مدة المحكومية التي قضاها النزلاء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

المدة المقضية من المحكومية بالسنوات	التكرار	النسبة
أقل من سنة	58	34.0
من سنة إلى سنتين	28	20.7
أكثر من سنتين 3 سنوات	6	4.4
أكثر من 3 سنوات 4 سنوات	4	3.0
أكثر من 4 سنوات	34	25.2
غير مبين	5	3.7
متوسط الفترة التي قضاها من المحكومية 2.5 سنة		الانحراف المعياري 2.8 سنة

أما بيانات الجدول (5) فتبين أن متوسط المدة الزمنية التي قضاها النزيل في سجن سواقة (2.5) سنة بانحراف معياري (2.8) سنة وقد توزعت بين سنة أقل مدة و14 سنة لأعلى مدة.

التوزيع النسبي حسب عدد أسبقيات الجاني

جدول رقم (6)

التوزيع النسبي حسب تكرار عدد الأسبقيات للجاني

عدد الأسبقيات	التكرار	النسبة
مرة واحدة فقط	69	71.1
الثانية	16	11.9
الثالثة	5	3.7
الرابعة أو اكثر	9	6.7
غير مبين	9	6.7

التوزيع النسبي حسب درجة تعرض الجاني للمرض قبل دخوله السجن:

تبين النتائج في الجدول (6) أن (71%) من النزلاء ليس لديهم أسبقيات وحوالي (12%) سبق وأن دخلوا السجون قبل هذه المرة، (3.7%) من السجناء كان لديهم ثلاث أسبقيات في الجريمة، و(6.7%) كان لهم أربع أسبقيات وأكثر.

جدول رقم (7)

التوزيع النسبي حسب تعرض الجاني لأمراض قبل دخوله السجن

درجة تعرض السجين لمرض قبل دخوله السجن	التكرار	النسبة
نعم	26	19.3
لا	106	78.5
غير مبين	3	2.2

وحول درجة تعرض الجاني لأمراض قبل دخوله السجن تبين النتائج في الجدول (7) أن (19%) قد تعرضوا لأمراض قبل دخولهم السجن بينما لم يتعرض حوالي (79%) منهم لأمراض مزمنة ونفسية.

جدول رقم (8)

التوزيع النسبي حسب نوع المرض الذي تعرض له الجاني قبل دخوله السجن

طبيعة المرض	التكرار	النسبة
جسدية	10	41.7
نفسية	14	58.3

وتبين من خلال نتائج الجدول (8) أن (58%) من الذين عانوا من أمراض قبل دخولهم السجن كانت أمراض نفسية بينما كان يعاني حوالي (24%) منهم من أمراض جسدية.

درجة مقياس التوجه الحياتي لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة:

جدول رقم (9)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس التوجه الحياتي لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	درجة التعرض
من المهم بالنسبة لي أن أبقى مشغولاً	5.66	1.624	مرتفعة
من الصعب أن تسير الأمور كما أريد	5.12	1.847	مرتفعة
من النادر أن أتوقع حدوث أشياء جيدة بالنسبة لي	4.59	1.895	مرتفعة
أنا دائماً متفائل بمستقبلي	4.58	2.071	مرتفعة
إذا ما حدث لي شيء ما سوف يحدث لا محالة	4.25	2.001	متوسطة
ليس من السهل أن أغضب	4.21	1.508	متوسطة
بشكل عام أتوقع حدوث أشياء جيدة لي أكثر من حدوث أشياء سيئة	4.11	1.887	متوسطة
أنني مبسوط مع أصدقائي	3.91	1.887	متوسطة
من السهل علي الاسترخاء	3.18	1.627	متوسطة
مقياس التوجه الحياتي	4.4	0.900	متوسطة

يشير الجدول رقم (9) أن نزلاء مركز الإصلاح في سواقة يوافقون وبشكل مرتفع ووسط حسابي (5.66) على إشغال أنفسهم يليها التوجه الحياتي والمتمثل بصعوبة سير الأمور كما يريدون وبوسط حسابي (5.12) أما بقية العبارات فجاءت متوسطة وأقلها فقرة (من السهل علي الاسترخاء) وبوسط حسابي (3.18) وكان الوسط الحسابي للمقياس ككل (4.4).

درجة قياس الاتجاه السلبي لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

جدول رقم (10)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس الاتجاه السلبي لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	درجة التعرض
الحزن	5.85	1.265	مرتفعة
القلق	5.42	1.588	مرتفعة
عدم الرضا	5.25	1.759	مرتفعة
الانزعاج	5.17	1.523	مرتفعة
الذنب	5.06	2.268	مرتفعة
التوتر	4.98	1.734	مرتفعة
الاكتئاب	4.72	1.907	مرتفعة

الضعف	4.363	1.697	متوسطة
الثقة	4.75	2.234	متوسطة
الخوف	4.40	2.061	متوسطة
عصبي	4.28	1.781	متوسطة
الاهتمام بكل شيء	4.27	2.182	متوسطة
متحفز	3.91	1.774	متوسطة
الغضب	3.52	1.696	متوسطة
الدهشة	3.52	1.696	متوسطة
الانبساط	3.29	1.661	متوسطة
الفرح	3.27	1.835	متوسطة
الاستمتاع	2.92	1.815	متوسطة
راضي عن كل شيء	2.82	2.123	متوسطة
عدائي	2.65	1.827	متوسطة
مقياس المشاعر السلبية	4.2	0.7	متوسطة

تظهر الأوساط الحسابية لفقرات المقياس وجود توجهات سلبية من قبل النزلاء وهذا يتمثل بالأوساط الحسابية لكل من الحزن والقلق وعدم الرضا والانزعاج والشعور بالذنب والتوتر والاكتئاب حيث كانت الأوساط الحسابية (4.72، 4.98، 5.06، 5.17، 5.25، 5.42، 5.82) على التوالي بينما جاءت درجات متوسطة وأقلها الشعور بالاستمتاع والرضا عن كل شيء والعدوانية (2.65، 2.82، 2.92) على التوالي وجاء الوسط الحسابي للمقياس ككل (4,2).

درجة مقياس الضغوط النفسية لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

جدول رقم (11)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس الضغوط النفسية لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	الدرجة
عندما أشعر بالحزن أو الاكتئاب عادة ما أحتفظ بكل مشاعري لنفسي	5.07	2.038	مرتفعة
عادة لا أناقش القضايا التي تزعجني	4.20	2.279	متوسطة
أفضل عدم الحديث عن مشاعري	3.84	2.127	متوسطة
عندما أواجه ضغوطاً نفسية فإنني لا أخبر أحداً عن ذلك	3.84	2.127	متوسطة
إذا كان يومي سيئاً فأنا آخر شيء أود التحدث عنه هو ذلك	3.78	2.164	متوسطة
نادراً ما أبحث عن أناس للتحدث معهم عندما يكون لدي مشاكل	3.72	2.024	متوسطة
عندما أشعر بالغضب عادة ما ألجأ إلى أصدقائي	3.85	1.824	متوسطة
عندما أشعر بشيء غالباً ما ألجأ إلى أحد الناس للتحدث معه	3.41	1.877	متوسطة
أحاول أن أجد أناساً للتحدث معهم عن مشاكلي	3.02	1.9955	متوسطة
عندما يكون مزاجي سيئ أتحدث عن ذلك مع أصدقائي	2.83	1.760	متوسطة
مقياس الضغوط النفسية	3.7	1.2	متوسطة

جاءت الأوساط الحسابية لفقرات مقياس الضغوط النفسية بدرجات متوسطة ما عدا الفقرة الأولى والمتمثلة باحتفاظ النزيل بمشاعره المتسمة بالحزن والكآبة وبوسط حسابي مرتفع (5.07) وبانحراف معياري (2.038) وجاء الوسط الحسابي للمقياس ككل (3.7) أي بدرجة متوسطة.

درجة مقياس الشعور بالوحدة لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة:

جدول رقم (12)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس الشعور بالوحدة لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	الدرجة
أشعر بعدم وجود السعادة كوني وحيداً	4.86	2.094	مرتفعة
أشعر بعدم تحمل الوحدة	4.83	2.207	مرتفعة
أشعر بأني وحيد تماماً	4.24	2.195	مرتفع
أشعر بالحاجة الماسة للصحبة	4.19	1.912	مرتفع
لم أفقد الاهتمام بالآخرين أو بالممارسات اليومية	4.11	2.072	متوسط
لا يوجد أحد يفهمني	3.91	2.047	متوسط
أشعر بتجاهل الآخرين لي	3.82	2.411	متوسط
أشعر بعدم وجود أحد للتحدث معه	80.3	2.133	متوسط
ينتابني شعور بعدم المقدرة على تكوين أصدقاء	3.63	2.069	متوسط
لا أشعر بأنني عديم القيمة	3.47	2.334	متوسط
هنالك أناس أستطيع طلب المساعدة منهم	3.29	1.827	متوسط
مقياس الوحدة	4.0	1.1	متوسط

تشير الأوساط الحسابية كما في الجدول رقم (12) إلى شعور النزلاء وبدرجات مرتفعة للفقرتين الأولى والثانية أي شعور بعدم وجود السعادة كذلك أشعر بتحمل الوحدة (4.83، 4.86) على التوالي في حين جاءت الفقرات العشر الأخرى بدرجات متوسطة وجاء الوسط الحسابي للمقياس ككل 4.0.

درجة مقياس العافية الجسدية لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة:

جدول رقم (13)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس العافية الجسدية لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	الدرجة
الشعور بالصداع	4.65	1.698	متوسط
الشعور بالألم في أسفل الظهر	4.29	2.114	متوسط
الشعور بآلام في العضلات	4.08	1.855	متوسط
الشعور بضعف في أجزاء جسمي	3.92	2.081	متوسط
الشعور بثقل في الذراعين أو الرجلين	3.76	2.023	متوسط
الشعور بالألم في الصدر والقلب	3.72	1.978	متوسط
أشعر بألم في معدتي	3.84	2.285	متوسط
الشعور بالنمنمة في أجزاء جسمي	3.06	1.778	متوسط
أشعر في الغثيان اضطراب المعدة	3.05	2.005	متوسط
الشعور بصعوبة في التقاط النفس	2.90	2.540	متوسط
الشعور بالإعياء والدوخة	2.89	2.077	متوسط
الشعور بنوبات من السخونة والبرودة في جسمي	2.83	1.806	متوسط
مقياس العافية الجسدية	3.5	1.2	متوسط

تشير الأوساط الحسابية لمقياس العافية الجسدية إلى أوساط حسابية متوسطة (4.65) للفقرة الأولى الصداع و(2.83) الشعور بنوبات من السخونة والبرودة في جسمي في حين جاء الوسط الحسابي ككل (3.5).

درجة مقياس المزاج الاكتئابي لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة:

جدول رقم (14)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس المزاج الاكتئابي لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	الدرجة
أشعر بالحزن	5.76	1.523	مرتفع
أشعر بأني مقيد الحركة	5.46	1.056	مرتفع
أشعر بأن الحياة تعب في تعب	5.24	2.286	مرتفع
ألوم نفسي على الأحداث التي مرت بي	5.01	2.286	مرتفع
ينتابني الشعور بالخمول أو قلة النشاط	4.75	1.937	مرتفع
أشعر بالوحدة	4.75	2.198	متوسط
أشعر بالانقباض	4.49	1.989	متوسط
أشعر بالقلق على أشياء بصورة مبالغ فيها	4.46	1.862	متوسط
لم أعني من أي تغير في نمط نومي	4.23	2.080	متوسط
الشعور باليأس من المستقبل	3.91	2.318	متوسط
الشعور بعدم الاهتمام بمن حولي	3.89	2.265	متوسط
أشعر بعدم الأهمية	3.72	2.265	متوسط
فقدت الاهتمام في الجنس	3.43	2.043	متوسط
تنتابني أفكار إنهاء حياتي	2.70	2.266	متوسط
مقياس المزاج الاكتئابي	4.4	1.1	متوسط

يشير الجدول أعلاه إلى أن الأوساط الحسابية للفقرات الخمسة الأولى مرتفعة حيث جاءت (4.75، 5.01، 5.24، 5.46، 5.76) على التوالي في حين جاءت الأوساط الحسابية للفقرات التسعة الأخرى بأوساط حسابية متوسطة أما المقياس ككل كما هو مبين أعلاه (4.4).

درجة مقياس العافية النفسية لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

جدول رقم (15)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس العافية النفسية لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	الدرجة
خلال الفترة الماضية إلى أي مدى شعرت بالثقة على تحمل حل مشاكلك الشخصية	5.17	1.885	مرتفعة
خلال الفترة الماضية هل انتابك شعور بالعصبية والضيق	4.95	1.727	مرتفعة
خلال الفترة الماضية هل شعرت أن المشاكل تتراكم وأنك غير قادر على حلها	4.65	1.854	متوسطة
خلال الفترة الماضية إلى أي مدى انتابك شعور بعدم قدرتك على التكيف مع الأشياء التي كان عليك القيام بها	4.52	1.910	متوسطة
خلال الفترة الماضية إلى أي مدى شعرت بعدم قدرتك على التحكم بأشياء مهمة في حياتك	4.17	1.843	متوسطة
خلال الفترات الماضية إلى أي مدى شعرت أن الأمور تسير كما ترغب	3.14	2.097	متوسطة
كشف الأسى	4.5	0.8	متوسطة

تشير الأوساط الحسابية لمقياس العافية النفسية كما في الجدول (15) إلى أن النزلاء سجلوا أرقاماً مرتفعة على الأولى والثانية خلال الفترة الماضية إلى أي مدى شعرت بالثقة على تحمل مشاكلك الشخصية وخلال الفترة الماضية هل شعرت بالضيق والعصبية وبدرجات مرتفعة (5.17، 4.95) على التوالي في حين جاءت الأوساط الحسابية للفقرات الأربعة الأخرى بدرجات متوسطة أما المقياس ككل فقد كان (4.5).

درجة مقياس آليات التكيف لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

جدول (16)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري

لدرجة مقياس آليات التكيف لدى السجناء في مركز إصلاح وتأهيل سواقة

الفقرة	الوسط	الانحراف المعياري	الدرجة
الجأ إلى الوحدة وعدم التكلم مع أحد	4.99	1.649	مرتفعة
أشاهد التلفزيون	4.92	1.688	مرتفعة
أقرأ القرآن	4.40	1.665	متوسطة
أفكر في تجربة السجن كتجربة سيئة	4.39	2.371	متوسطة
اتكلم مع نزيل آخر	4.10	1.742	متوسطة
لا أفكر في السجن	3.29	2.288	متوسطة
أتكلم مع أحد أفراد أسرتي حول مشاعري	2.80	1.823	متوسطة
اتكلم مع الحارس حول مشاعري	1.74	1.205	متوسطة
مقياس إستراتيجيات التكيف	3.9	0.9	متوسطة
المقياس العام	**الوسط**	**الانحراف المعياري**	**الدرجة**
الاتجاه العام	**4.1**	**0.6**	**متوسطة**

تشير الأوساط الحسابية للتكيف من قبل النزلاء إلى أن الأكثر استخداماً هي اللجوء إلى الوحدة وعدم التكلم مع أحد وبوسط حسابي (4.99) أي بدرجة مرتفعة وجاءت الآلية الثانية مشاهدة التلفزيون وبوسط حسابي مقداره (4.92) أي مرتفع في حين جاءت الآليات الأخرى بدرجات متوسطة أما المقياس ككل فقد كان (4.1).

السؤال الأول: هل يوجد علاقة معنية عند ($P \leq 0.05$) بين التوجه الحياتي مع كل من المشاعر السلبية والضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى ومع إستراتيجيات التكيف؟

تبين من خلال نتائج التحليل الإحصائي وجود علاقة عكسية ومعنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) بين مقياس التوجه الحياتي مع كل من المشاعر السلبية ($r \leq -0.403$)، والضغوط النفسية ($r \leq -0.377$)، ومقياس الوحدة ($r \leq -0.41$)، والمزاج الاكتئابي ($r \leq -0.258$)، ووجود علاقة طردية ومعنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) بين مقياس التوجه الحياتي مع كل من كشف الأسى ($r \leq 0.362$)، ومقياس إستراتيجيات التكيف ($r \leq 0.283$). بينما لم يتم إثبات وجود علاقة معنوية بين مقياس التوجه الحياتي مع مقياس العافية الجسدية ($r \leq 0.048$).

السؤال الثاني: هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين المشاعر السلبية للسجين مع كل من الضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى ومع إستراتيجيات التكيف؟

تبين نتائج الجدول وجود علاقة عكسية ومعنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) بين مقياس المشاعر السلبية للسجين مع كل من مقياس العافية الجسدية ($r \leq -0.26$)، وكشف الأسى ($r \leq -0.455$)، ووجود علاقة طردية ومعنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) بين مقياس المشاعر السلبية للسجين مع كل مقياس الوحدة ($r \leq 0.388$)، ومقياس المزاج الاكتئابي ($r \leq 0.660$). ولم يتم إثبات وجود علاقة معنوية بين مقياس المشاعر السلبية للسجين مع كل مقياس الضغوط النفسية، ومقياس إستراتيجيات التكيف.

السؤال الثالث: هل يوجد علاقة معنية عند ($P \leq 0.05$) بين الشعور بالضغوط النفسية عند السجين مع كل من الوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى ومع إستراتيجيات التكيف؟

تشير النتائج في الجدول عدم وجود علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين معدل الشعور بالضغوط النفسية لدى السجين مع كل من الشعور بالوحدة والعافية الجسدية والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى. بينما تبين وجود علاقة عكسية ومعنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) بين معدل الشعور بالضغوط النفسية لدى السجين مع إستراتيجيات التكيف ($r \leq -0.433$).

السؤال الرابع: هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين شعور السجين بالوحدة مع كل من المزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف؟

توصلت النتائج بالجدول إلى وجود علاقة معنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) بين معدل شعور السجين بالوحدة مع المزاج الاكتئابي ($r \leq -0.514$) وبعلاقة طردية معه، ومع كشف الأسى ($r \leq -0.261$) ولكن بعلاقة عكسية معه.

السؤال الخامس: هل يوجد علاقة معنوية عند ($P \leq 0.05$) بين مستوى شعور السجين بالمزاج الاكتئابي مع كل من كشف الأسى وإستراتيجيات التكيف؟

توصلت النتائج في الجدول وجود علاقة معنوية عند مستوى ($P \leq 0.01$) وعكسية بين شعور السجين بالمزاج الاكتئابي مع كشف الأسى ($r \leq -0.3143$).

الجدول رقم (17)

العلاقة بين التوجه الحياتي مع كل من المشاعر السلبية
والضغوط النفسية والوحدة والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى وإستراتيجيات التكيف

	مقياس التوجه الحياتي	مقياس المشاعر السلبية	مقياس الضغوط النفسية	مقياس الوحدة	مقياس العافية الجسدية	مقياس المزاج الاكتئابي	كشف الأسى
مقياس المشاعر السلبية	-0.403**						
مقياس الضغوط النفسية	-0.377**	0.033					
مقياس الوحدة	-0.41**	0.388**	-0.054				
مقياس العافية الجسدية	0.048	-0.26**	-0.097	-0.020			
مقياس المزاج الاكتئابي	-0.258**	0.660**	-0.044	0.514**	-0.298**		
كشف الأسى	0.362**	-0.455**	0.001	-0.261**	0.070	-0.314**	
مقياس إستراتيجيات التكيف	0.283**	0.010	-0.433**	-0.065	0.079	-0.019	0.409**

**** Correlation is Significant at the 0.01 Level (2-tailed).**

وباختصار:

توصلت الدراسة إلى أن مستوى التوجه الحياتي للسجين يتراجع أو ينخفض إذا كان السجين لديه مشاعر سلبية وضغوط نفسية وشعور بالوحدة ومزاج اكتئابي مرتفع، بينما يزداد مستوى التوجه الحياتي إذا زاد مستوى كشف الأسى. وتبين أنه كلما كان للفرد مستوى توجه حياتي أكبر فإنه قادر على التكيف مع وضعه في السجن.

وتبين أن الشعور السلبي لدى السجناء ينخفض كلما زادت العافية الجسدية وكشف الأسى عنده، بينما يرتفع إذا كان السجين يشعر بالوحدة والمزاج الاكتئابي.

وتشير النتائج إلى عدم وجود علاقة مباشرة بين معدل الشعور بالضغوط النفسية لدى السجين مع كل من الشعور بالوحدة والعافية الجسدية والمزاج الاكتئابي وكشف الأسى، إلا أنه تبين أن الذين يشعرون بالضغوط النفسية أقل قدرة على وضع إستراتيجيات للتكيف مع السجن.

وتبين أن شعور السجين بالوحدة يزيد من المزاج الاكتئابي لديه ولكنه يقلل من مستوى كشف الأسى عنده. كما أن شعوره بالاكتئاب يزيد كلما انخفض كشف الأسى أيضاً.

التوصيات:

- توصي الدراسة بمزيد من الأبحاث المعمقة حول موضوع إستراتيجيات التكيف وعلاقة ذلك بالصحة النفسية والجسدية.
- هنالك حاجة ماسة لمزيد من إدارة العلاقات الاجتماعية الأسرية بين النزلاء وأسرهم وأصدقائهم.
- وجود حاجة ماسة إلى تهيئة النزيل لدخول مركز الإصلاح وتأهيله من أجل تكيف أفضل.
- ضرورة إخضاع جميع النزلاء لاختبارات نفسية وجسدية وتصنيفهم تبعاً لذلك.

المراجع الأجنبية:

- Adams, K., Bennett, K.J., Flanagen, T.J., Marquart J.W., Cuvelier, and S.J. Fritsch, E. et al (1994). A large scale multidimensional test of the effect prison education programs on offenders' behaviour. The prison Journal, 74, 433–449.
- Bureau of justice statistics, (2000(), Correctional populations in the United States. (1977) (NC, 177613). Washington, DC; US. Department of Justice, office of Justice programs.
- Camp, S.D., Gaes, G.G., Langan, N.P., and Saylor, W.G. (2003). The Influence of prisons on inmate misconduct: a multilevel investigation, Justice Quarterly, 20, 501 – 533.
- Clemmer, D (1940). The prison Community, New York: Holt, Rinchart and Winston.
- Cobden, J. and Stewart, G. (1984). Breaking out: A Perspective on Long-term imprisionment and the process of release. Canadian Journal of Crominology, 26, 500 – 510.
- Cox, B.C., Paulus. P.B. and McCain, G. (1984). Prison Crowding research: the relecance for prison housing standards and a general approach regarding crowding phenomena. American psychologist, 39, 1148 – 1160.
- Dhami, M.K., Ayton, P., and Loewenstean, (2007). Adaptation to imporisonment: indigenous or imported? Criminal Justice and behaviour, Vol. 34, No. 8. Aug. pp. 1085 – 1100.
- Diener, E., Sandvik, E., and parrot, W. (1991). Happiness is the Frequency, not the intensity of positive versus negative effect in F. Stark, M. Argyle, and N. Schwarz (eds.), subjective well-being: An interdisciplinary perspective (pp. 119 – 139). Elmsford, NY: Pergamon Press.
- Finn, M.A. (1995). Disciplinary Incidents in Prison: effects of race, economic status, urban residence, prior imprisonment, Journal of offender rehabilitation, 22, 43 – 156.
- Flanagan, T.J., (1980). Time-served and institutional miscondnct: patterns of involvement in disciplinary infractions among Long-term and short-term inmates. Journal of criminal Justice, 8. 357 – 367.
- Fredman, H.S., and Povoth – Kewley, S. (1987). Personality type. A behavior, and Cornary heart disease the rule of emotional expression. Journal of personality and social psychology, 53, 783 – 792.
- Frottier, P., Ritter, K., Fruhwald, S., 1eher, S., and Bauer, P. (2001). Deprivation Versus importation: A Model explaining the increase of suicide rates in custody. European psychiatry, 15, 416.
- Gerber, J., and Fristsh, E. (1995). Adult academic and vocational correctional education programs: A review of recent research. Journal of offender rehabilitation, 22, 119 – 142.
- Gillespie, W. (2003). Preconisation: individual and institutional factors affecting inmate conduct. New York: LFB scholarly publishing.
- Goffman, E. (1961). Asylums: Essays on the social situation of mental patients. Harmods worth, UK: pelican.
- Goodstien, L., and Wright, K.N. (1989). Inmate adjustment to prison, in L. Goodstein and D.L., Mackenzic (eds.). the American prison, issues in research and policy cpp. 229 – 251), London: plenum.
- Grounds, A. (2006). Psychological consequences of wrongful conviction and imprisonment Canadian Journal of Criminology and Criminal Justice, Vol. 46. No. 2 pp. 165 – 182.
- Hairston, C.F. (1991). Family ties during imprisonment: important to whom and for what? Journal of sociology and social welfare, 18, 87 – 104.
- Harreveld, V.F., Plight, J.V., Claassen, L. and DiJK., W.W. (2007). Inmate emotion coping and psychological and physical well-being: the use of crying over spilled milk, Criminal Justice and Behaviour. Mar. 967 – 708.

- Irwin, J and Cressey, D. (1962), Thieves, Convicts and the inmate culture, social problems. 10, 145 – 155.
- Irwin, J. (1970). The felon. Englewood cliffs, NJ: prentice-hall.
- Jiang, S.H., nad Fisher-Giorlando, M. (2002). Inmate misconduct: A test of the deprivation, importations, and and situational models, the prison Journal, 82, 335 – 358.
- Johnson, R., and Toch, H. (2000). Crime and Punishment: inside views. Los Angeles: Roxbury.
- Kimmett, E.O., Donnell, 1, and Martia, C. (2002) prison violence, the dynamics of conflict fear, and power. Cullompton. United Kingdom: willan.
- Kubznsky, L.D., and Kawachi, 1. (2000). Going to the heart of the matter: Do negative emotions cause coronary heart disease? Journal of Psychosomatic Research, 48, 323 – 337.
- Lepore, S. J., Evans, G.W. and Schneider. M. L., (1991) Dynamic role of social support in the link between chronic stress and psychological distress. Journal of personality and social psychology 61, 899-909.
- Lustman, p.1, Frank, P. L., and McGill, J.B (1991). Relationship of personality characteristics to glucose regulation in adults with diabetes psychosomatic medicine, 53, 305-312.
- Lutz, F.E. (2001). The influence of a shock incarceration program on inmate adjustment an attitudinal change. Journal of Criminal Justice, 29,255-267.
- Mc Corkle, R.C., Miethe, T.D., and Drass, K.A. (1995) the roots of prison violence- a test of the deprivation, management, and not-so-total Institution models, Crime and Delinquency, 41, 317-331.
- Mc Corkle, R. (1992). Personal perceptions to violence in prison. Criminal Justice and Behaviour, 19, 160-173.
- Paulus, P.B., and McCain, G. (1983). Crowding in Jails, Basic and applied social psychology, 4, 89-107.
- Porporino, F.J., and Zamble, E. (1984). Coping with imprisonment. Canadian Journal of Criminology, 26, 403-421.
- Salovey, p.1, A.g, Delweiler, J.B. and Steward. W.T (2000). Emotional states and physical health. American psychologist,55, 110-121.
- Sappingtion, A.A. (1996). Relationships among prison adjustment, beliefs, and cognitive coping style. International Journal of offernder Therapy and Comparative Criminology, 40, 54-62.
- Sykes, G.M. (1958). The society of captives, Princeton, NJ: Princeton university press.
- Sykes, G.M. and Messinger, S.L. (1960). The inmate social system in R. A. cloward (ed.). theoretical studies in social organization of the prison (pp 5-19). New York: social science Research Council.
- Thomas, J., Leaf, M., Kazmierczak, s., and stone, J. (2006). Self-injury in correctional settings: pathology of prisons or of prisoner. Journal of Criminology and Criminal Justice, Bol. 5. No. 1. pp. 193-202.
- Toch, H. (1977). Living in Prison. The ecology of survival. Washington, DC: American psychological Association.
- Wright, K.N. (1989). Race and economic marginality in explaining prison adjusted. Journal of research in Crime and delinquency, 26, 27-89.
- Zamble, E. (1992). Behavior and adaptation in Long-term prisoners. Criminal justice and behavior, 19, 409-425.
- Zamble, E., and Porporino, F., (1988). Coping, behavior, and adaptation in prison inmates, New York: Springer- verlag.

الردّة عن الإسلام بين التجريم وحرّية المعتقد

الدكتور: عزالدين كيحل
جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخّص

هذه الدراسة تسلّط الضوء على موضوع الردّة عن الإسلام وكيف تمّ التعاطي معها من وجهة النظر الشرعية، وكيف نُظِر إلى المسألة في منطق البشر من خلال المواثيق والاتّفاقيات الدولية والإقليمية ..

وتجيب عن إشكالية الموقف الواجب اتّخاذه من طرف المسلمين بصرف النظر عن مخالفته لهذه المواثيق أو موافقته لها ..

Summary

This study sheds light upon the issue of apostasy and how dealing with it from the Islamic point of view and from the international and regional agreements and conventions concerning human rights.

Also, this study is trying to investigate the Muslim's position that must be taken in facing this problem regardless of whether he agrees or disagrees with these charters

تقديم

من لوازم العقد الذي يقع بين المسلمين والحاكم الذي ينتخبوه أن يلتزم هذا الحاكم بما يجب عليه فعله ممّا يتوقّف فعله على وجوده هو، وفي هذا الإطار يذكر الإمام الماوردي ما يجب أن يلتزم به الحاكم المسلم فيقول: " والذي يلزمه من الأمور العامّة عشرة أشياء :

أحدها: **حفظ الدين** على أصوله المستقرّة وما أجمع عليه سلف الأمّة، فإذا نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجّة، وبيّن له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ..

الرابع: **إقامة الحدود** لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك "[34] .

إذن، فمن الأمور المنوطة بالحاكم في ديار المسلمين أن يقوم بحفظ الدين وإقامة الحدود .. بل إنّ خلافة النبيّ ﷺ على هذه الأمّة إنّما هي لحراسة الدين وسياسة الدنيا به[35]، فتلك مهمّة لصيقة بالحاكم المسلم لا يمكن أن يتنصّل منها تحت أيّ عذر كان ..

غير أنّ ما هو من شريعة الإسلام بالأمر المقرّر اتّفاقاً، ليس كذلك في شريعة الحياة الحاضرة حيث لا مكان للخصوصيات ولا احترام لدين، بل حيث الشِرْعة الواجب عولمتها على جميع أمم الأرض بصرف النظر عن ما تتميّز به كلّ أمّة عن غيرها ..

وفي هذا الإطار، تتموضع الردّة بين اعتبارها حقّاً يجب توفيره واحترامه وبين كونها جريمة يعاقَب عليها بالإعدام . وهنا يجد المسلم نفسه في مواجهة مع القيم العالمية التي ليست متوافقة مع دينه، إمّا أن يخضع لها وينخرط في هذه المنظومة الكونية وينسلخ من هويته، وإمّا أن يفرض معتقده ويركن إلى شريعة ربّه ولا يأبه بعد ذلك لشيء .. وفي العناصر الموالية تبيين للخيط الأبيض من الخيط الأسود في موضوع الردّة، وفكٌّ لإشكالية المواءمة مع الإملاءات الدولية..

1: تعريف الردّة:

"هي كفرُ مسلم بصريح أو قول يقتضيه، أو فعل يتضمّنه"[36]، فهي الخروج عن الإسلام بعد الدّخول فيه من غير إكراه، ويكون هذا الخروج بالقول كأُشرِك بالله ممّا هو كفرٌ بطبيعته، أو قول يقتضي الكفر كمن ينكر صلاح الشريعة لكلّ زمان ومكان، كما يتحقّق بالفعل كإلقاء مصحف بمكان قذر أو استحلال فعل محرّم وإتيانه من غير تأويل، ومثل الفعل الامتناع عن فعل يوجبه الإسلام إذا كان هذا الامتناع مع الإنكار والجحود، كالاستبدال بالحدّ إذا تحقّق مناطه حكماً تعزيرياً أخفّ بحجّة أنّ الحدود قد عفى عنها الزمن، وكتارك الصلاة أو الزكاة – مثلاً - مع العلم بوجوبهما وحرمة تركهما[37]..

---

[34] - **الأحكام_السلطانية والولايات الدينية**، ط. د. (بيروت : دار الكتب العلمية، ت.د.)، ص18 ؛ وانظر كذلك: الأندلسي، أبو عبد الله محمّد بن الأزرق، (ت 896 هـ)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، جزآن، ط.د. دراسة وتحقيق: محمّد بن عبد الكريم، (ليبيا - تونس : الدار العربية للكتاب، ت.د.)، ج2، ص633 وما بعدها .

[35] - انظر الماوردي في تعريفه للإمامة، ص3 .

[36] - الدردير، **الشرح الصغير**، 4 أجزاء، ط.د. (الجزائر: وزارة الشؤون الدينية، 1413 هـ/1992 م)، ج4، ص116 ؛ وانظر: ابن فرحون، **تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، جزءان، ط.د. (مصر : المكتبة التجارية الكبرى، ت.د.)، ج2، ص362 .

[37] - انظر: البهوتي، منصور بن يونس، **كشّاف القناع عن متن الإقناع**، 06 أجزاء، راجعه وعلّق عليه، الشيخ هلال مصيلحي مصطفى هلال، ط.د. (الرياض : مكتبة النصر الحديث، ت.د.) ج6، ص168 وما بعدها ؛ والدردير، **المرجع السابق**، ج4، ص362 .

وإذا كانت هذه هي الردّة، فإنّها لا تصحّ إلاّ ممّن يصحّ إسلامه، وهو المكلّف الذي تأهّل للخطاب، حتى يتحقّق منه القصد الجنائي، ويكون محلاً لتوقيع العقوبة عليه إذا لم يرجع إلى الإسلام، وعليه فإنّ ردّة المكرَه والمجنون لا تصحّ، وفي ردّة الصبيّ المميّز والسكران خلاف[38] .

2: حكم الردّة

2-1- حكم ردّة الفرد

يقول الشوكاني: "اعلم أنّ الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدِم عليه إلاّ ببرهان أوضح من شمس النهار"[39]، ذلك أنّ خروجه من الإسلام يعتبر هتكاً لحرمة الدين[40]، ونقضاً للميثاق الذي بينه وبين الله، وتعريضاً لجسم الأمّة لخطر التفتّت، فإذا ما ظهر من المسلم ما يدلّ يقيناً على ردّته، **فإنّه يُقتل بعد أن يُستتاب**[41]، لقول النّبي ﷺ : (من بدّل دينه فاقتلوه)[42]، ولقوله ﷺ :(لا يحلّ دم امرىءٍ مسلم يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله إلاّ بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيّب الزاني، والمارق من الدين التارك الجماعة)[43].

ويستوي في حكم الردّة الرجل والمرأة عند الجمهور، خلافاً للحنفيّة الذين لا يقتلون المرأة بالردّة بل تحبس عندهم وتجبر على الإسلام حتى تتوب أو تموت[44] .

2-2- حكم الردّة الجماعية

هذا وينبغي التذكير بأنّ الردّة قد تكون من أفرادٍ شُذّاذ تشملهم قدرة السلطان، كما قد تكون ردّةً جماعيّة على نحو ما حدث بُعَيد وفاة النبيّ ﷺ؛ أيّام خلافة أبي بكر الصدّيق، فإن كانت الحالة الأولى فلا حاجة إلى قتالهم، بل يُكشف عن سبب ردّتهم، ويؤخذون بالتوبة وإلاّ قُتلوا على ما ذُكر آنفاً[45]، وإن كانت الحالة الثانية، أي بأن كانوا جماعة كثيرة متحيّزين

---

[38] - انظر: عبد القادر عودة، **التشريع الجنائي الإسلامي**، جزآن، الطبعة السادسة، (بيروت : مؤسّسة الرسالة 1405هـ/1985م)، ج2، ص713 وما بعدها .

[39] - **كتاب السيل الجرّار المتدفّق على حدائق الأزهار**، 4 أجزاء، ط.د. تحقيق : محمود إبراهيم زايد، (القاهرة : دار الكتاب المصري - بيروت : دار الكتاب اللبناني، 1408هـ/1988م)، ج4، ص549 .

[40] - انظر: الدهلوي، أحمد شاه وليّ الله بن عبد الرحيم، **حجّة الله البالغة**، جزآن، ضبطه ووضع حواشيه : محمّد سالم هاشم، الطبعة الأولى، (بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية، 1415هـ / 1995م)، ج2، ص300 .

[41] - اختُلِف في حكم الاستتابة، فقيل هي واجبة، وقيل مستحبّة، وقيل يجب قتل المرتدّ في الحال، كما اختُلف في مدّتها، فقيل ثلاثة أيّام، وقيل شهر وقيل أكثر ... انظر: السرخسي، شمس الدين، **كتاب المبسوط**، 30 جزءاً، الطبعة الثانية، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ت.د.)، ج10، ص98-99 ؛ وانظر: الشوكاني، **نيل الأوطار_شرح منتقى الأخبار**، 8 أجزاء، ط.د. (بيروت: دار الكتب العلميّة، ت.د.)، ج7، ص195؛ و**السيل الجرّار**، ج4، ص351-352 .

[42] - أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، رقم 2794،6411 . (من المكتبة الشاملة).

[43] - ع. الباقي، محمد فؤاد، **اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان**، 3 أجزاء، ط.د. (بيروت، لبنان : دار إحياء التراث العربي، 1406هـ / 1986م)، رقم 1091 .

[44] - انظر: السرخسي، **المبسوط**، ج10، ص108 وما بعدها .

[45] - يرى بعض المعاصرين أنّ الردّة لا تستوجب الحدّ المقرّر ؛ **فالشيخ شلتوت** يقول في هذا الشأن "وقد يتغيّر وجه النظر في هذه المسألة إذا لوحظ أنّ كثيراً من العلماء يرى أنّ الحدود لاتثبت بحديث الآحاد، وأنّ الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإ نّما المبيح للدم هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، وأنّ ظواهر القرآن الكريم في

ممتنعين، فيجب قتالهم على الردّة بعد مناظرتهم على الإسلام وإيضاح دلائله، ويجري على قتالهم بعد الإنذار والإعذار حكم قتال أهل الحرب في قتالهم غِرّة وبَياتاً ومصافَّتهم في الحرب جِهاراً وقتالهم مقبلين ومدبرين[46]، "وقد قاتل أبو بكر القبائل التي ارتدّت عن الإسلام بعد وفاة النبيّ ﷺ، ولم يخالفه أحد من الصحابة، وقاتلوهم معه إجماعاً منهم على قول النبيّ ﷺ (من بدّل دينه فاقتلوه)[47][48]، ولم يتوقّفوا عن قتالهم حتى قُتِل منهم مَن قُتل وعاد منهم إلى الإسلام مَن عاد، وتمّ تطهير الجزيرة العربيّة من كلّ مرتدّ ومشرك .. وأصبحت هذه الحادثة والموقف الشرعي منها سابقة في القضاء والسياسة في تاريخ المسلمين ..

3- حكم الكافر الأصلي

أمّا غير المسلم في ديار الإسلام - كالمسيحي واليهودي مثلاً - فلا يشمله حكم المسلم المرتدّ، ولا يُكرَه على دينه، ولا يُجبَر على ممارسة شعائر المسلمين، والدليل في ذلك واضح من قوله تعالى: {لا إكراه في الدين قد تبيّن الرُشْد من الغيِّ}[البقرة: الآية 256]، وقوله: {أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين}[يونس: الآية 99]، فلا مجال -إذن- لفرض معتقد بالقوّة والإكراه طالما زوّد الله الإنسان بآلة العقل التي يأتي منها حقّه المطلق في الاختيار بحكم أنّه مخلوق مكرّم، {ولقد كرّمنا بني آدم}[الإسراء: الآية 70]، فموقعه في ديار المسلمين أنّه صاحب عهد وذمّة وأمان؛ لا يجوز أن يُخفَر في شيء من ذلك، على أن يمارس شعائره في إطارٍ من التنظيم الذي يكفل له حرّية الممارسة، وفي ذات الإطار لا ينبغي أن يمتدّ تأثيره في المسلمين..

4- الأساس الشرعي لتجريم الردّة والعقاب عليها

إذا تقرّر أنّ الإسلام دين يقبل إلى جواره أهل الملل الأخرى ويمنع إكراههم على اعتناقه، بل ويكفل لهم حرّية ممارسة شعائرهم بالوضع نفسه الذي يتمتّع به المسلمون، فما الذي يدفع صاحب دينٍ غير الإسلام إلى اعتناق الإسلام ثمّ الخروج منه طالما هو يتمتّع بحرّية إقامة دينه وممارسة شعائره كما يحبّ؟ من هنا يجب أن يفهم تجريم الردّة والعقاب عليها من خلال فهم طبيعة الإسلام ذاتها. وفي العناصر التالية توضيح للإشكال من غير خجل ولا حرج:

كثير من الآيات تأبى الإكراه على الدين ..." **الإسلام عقيدة وشريعة**، الطبعة الرابعة عشرة، (القاهرة - بيروت: دار الشروق، 1407هـ/1987 م)، ص281، أمّا **محمّد سعيد رمضان البوطي**، فيرى أنّ علّة الحكم بقتل المرتدّ هي الحرابة لا الكفر، وبالتالي فمن ارتدّ ولم يعلن عن شبهاته ولم يُشِد بها بين الناس فهذا شأنه شأن الكافر الأصلي لا يُكره على الدين، أمّا إذا استعلن بردّته عن الإسلام ونافح عن أفكاره المناقضة للإيمان وأصرّ على ذلك فهذا قطعاً كائد للإسلام والمسلمين وهو أخطر أنواع الحرابة ...، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه** ؟ الطبعة الأولى، (بيروت: دار الفكر المعاصر - دمشق: دار الفكر، 1414هـ/1993م)، ص 210 وما بعدها، وهو رأي قريب جدّاً من رأي الشيخ شلتوت، أمّا الثالث فهو **محمّد سليم العوّا** حيث رجّح أن يكون حكم الردّة هو التعزير الذي قد يصل إلى القتل، ولا يمكن القطع بكون عقوبتها هي الإعدام وأنّها من عقوبات الحدود، وفي الدفاع عن وجهة نظره حاول صرف الأمر المذكور في حديث (من بدّل دينه فاقتلوه) من الوجوب إلى غيره مستنداً في ذلك على أحاديث وآثار وأخبار متظافرة في ذلك .. **في أصول النظام الجنائي الإسلامي، دراسة مقارنة**، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار المعارف، 1983م)، ص161 وما بعدها .

[46] - انظر: الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ص 69 وما بعدها .

[47] - تقدّم تخريجه .

[48] - محمّد الطاهر بن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، ط.د.(الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب، 1979م)، ص171-172 .

أ- الإسلام دين يكرّم الإنسان ويرفعه إلى مستوى بحيث خلق له كلّ هذا الكون وسخّره له حتى يقوم بوظيفة الاستخلاف والعبودية على الوجه المرتضى شرعاً، {ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن حملنا تفضيلا}[الإسراء: الآية 70]، {الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون، وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيت لقوم يتفكّرون}[الجاثية: الآيتان 12-13]..

ب- من مظاهر التكريم الإسلامي للإنسان تمكينه من حرّية التديّن من غير إكراه أو قسر أو استغلال ضعف أو حاجة، فإذا ما اختار هذا الدين فإنّ اختياره له عن قناعة تامّة ويقين لا يخالطه تردّد، فإذا ما خرج عنه فإنّه يعتبر مستهتراً مستهزئاً محتقراً له، وهذا ممّا لا يقبله مذهب وضعي فكيف بالله عزّ وجلّ صاحب هذا الدين[49] ..

ت- إنّ فهم هذا الحكم الشرعي الجزئي يجب أن يكون ضمن المقاصد الكلّية لهذا الدين، ومن ضمن هذه المقاصد حفظ الدين من التلاعب به، ومن غير شكّ أنّ الذي اختار الإسلام عن حرّية ودراية وتروٍّ ثمّ يتراءى له أن يخرج منه، وهو يعلم مسبقاً أنّ الخروج منه غير مقبول .. إنّ سلوكاً كهذا تجاه دين يعلن بداية أنّه لا يقبل الدخول فيه عن إكراه لَسلوكٌ ضارٌّ بالإسلام يستحقّ صاحبه ما كان يعلمه مسبقاً من عقاب .. وقد استقرّ في عرف القانون الوضعي أن العقوبة لا تطبّق على الجاني إلاّ بعد نشر النصّ عليها في الوثائق الرسمية للدولة ومضي مدّة للعلم بها.. فكيف يُقبَل الأمر قانوناً، ولا يُقبل من شرعٍ يعلن مسبقاً أنّه لا يُكرِه أحداً على الدخول فيه، لكن بعد اعتناقه لا يُسمح بالخروج منه ..؟

من هنا يجب فهم حكم الردّة في الإسلام، وهو فهم ينطلق من قيمة الإنسان في التصوّر الإسلامي، ومن فضاء الحرّية التي ضمنها هذا الدين لغير المؤمنين به، ثمّ أخيراً من حرص الشريعة على أن تكون محترَمة مصونة بعيدة عن التلاعب والاستهتار، الأمر الذي لا يقبله واضع القانون فضلاً عن خالق السموات والأرض ومنزل هذا الدين ليكون ديناً للعالمين من غير قسر أو إكراه ..

4- الردّة في المواثيق الدولية والإقليمية غير الإسلامية[50]

تتموضع الردّة في هذه المواثيق ضمن منظومة ما يسمّى بحقوق الإنسان، ويعبّر عنها في الغالب بـــ**(حرّية المعتقد)**

وفي هذا الإطار، تذكر هذه المواثيق بصراحة لا تقبل أدنى تأويل أنّ للإنسان – أيّ إنسان – الحقّ في تغيير دينه واعتناق دين آخر، والخروج منه إلى دين ثالث وهكذا .. من غير أن يُلام على ذلك أو يعاقب، وكلّ الدول الموقّعة على ميثاقٍ أو أكثر من هذه المواثيق أن تلتزم بالبنود الواردة حرفياً، ولا يهمّ في ذلك أن تكون هذه الدول إسلامية الدين أو غير إسلامية، ولا قيمة لخصوصية دولٍ بعينها طالما وقّعت أو أُجبِرت على التوقيع، لأنّ مثل هذه الحقوق تعتبر قيماً إنسانية عالمية يجب أن تسمو على القواعد القانونية المحلّية والتي منها تلك المانعة من تغيير المعتقد (الردّة) أو المقيّدة له ..

وفيما يلي نماذج ممّا ورد في هذا الشأن:

- **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**[51]

تقول المادّة 18:

---

[49] - انظر: محمّد الغزالي، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتّحدة**، الطبعة الرابعة، (القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005 م)، ص79 وما بعدها .

[50] - كلّ النصوص الواردة في الاتّفاقيات والمواثيق الدولية والاقليمية والعربية والإسلامية مأخوذة من موقع: **http://www1.umn.edu/humanrts/arabic/** تاريخ الزيارة 28/04/2013 .

[51] - اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامّة للأمم المتّحدة المؤرّخ في 10 كانون الأوّل/ ديسمبر 1948 .

"لكل شخص حقّ في حرّية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحقّ **حرّيته في تغيير دينه أو معتقده،** وحرّيته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبّد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حده".

ومنطوق هذه المادّة نفسه ورد في العهد الدولي الخاصّ بالحقوق المدنية والسياسية[52] .

- **إعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصّب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد**[53]

تقول المادّة 1:

1- "لكلّ إنسان الحقّ في حرّية التفكير والوجدان والدين. ويشمل هذا الحقّ **حرّية الإيمان بدين أو بأيّ معتقد يختاره،** وحرّية إظهار دينه أو معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، سواء بمفرده أو مع جماعة، وجهراً أو سراً .

2- لا يحوز تعريض أحد لقسر يحدّ من حرّيته في أن يكون له دين أو معتقد من اختياره" .

- **اتّفاقية حماية حقوق الإنسان في نطاق مجلس أوروبا**[54]

تقول المادّة 9:

"1- لكلّ إنسان الحقّ في حرّية التفكير والضمير والعقيدة. هذا الحقّ يشمل **حرّية تغيير الدين أو العقيدة،** وحرّية إعلان الدين أو العقيدة بإقامة الشعائر والتعليم والممارسة والرعاية، سواء على انفراد أو بالاجتماع مع آخرين، بصفة علنية أو في نطاق خاصّ".

- **ميثاق الحقوق الأساسية للاتّحاد الأوروبّي**[55]

تقول المادّة: 10 حقّ الفكر والضمير والديانة

" لكّل شخص الحقّ في حرّية الفكر والضمير والديانة، ويشمل هذا الحقّ **الحرية في تغيير الديانة أو العقيدة،** وحرّية إعلان الديانة أو العقيدة والتعبّد والتعليم والممارسة وإقامة الشعائر، إمّا بمفرده، أو بالاجتماع مع الآخرين، وإمّا بشكل علني أو بشكل سرّي".

- **الإعلان الأمريكي لحقوق وواجبات الإنسان - منظّمة الدول الأمريكية**[56]

تقول المادّة 3 تحت عنوان: الحقّ في الحرية الدينية والعبادة

"لكل شخص الحقّ في **اعتناق ديانة ما بحرّية** وإظهارها وممارستها علناً وفي السرّ".

- **الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب**[57]

---

[52] - اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتّحدة 2200 ألف (د-21) المؤرّخ في 16 كانون/ ديسمبر 1966 تاريخ بدء النفاذ: 23 آذار / مارس 1976، وفقاً لأحكام المادة 49 .

[53] - اعتمد ونشر علي الملأ بموجب قرار الجمعية العامّة للأمم المتّحدة 36/55 المؤرّخ في 25 تشرين الثاني/نوفمبر 1981.

[54] - روما في 4 نوفمبر 1950.

[55] - بدأ العمل به في ديسمبر 2000.

[56] - القرار رقم 30 الذي اتّخذه المؤتمر الدولي التاسع للدول الأمريكية (1948) .

[57] - تمّت إجازته من قبل مجلس الرؤساء الأفارقة بدورته العادية رقم 18 في نيروبي (كينيا) يونيو 1981 .

تقول المادّة 8:

"حرّية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية مكفولة، ولا يجوز تعريض أحد لإجراءات تقيد ممارسة هذه الحريات، مع مراعاة القانون والنظام العامّ" .

5- إعلانات الدول العربية والإسلامية

وإزاء هذه المعاهدات والمواثيق الدولية وجدت الدول العربية والإسلامية نفسها بين أن تختار طريق الانجرار وراء الإملاءات الدولية وإطلاق العنان لكلّ أنواع الكفر والإلحاد أن تمارَس في ديار المسلمين، وبين أن تنتصر لدينها وما يفرضه من أحكام ضاربة عرض الحائط كلّ ما من شأنه أن ينال منه باسم حقوق الإنسان، وبين أن تسكت عن الموضوع برمّته ولا تعتبر مسألة الردّة أمراً له مكانه في قوانين العقوبات، بل تضرب عنها صفحاً، وفي ذات الوقت توقّع على المعاهدات والمواثيق الدولية إرضاءً للمنتظم الدولي أو الإقليمي وهروباً من اللوم الذي قد تجده إذا لم تنخرط في مثل هذه المعاهدات والمواثيق ..

هذا إذا تحدّثنا عن كلّ دولة من هذه الدول الإسلامية منفردة. أمّا مجتمعة، فقد أصدرت **إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام** ، وأصدرت الدول العربية **الميثاق العربي لحقوق الإنسان** .

- **إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام**[58]

ورد في المادّة 10 منه:

"الإسلام هو دين الفطرة، ولا يجوز ممارسة أي لون من الإكراه على الإنسان أو استغلال فقره أو جهله على تغيير دينه إلي دين آخر أو إلى الإلحاد".

وجاء في بعض فقرات المادة 22

"أ- لكلّ إنسان الحقّ في التعبير بحرّية عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية.

ث- الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرّض للمقدّسات وكرامة الأنبياء فيه، وممارسة كلّ ما من شأنه الإخلال بالقيم أو إصابة المجتمع بالتفكّك أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد".

فالناظر في مثل هذه النصوص الصادرة من دول المسلمين مجتمعة يجدها تتبع من روح الإسلام، ليس فيها تبعية للغير ولا هي متأثّرة بإملاءاته ..

- **الميثاق العربي لحقوق الإنسان**[59]

وقد ورد في المادّة 26 منه:

"حرّية العقيدة والفكر والرأي مكفولة لكلّ فرد".

المادة 27

" للأفراد من كلّ دين الحقّ في ممارسة شعائرهم الدينية، كما لهم الحقّ في التعبير عن أفكارهم عن طريق العبادة أو الممارسة أو التعليم وبغير إخلال بحقوق الآخرين، ولا يجوز فرض أيّة قيود على ممارسة حرّية العقيدة والفكر والرأي إلاّ بما نصّ عليه القانون".

---

[58] - تمّ إجازته من قبل مجلس وزراء خارجية منظّمة مؤتمر العالم الإسلامي ،القاهرة، 5 أغسطس 1990 .

[59] - اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار مجلس جامعة الدول العربية 5427 المؤرّخ في 15 سبتمبر 1997 .

وهذا النصّ لا يختلف في روحه عمّا ورد في إعلان القاهرة من حرّية ممارسة الشعائر الدينية لأصحاب المعتقدات المختلفة من غير إكراه و فرض قيود إلاّ في إطار القانون المحلّي لكلّ دولة.

غير أنّ ما يؤخَذ على نصوص إعلان القاهرة والميثاق العربي لحقوق الإنسان أنّها خالية من الإشارة إلى تجريم الردّة بشكل صريح، وإن ورد ضمناً ما قد يدلّ على ذلك في الفقرة (ث) من المادّة 22 من إعلان القاهرة ..

- **الميثاق العربي لحقوق الإنسان - النسخة الأحدث[60] .**

يبدو أنّ هذه النسخة تراجعت عن تمسّكها بما ورد في النسخة السالفة عنها والتي ورد فيها: " للأفراد من كلّ دين الحقّ في ممارسة شعائرهم الدينية "، فقد خلت من هذه الصيغة، ولم تختلف عمّا ورد في الإعلانات الدولية والإقليمية غير الإسلامية، وجاء نصّها كالآتي:

المادة 30

"1- لكلّ شخص الحقّ في حرّية الفكر والعقيدة والدين، ولا يجوز فرض أيّة قيود عليها إلاّ بما ينصّ عليه التشريع النافذ.

2- لا يجوز إخضاع حرّية الإنسان في إظهار دينه أو معتقده أو ممارسة شعائره الدينية بمفرده أو مع غيره إلاّ للقيود التي ينصّ عليها القانون والتي تكون ضرورية في مجتمع متسامح يحترم الحرّيات وحقوق الإنسان لحماية السلامة العامّة أو النظام العامّ أو الصحّة العامّة أو الآداب العامّة أو لحماية حقوق الآخرين وحرّياتهم الأساسية ".

6- سؤال وجوابه

بقي في الأخير سؤال يتناقله كثير من دعاة الحرّية والمتأثّرين بالحياة في الغرب مفاده أنّه: لماذا تستبشرون بدخول الناس في الإسلام وتمنعون الخروج منه، في حين أنّ الغرب لا يعاقب من يخرج عن المسيحية إلى الإسلام أو إلى أيّ دين آخر؟

والجواب عن هذا السؤال في الشقّ الإسلامي منه قد تقدّم، أمّا عدم اهتمام الغرب بمن يخرج عن المسيحية إلى غيرها، فذاك نابع من الطبيعة العلمانية لدوله؛ حيث يُعتبَر الدين عندهم مسألة شخصية بين الإنسان وخالقه، ولا علاقة له بشؤون الحياة من قريب أو بعيد.. وفي هذه الحالة يستوي عندهم من أسلم مع من تهوّد مع من تنصّر مع من اختار الإلحاد .. فالحرّية في اعتناق دينٍ ما وممارسة شعائره والدعوة إليه مكفولة بالتساوي للجميع، ولا خوف على الحياة الاجتماعية طالما الكلّ تحت مظلّة القانون.

خلاصة

يمكن القول - في الختام - بأنّ مسألة الردّة في الإسلام من حيث تجريمها والعقاب عليها مسألة يجب فهمها من داخل هذه المنظومة الربّانية في شموليتها وتسامحها ومنطقيتها، لا من خلال ما توصّل إليه الإنسان من مواثيق ومعاهدات منبتّة عن الإسلام في الجملة وفي الكثير من التفصيل. فليس من المنطق – إذن - أن يُحكم على قضية كالردّة من خلال تشريعات بشرية حلّت محلّ صاحب الدين الحقّ، وليس من العقل في حالٍ من الأحوال أن يُلام من تمسّك بتعاليم دينه – والتي منها ما يتعلّق بالردّة من أحكام - ويُتّهَم باللاتسامح وانتهاك حقوق الإنسان .

---

[60] - اعتمد من قبل القمة العربية السادسة عشرة التي استضافتها تونس في 23 مايو/أيّار 2004 .

دور الجمارك الجزائرية في حماية المخطوطات

الأستاذ : حتحاتي أحمد

الأستاذ : مدوح أحمـــد

بغض النظر عن دورها الجبائي والاقتصادي عموما، تلعب إدارة الجمارك دورا كبيرا في المجال الثقافي خاصة فيما يتعلق بتوفير الإجراءات اللازمة قصد حماية المخطوطات الوطنية وحتى الأجنبية منها ، حيث أن ذلك من المهام الرئيسية التي نص عليها القانون 07/79 المؤرخ في 26 شعبان 1979 الموافق ل 21 يوليو سنة 1979 المتضمن قانون الجمارك المعدل والمتمم بالقانون 10/98 وذلك في مادته الثالثة حيث جاء فيها ما يلي " تتمثل مهمة إدارة الجمارك على الخصوص فيما يأتي :

1- تنفيذ الإجراءات القانونية والتنظيمية التي تسمح بتطبيق قانون التعريفة والتشريع الجمركيين
2- تطبيق التدابير القانونية و التنظيمية المخولة لإدارة الجمارك على البضائع المستوردة أوالمصدّرة وكذا البضائع ذات المنشأ الجزائري الموضوعة تحت نظام المصنع الخاضع للمراقبة الجمركية،
3- إعداد إحصائيات التجارة الخارجية و تحليلها
4- السهر ، طبقا للتشريع ، على حماية :

-الحيوان و النبات

-التراث الفني و الثقافيّ

إن اعتبار هذه المهمة من المهام الرئيسية لإدارة الجمارك يفسر الجهود التي تبذلها الإدارة الجمركية عن طريق تطوير امكانياتها وتركيز جهودها على الحدود من اجل منع التصدير والاستيراد غير القانوني للمخطوطات والمتاجرة فيها ،

فما هي الإجراءات والنصوص المتخذة من طرف المشرع الجمركي قصد مكافحة التعاملات غير المشروعة في مجال المخطوطات ؟ وهل هي كافية من اجل توفير حماية متكاملة ؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية سنتطرق بالتفصيل الى بيان ذلك عن طريق النقاط التالية.

التأطير القانوني لتدخل الجمارك في مجال حماية المخطوطات

01- من خلال نصوص قانون الجمارك

02- من خلال النصوص القانونية والتنظيمية التي تكلف إدارة الجمارك بتطبيقها

الاقتراحات العملية المتعلقة بتحسين تدخل الجمارك في مجال حماية المخطوطات

01- ضمان التنسيق الداخلي

02- تفعيل التعاون الدولي

التأطير القانوني لتدخل الجمارك في مجال حماية المخطوطات

تكمن قيمة التراث الثقافي وأهميته كتراث إنساني يجسد عبقرية شعب ويشكل حلقة من حلقات التطور الثقافي والحضاري للإنسان، وما يؤكد هذه الأهمية أن ضياع أي أثر أو فقده يشكل خسارة كبرى لا تعوض لا للدولة صاحبة الأثر فحسب بل للإنسانية جمعاء، لأن تراث أي دولة إنما هو حلقة في سلسلة متصلة من الحلقات من قصة الإنسان منذ ظهر على سطح الأرض حتى الآن.

تقتضي الإحاطة بالموضوع تسليط الضوء على الإطار القانوني الوطني والدولي لحماية المخطوطات ، عن طريق البحث بالقواعد القانونية الوطنية التي تضمنها قانون الجمارك وقانون حماية التراث الثقافي ، والاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالموضوع كاتفاقية اليونسكو لعام **1954** لحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح، وبروتوكولها الأول والثاني، واتفاقية اليونسكو لعام **1970** بشأن الوسائل التي تُستخدم لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، واتفاقية اليونيدروا لعام 1995 بشأن الممتلكات الثقافية المسروقة أو المُصدرة بشكل غير قانوني وذلك لكون الجمارك مؤسسة سيادية تمارس مهامها عبر كافة المنافذ الحدودية البحرية والبرية وعبر جميع المطارات .

وباستقراء نصوص قانون الجمارك **07/79** المعدل والمتمم بالقانون **10/98** نجد أنه لم يغفل مسألة توفير الحماية بكافة أشكالها للمخطوط بصفته ممتلك ثقافي حساس ، لذا فمهام إدارة الجمارك المحددة بالمادة الثالثة ذكرت في فقرتها الأخيرة أن إدارة الجمارك تكلف على الخصوص فيما يأتي :

1- تنفيذ الإجراءات القانونية والتنظيمية التي تسمح بتطبيق قانون التعريفة والتشريع الجمركيين

2- تطبيق التدابير القانونية و التنظيمية المخولة لإدارة الجمارك على البضائع المستوردة أو المصدّرة وكذا البضائع ذات المنشأ الجزائري الموضوعة تحت نظام المصنع الخاضع للمراقبة الجمركية ،

3- إعداد إحصائيات التجارة الخارجية و تحليلها

4- السهر ، طبقا للتشريع ، على حماية :

- الحيوان و النبات

- التراث الفني و الثقافيّ

والتراث الفني والثقافي يشمل من ضمن مشتملاته المخطوطات سواء كانت وطنية أم أجنبية، و تمثل المخطوطات اهم مكونات التراث الثقافي للأمة الجزائرية وقد عرف المشرع الجزائري التراث الثقافي (03) وافرد له قانونا خاصا بالحماية وهو القانون رقم **98-04** المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو 1998، حيث جاء في مادته الثالثة تصنيف للممتلكات الثقافية المشمولة بالحماية ، والتي تتشكل من :

الممتلكات الثقافية العقارية

الممتلكات الثقافية المنقولة (والتي تضم المخطوطات)

الممتلكات الثقافية غير المادية وتعتبر المخطوطات جزءا من الممتلكات الثقافية المنقولة المشمولة بالحماية القانونية والإدارية والمذكورة بالمادة 50 من القانون **98-04** المتعلق بحماية التراث الثقافي، وباعتبارها ممتلكات ثقافية منقولة تستفيد المخطوطات الموجودة بالإقليم الوطني للدولة من (01) :

إجراءات التصنيف والتسجيل : المادة 56 من القانون 04/98

تقديم المساعدة التقنية من المصالح المختصة : المادة 55 من القانون 04/98

استخدام المخطوطات خارج التراب الوطني : وتنظمه أحكام قانوني الجمارك والقانون السالف الذكر.

وفي هذا الشأن تقوم إدارة الجمارك بمراقبة تصدير واستيراد المخطوطات عن طريق صلاحيات الفحص والمراقبة حيث نصت المادة 41 على المبدأ العام في مراقبة التعاملات مع الخارج (يمكن أعوان الجمارك ، في إطار الفحص و المراقبة الجمركية ، تفتيش البضائع و وسائل النقل و الأشخاص ، مع مراعاة الاختصاص الإقليمي لكل فرقة .، مع مراعاة الاختصاص الإقليمي لكل فرقة) ، خاصة المراقبة الدقيقة للمظاريف البريدية حيث أخضعها المشرع الجمركي للعديد من الاحكام وهو ما أكدته المادة 49 من قانون الجمارك دون المساس بمبدأ سرية المراسلات (يمكن لأعوان الجمارك أن يدخلوا جميع مكاتب البريد ، بما في ذلك قاعات الفرز ذات اتصال المباشر مع الخارج ، للبحث بحضور أعوان البريد والموصلات عن المظاريف مغلوقة كانت أم لا، و محلية كانت أم أجنبية ، باستثناء المظاريف الموجودة رهن العبور، التي تحتوي أو يبدو أنها تحتوي على بضائع من طبيعة البضائع المذكورة في الفقرة أدناه.

تخضع للمراقبة الجمركية ، مع مراعاة أحكام قانون البريد و المواصلات المظاريف المحظورة عند الاستيراد أو عند التصدير و الخاضعة للحقوق و الرسوم المحصلة من إدارة الجمارك.

لا يجوز في أيّ حال من الأحوال المساس بسرية المراسلات) وهذا بحضور أعوان البريد قصد الحضور في جميع عمليات التفتيش لمحتويات المظاريف البريدية التي تتم بواسطتها عمليات التهريب التي تتعلق بالمخطوطات الوطنية خاصة ذات القيمة التاريخية والعلمية .

والتي نص على اجراءات تصنيفها وطنيا وولائيا القانون 04/98 المتعلق بالتراث الثقافي، يتولى الوزير المكلف بالثقافة أو الوالي، حسب القيمة الوطنية أو المحلية للمخطوط ، تبليغ قرار التسجيل في قائمة الجرد الاضافى للمالك العمومي أو الخاص الذي يحوز الممتلك الثقافي المعنى .

تترتب على تسجيل أي ممتلك ثقافي منقول في قائمة الجرد الاضافى جميع آثار التصنيف لمدة عشر (10) سنوات و ينتهي تطبيقها إذا لم يتم تصنيف الممتلك الثقافي المنقول بانقضاء هذه المهلة .

ويعتبر التصنيف والتسجيل أول خطوة قانونية نحو حماية المخطوط عن طريق إكسابه نوعا من الأهمية حيث نص القانون المتعلق بحماية التراث الثقافي في مادته 53 على انه تنشر الممتلكات الثقافية المنقولة، المصنفة بقرار من الوزير المكلف بالثقافة في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .(02)

الاحكام المتعلقة باستعمال المخطوطات الوطنية في الخارج :

ويتعلق الامر هنا بالتصدير المسموح به في اطار التظاهرات التاريخية والعلمية والثقافية المقامة في الخارج ، حيث يتم في هذه الحالة السماح بتصدير هذه المخطوطات باعتبارها بضائع ذات أهمية خاصة ، وذلك عن طريق نظام جمركي خاص يصطلح عليه نظام التصدير المؤقت ونظمت احكامه المواد 196/195/194/193 ، وقد عرفته المادة 193 بانه (يقصد "بالتصدير المؤقت "النظام الجمركي الذي يسمح بالتصدير المؤقت للبضائع المعدة لإعادة استيرادها لهدف معين في أجل محدد، دون تطبيق تدابير الحظر ذات الطابع الاقتصادي).

أما على حالتها ، دون أن يطرأ عليها تغيير، باستثناء النقص العادي نتيجة استعمالها وهي الحالة التي تتعلق بالمخطوطات ، علما بأن تصدير المخطوطات كان موضوع اتفاقية دولية بين منظمة الجمارك العالمية واليونيسكو في 14 نوفمبر 1970 ، حيث يخضع التصدير الى شكليات يتم ابرامها لدى مكتب الجمارك للدولة المصدرة للمخطوط ومكتب الجمارك المستقبل للمخطوط في الدول المستوردة يتضمن جميع المعلومات التي تمكن من التعرف على المخطوط وأسباب تصديره مع تواريخ الارسال والارجاع الى الدولة الاصل . وهو نموذج متوفر لدى جمارك الدول الاعضاء في منظمة الجمارك العالمية.

فقد ساهمت اليونسكو بنشاط على مدى سنوات عديدة في إعادة ورد العديد من المخطوطات خاصة الى الدول العربية ، و أنشئت لجنة دولية حكومية لتعزيز إعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية أو ردها في حالة الاستيلاء غير المشروع من أجل معالجة الحالات الاستثنائية التي لا تدخل عموماً في نطاق المعاهدات الدولية ، وأنشئ صندوق دولي لإعادة الممتلكات الثقافية إلى بلادها الأصلية أو ردها في حالة الاستيلاء غير المشروع يمول بمساهمات طوعية تقدمها الدول والجهات المانحة من القطاع الخاص، غايته دعم الدول الأعضاء في جهودها الرامية إلى رد أو إعادة الممتلكات الثقافية .

فبوصفها الجهة الداعية للاتفاقية المتعلقة بوسائل حظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية عام 1970، حيث تعتبر اليونسكو في طليعة المحاربين ضد الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية ، ففي الأردن أثارت الأزمة السورية المجاورة التنبيه لمسألة الاتجار غير المشروع ونهب الأعمال الفنية الثقافية السورية، وردا على ذلك قامت اليونسكو بعقد ورشة عمل تدريبية إقليمية لمدة أربعة أيام في عمان بتاريخ فبراير 2013 لمناقشة الوضع الراهن للتراث الثقافي في سوريا، و وضع خطة عمل لحماية المتاحف والمواقع الأثرية من النهب والاتجار، و رد حقوق السوريين، والتنسيق مع أصحاب المصلحة من ذوي الصلة و نفوذ و خبرة اليونسكو النفوذ من الصراعات الأخرى وحالات ما بعد انتهاء الصراع .

جمع المبادرات بين ممثلي إدارات الآثار الحكومية و الشرطة والجمارك من سوريا والدول المجاورة لها (الأردن ولبنان وتركيا)، والمنظمات الدولية العاملة في مجال إدارة التراث الثقافي وحمايته مثل (إيكروم و إيكوموس و المجلس الدولي للمتاحف و التحالف التعاوني الدولي و شبكة بلو شيلد و الإنتربول و اليونيدروا و منظمة الجمارك العالمية)، وخبراء إنفاذ القانون من وحدات متخصصة من الشرطة الدولية (فرنسا وايطاليا وسويسرا) وعلماء الآثار من البعثات الأجنبية العاملة في سورية .

تهدف خطة العمل التي تم وضعها إلى معالجة كل من السيناريو الحالي في سوريا وسيناريو الاصلاح على المدى الطويل، لأنها تركز على تنفيذ التأييد و المناصرة و بناء القدرات و أنشطة زيادة الوعي التي تشمل جميع أصحاب المصلحة الرئيسيين - بما في ذلك السلطات السورية والدول المجاورة لسوريا - لحماية التراث الذي يقع تحت الخطر وتحسين التعاون الإقليمي والدولي .

تنص خطة العمل على إنشاء فريق تنسيق التراث السوري تحت رعاية اليونسكو، يتألف من ممثلي المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية وممثلي البعثات الأثرية الدولية العاملة في سوريا.(03)

أما في بلدنا فان الجمارك الجزائرية قامت بالتعاون مع قوات الجيش الوطني الشعبي والدرك الوطني والشرطة من احباط العديد من محاولات تهريب المخطوطات بفضل يقظتها وتواجدها على نقاط التماس مع العديد من الدول خاصة الافريقية منها .

الاقتراحات العملية المتعلقة بتحسين تدخل الجمارك في مجال حماية المخطوطات

ان الجمارك الجزائرية بفضل تظافر جهود الاجهزة النظامية تقوم بدور فعال في محاربة ظاهرة الاتجار غير المشروع في المخطوطات الوطنية والاجنبية المتواجدة بالتراب الوطني، غير انه بدون تعاون مع الوزارة الوصية (وزارة الثقافة) فان جهودها تصطدم بكثير من العوائق خاصة التقنية منها ، لذا فقد بذلت وزارة الثقافة العديد من الجهود التي توجت بانشاء المركز الوطني للمخطوطات بولاية أدرار الذي تم انشاؤه بموجب المرسوم التنفيذي رقم 10/06 المؤرخ في 15 ذي الحجة 1426 الموافق ل 15 يناير سنة 2006 والذي يؤدي دورا هاما في العناية بهذا التراث المكتوب من خلال الجهود التي يبذلها في تصنيفها ومعالجتها و ترميمها حيث يسهر على ذلك طاقم متخصص في هذا المجال معتمدا على تجهيزات ومعدات تدعم بها خصيصا لهذا الغرض .

كما أوكل له المرسوم التنفيذي صلاحية إبرام جميع الاتفاقيات و العقود مع الهيئات الوطنية و الدولية ومنها الجمارك الجزائرية من أجل الابلاغ عن جميع المعلومات التي تساعد على منع الاتجار غير المشروع بالمخطوطات .

وكذلك الامر بالنسبة للهيئات الاجنبية التي تهتم بهذا الموضوع على المستوى العربي والقاري والجهوي والدولي ، حيث يعمل المركز من خلال مجلس التوجيهي على اقتراح اتفاقات مع الهيئات الاجنبية من اجل حفظ المخطوط الجزائري وصيانته وتسهيل التبادلات القانونية التي تتعلق بتصدير المخطوطات في اطار قانوني ، وكمثال على ذلك فقد ابرم المركز اتفاقية مع مركز حفظ الأرشيف ببوردو، تهدف لتنمية قدرات العاملين من خلال التدريب والتكوين عن طريق إرسال بعثات جزائرية واستقدام مكونين من فرنسا، وشمل التكوين مجالات الحفظ، الترتيب والتصنيف الذي يتطلب شروطا، خصوصا إذا تعلق الأمر بمخطوط نادر وقديم ذو قيمة تاريخية وتراثية مهمة جدا، حيث يجري رفعه إلى وزارة الثقافة في شكل ممتلك ثقافي محفوظ.

ومهما يكن فان الحفاظ على المخطوط يعتبر مسؤولية وطنية تقع على عاتق الجميع.

المراجع :

01 - حتحاتي محمد ، الحماية القانونية للمخطوطات في التشريع الوطني والقانون الدولي ، مجلة التراث ، جامعة الجلفة، العدد01 ، الصفحة 19

02 – المرجع السابق ، ص ص 19-20

03 – موقع اليونسكو

04- المرسوم التنفيذي 10/06 المؤرخ في 15 ذي الحجة 1426 الموافق ل 15 يناير سنة 2006 المتعلق بانشاء المركز الوطني للمخطوطات بأدرار .

صورة الجزائر عند الرسام والكاتب الفرنسي أوجين فرومنتان* في كتابه "سنة في السهل"

أ. علي بريغيث

لا يخفى على دارس آداب الشعوب أن الصورة كانت موجودة من ذي قبل في الانطباعات والإشارات التي ميزت سلوك الإنسان في مختلف الحضارات والأقطار، ومن بين الفنون الأدبية فقد قدر للرحلة أن أحدثت كشوفا لم يكن متوقعا منها تغيير نظرة الإنسان لذاته ولغيره، من خلال رصد الكثير من الصور لمظاهر متعددة للحياة اليومية عند بعض الشعوب، خاصة ما يتصل بالبيئة وصفات ساكنيها من ملبس ومأكل وطبائع وفي الأسواق والأماكن العامة وعادات الأفراح والتقاليد المصاحبة لها، قصد اكتساب معرفة الواحد بالآخر في ثنائية من شأنها أن تنهض على افتراض الغيرية التي يتألف منها الوجود الإنساني سعيا إلى إثبات الأنا .

لذا يعد علم الصورة من أحدث المجالات في الأدب المقارَن وأهمها على الإطلاق، الذي أثبت وجوده في أواخر القرن العشرين ليرى الشعب أيّ كان صورة نفسه وما بها من محاسن يثمنها وعيوب فيقوّمها .

وبالرغم مما تسعى إليه الصورة من أمانة ودقة وصفاء إلا أن تمثيلها للواقع ومطابقتها له مطابقة كلية أمر لا يمكن حدوثه، ذلك " أن الصورة غير ثابتة فالشخص يتغير دائما، يتغير في شكله كما يتغير في باطنه، يتغير في شكله لأنه يتطور مع نمط الحياة، فهو يغير ملابسه وطريقته في الحياة اليومية، ويتغير كذلك في باطنه، فيتخلى عن بعض الأفكار، ويؤمن بأفكار أخرى جديدة أو قديمة لم يكن يؤمن بها، إنّه يعيش وينمو ويتطور، فالإنسان غير جامد، وعدم الجمود يعني الحركة والتطور أي التغير، وقد يكون التغير سريعا وقد يكون بطيئا " 61

وليس خافيا أن بوادر الاستشراق قد ظهرت على يد علماء الدين المسيحيين في أوروبا لمعرفة تفاصيل أرض وموطن السيّد المسيح عليه السلام،فقد شغف الكثير منهم بقصص الشرق وأساطيره ؛ وعلى مرّ الأيام تحوّل الاستشراق إلى هدف استعماري، فنتج عن ذلك ظهور دراسات علمية حديثة وأبحاث وأقوال مختلفة جعلت من الشرقي وبيئته صورة لإنسان بدائي على خلاف ما وصل إليه الغربي إلى حدّ القرن التاسع عشر من حضارة مزدهرة، معتزا بثقافته وتاريخه ودينه وذاتيته الرافضة لكل نقيض لرغبته المفعمة بالمدّ الاستعماري والساعية إلى التوسع والاستيلاء إلى ما وراء حدود أوروبا خاصة العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه العربيين، والذي خضع لمطامع فرنسا وبريطانيا بالرغم من تصادم مصالحهما، ومع ذلك ترجم الفرنسيون جلّما دوّنته دول أوروبا وأمريكا عن الجزائر.

وقد اتّسم الاستشراق الفرنسي باحتلال الجزائر على حدّ رأي الدكتور أبي القاسم سعد الله بمرحلتين (1830 - 1880) و(1880 - 1930)، قرن كامل كان فيه الاهتمام بالجزائر قلبا وقالبا " فمن البديهي أن يهتم المستشرقون الفرنسيون بالشعب المستعمَر دينا ولغة وعادات وآثارا وتاريخا، كما أنّه من البديهي أن يتطور هذا الاهتمام حسب حاجة الإدارة الاستعمارية وحاجة الدولة الفرنسية نفسها في العالم " 62 لتصل إليها التقارير الاستكشافية " في أعمال (الجواسيس والتجار والمبشرين والفنانين والمؤرخين والبحارة والأثرياء والمعمرين والمغامرين والرّحالة والدبلوماسيين والبعثات العلمية وغيرهم ممن رافق الجيش الفرنسي)،الذين حلّوا بالجزائر بصفة فردية أو على نفقة الحكومة الفرنسية " 63 فكانت الصورة تلتقط عن حياة الجزائر الشرقية مهما كانت قيمتها فيما يخص الإنسان ماضيا وحاضرا وبيئته الفطرية الخلابة .

ومن أولئك الذين تأثروا بحياة الجزائر مع بداية الاحتلال، الفنان الرومانسي أوجين دو لاكروا الذي مكث بين ثلاثة إلى عشرة أيام بالجزائر " وادّعى أنه رأى حريما أو دارا من الداخل المحرم على أمثاله " 64فاشتهر برسم مشهد فنّي خالد عنوانه « نساء الجزائر »، وعدّها الفن الفرنسي رائعة ووثيقة مطابقة لواقع الطبيعة والحياة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي .

" ولكن المرأة الجزائرية الحقيقية كانت كالمرجانة الصافية " 65 معززة مكرمة في بيتها، وما التقاط الصورة لها إلا حالة استثنائية من قبيل الصدفة التاريخية ؛ " هذا رائع إنهن كما في عصر هوميروس، إني أفضل صورة المرأة هذه على كل ما عداها " 66 حيث أرضى بها الفنان فضوله وإصراره في البحث وأدخلته خلسة إلى هذا الحصن المكين بحسب زعمه مظهرا أسراره ومحاسنه وطبيعته وعطوره، مفسحا المجال أمام من هم في فلك تخصصه إلى الاستفادة من تجربته الفريدة .

ومن الفنانين الذين زاروا الجزائر وتتلمذوا على يد دو لاكروا وتأثروا بأعماله في كتاباتهم أوجين فرومنتان " سأذهب لرؤية ما إذا كانت شقة «حوّة » تشبه الصورة الرائعة لـ : دو لاكروا (نساء الجزائر) "67، ثم يضيف " وصولا أمام غرفة سيّدتها أدارت الخادمة السوداء رأسها إلى النصف من جانبي وعملت بالضبط الإشارة التي كانت بإمكانك رؤيتها في صورة دو لاكروا من أجل إزاحة الستار المتورّد " 68 . فهنا يلاحظ أن فرومنتان منبهر بهذا المشهد الفطري الشبيه بلوحة « نساء الجزائر » كما كان مهووسا إلى درجة الإفراط في ذكر طبيعة الجزائر وامتزاجه معها، تكريسا لثنائية الأنا والطبيعة خدمة للفن الذي ينشده ورغبة منه إلى ترشيد مجتمعه إلى القيم الجمالية الموجودة هنا والتي تفتقر إليها بلاده،إلا أنّه لم ينصف الإنسان،فعدّ ممن هم في وضع الرّهاب، ذلك أنه أقصى الآخر وبحث عن موته الرمزي، فلا وجود إلا لإفريقيا فرنسية "

---

* أوجين فرومنتان (1820-1876)" Eugène Fromentin "، زار الجزائر في ثلاث رحلات (1846، 1847، 1852) وقد خصها بكتابين تحت عنوان : " Une année dans le Sahel ". " Un été dans le Sahara "

61 . عبد المجيد حنون . صورة الفرنسي في الرواية المغربية . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر ؛ 1986 . ص 82 .
62 . د. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي . ج 8 . ص 41 .
63 . المرجع نفسه. ص 50 .
64 . المرجع السابق . ص 378 .
65 . المرجع نفسه . ج 6 . ص 356 .
66 . Delacroix E. Voyage au Maroc 1832 . Paris 1930 . p 24 .
67 . Eugène Fromentin . Une année dans le Sahel . Michel Lévy Frères, Libraires - Editeurs . Paris 1859 . P 175 .
68 . Ibid : P 177 .

فالجزائر كانت عنده مجرد موضوع جميل، ريفها وصحراؤها وسماؤها ولذلك فهي موضوع للامتلاك والاستقلال وإذن فهي عنده فريسة يجب قنصها، وقطعة من الشرق يجب فرنستها ." 69

لقد وقعت الجزائر في دائرة اهتمام الرسام والكاتب فرومنتان منبهرا بسحر جمالها معبرا عنه بحد الريشة والقلم،موطّ دا علاقته بإخلاص مع جمهوره الفرنسي الذي عدّه باعث الإبداع والحداثة *، ولثقل هذه المسؤولية كتب إلى أحد أصدقائه معلقا على رحلات سابقة، يقول : " إنني أشعر بما ينقص فنّاني بلدنا الرحالة، وأعني الصبر والإخلاص للطبيعة " 70، فهو يحس بفقدانه موهبة الخيال الإبداعي وعدم القدرة علىالابتكار والتناقض في شخصيته المتولّ د من شكل الواقع الذي يريد تجسيده، فكتب إلى أهله معترفا بثغرات شخصيته الفنية " إنني أفتقر إلى موهبة التجريد، وذلك لأنني لا أتقن النظر الثاقب . ولهذا تشخص أمامي مهمة إضفاء أقصى حدّ من الفنية على تصوير الطبيعة "71 . واعترافا منه على أن الطبيعة الجزائرية أيقظت فيه روح الإبداع بقوله : " إني أعيش خارج الزمان والمكان منذ أكثر من شهر ؛ حيث أهذي في اليقظة وأخشى أن أستيقظ " 72 .لقد أملت عليه الرغبة التوجه إلى الصّحراء لاختبارها، راصدا طبيعة الإنسان فيها وتعامله مع مناخها حيث درجة الحرارة المرتفعة والزوابع الرملية الهوجاء وكثبان الرمل والحيوان والزواحف والحشرات والنبات وواحات النخيل والسواقي ... إنها صورة الحياة والبيئة على أصالتها، مما جعلها عناصر قوية سخرها لإثراء فنه كمصور وكاتب، ولن تكون في نظره سخية كفاية ما لم تسمح به الفرصة التوغل في نسيج الشعب الجزائري، مبلغ هدفه في تسجيل تغيرات الطبيعة وطباع النّاس بعمق، وفي تحقيق التميّز المعقول الذي لم يظفر به أحد من قبله من الرحالة الفرنسيين مما استقاه من معارف أدبية وتاريخية وتصويرية عن مناطق الساحل والسهل والصحراء الجزائرية .

لقد سعى فرومنتان إلى البحث عن الصورة الفطرية الموحية المبتدعة،وقد وجدها في مشاهد الصيد والرّ عي والحيوان والآثار والغابة والمناخ والبحر والصحراء والتّل وفي الجبل والسّهل والوادي وإنسان الحاضرة والبادية ... وكانت نفسه تتوق دوما إلى التجوال في الريف والبراري وتلك عادة الرومانسيين، سعيا منه إلى توفير أسباب الراحة واقتناص الجديد والتفاعل مع متطلبات الحياة المعاصرة في تباين الألوان، وفيما يعبر حقا عن مشهد خصب مثال عن الجمال والفن الخالص.

ومن جملة ما أنجزه فرومنتان كرسّام مبدع على خلاف معاصره من وحي الصحراء والتل، ألواحه : صيد الغزلان - واحة النخيل - مخيم من جبال الأطلس 73 - هبوب الريح في الصحراء 74 - لصوص الليل 75 - بلاد العطش76 - وغيرها من العناوين المرتبطة بهذه البيئة الفطرية الموحية .

وحول موضوع الجزائر ألف فرومنتان كتابين، الأول بعنوان " صيف في الصحراء " (1857) متحدثا فيه عن مدينة الأغواط بنظرة رسام لا كاتب على حدّ قوله : "أنا أشعر بكل نقص فيما ألّفت ولكنّني لا أستطيع فعل شيء الآن ... تبدو كتاباتي مفصولة بعضها عن بعض، كأنها لوحات تحتاج إلى أن أربط بينها، لم أشأ أن أخدع نفسي، أجدني أتصرف كرسام على الرغم مني،بيد أنني لا أشك في وجود جو عامر يلمّ شعثها ولاسيما جوّ من الحرارة والقوة " 77. وهذا ما انعكس حقيقة في الموضوعات التي عالجها الكاتب في كتابه الثاني « سنة في السهل » (1858)الذي وصفه على أنّه " تقرير Bulletin لهذا السفر القصير " 78 وتارة صحيفة Journal عند قوله " ربما نسميه فيما بعد (صحيفة سفر) . لنكن اليوم متواضعين، ونسميه بكل بساطة (صحيفة غائب) " 79 ؛ وفي موضع آخر من كتابه يقول : " رتبت وثائق صحيفتي ورسوماتي من الطريق، قليلا بحزن، لأنه مقارنة بما رأيته هنالك بدا لي تافها كل هذا الذي لم يكن جميلا ... " 80

وعلى مرّ الأيام تمكن فرومنتان من أداة الكتابة والإفصاح عما في نفسه من أفكار ومشاعر بطريقة لغوية راقية، كشفت عن مواهبه وميوله و" كان ناضجا في ملاحظاته ويتتبع كل التفاصيل "81 وكانت له القدرة على إجراء الحوار واستحضار الشخوص وإبداء الانفعال لما هو جميل أو قبيح، مما يؤكد توازنه الكامل أمام "العالم الشرقي" وهو يعبر عنه، وهنا يقول : " بدا لي وأنا أنجز الكتابين، أن أقارن بين طريقتين للتعبير بدتا متشابهتين قليلا على عكس ما يفترضه البعض، كان علي أن أعرف إذا كانت آليتهما هي نفسها أو تختلف من واحدة إلى أخرى، وأن أعرف مصير أفكاري وأن أنقلها من عالم الأشكال والألوان إلى عالم الكلمات، هذه الفرصة لا تسنح إلا نادرا " 82 .

والواضح أنه في القرن التاسع عشر الميلادي، زادت الحاجة إلى قراءة الكتب في ظل عنفوان الحركة الرومانتيكية في فرنسا وأوروبا عامة هروبا من الواقع الذي اكتسحته الصناعة والمال ؛ ونظرا لرواج النظريات الاجتماعية والأنثربولوجية والأثنولوجية * والدينية، سعى الكتّاب والفنانون والمؤرخون منذ احتلال الجزائر في البحث عن الصورة المثيرة مما فسح

---

[69] . د. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي . ج 8 . ص 381 .

* ... إنها برنامج تحريري للثقافة والفن، أو إن شئت فقل إنها التصور الجديد للحياة ذاتها ... في ظل إيقاعات الزمن المتلاحقة، والتطور المذهل في النمو المعرفي، والمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والاستجابة الايجابية لمظاهر التغيير عند مختلف الشرائح الاجتماعية ... فتجلت في أعمال الكتاب والفنانين من خلال تلك الحركات الفنية المعروفة - آنذاك - . (مجلة عالم الفكر . الكويت؛ 1988 . ص 07 . 08)

[70] . Eugène Fromentin . Les Lettre de jeunesse . Paris . 1909 . P : 240 .

[71] . Ibid . P : 182 .

[72] . Ibid . P : 182 .

[73] . فرومنتان . لوحة : " مخيم من جبال الأطلس " زيت، 1860 صالة الفن في بالتيمور .

[74] . فرومنتان . لوحة : " هبوب الريح في الصحراء " . 1864 مجموعة خاصة هيوستن .

[75] . فرومنتان . لوحة : " لصوص الليل " اسكينر . 1865 مجموعة كريستي لندن .

[76] . فرومنتان . لوحة : " بلاد العطش " . 1869 متحف أورسي، باريس .

[77] . Un été dans le Sahara . P 33

[78] . Une année dans le Sahel . P 03 .

[79] . Ibid : P 133 .

[80] . Ibid : P 242 .

[81] . د. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي . ج 8 . ص 381 .

[82] . Un été dans le Sahara . P 59 .

* فالرحالة الغربيون في دراستهم للشرق كانوا أنثربولوجيين وإثنولوجيين ؛ بمعنى أنهم يعنون بالدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم، والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى المجتمع الشرقي خلال فترة زمنية محددة،

المجال إلى ظهور كتب الانطباعات التي " تتناول السكان وأنماط حياتهم وملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم، والأحياء السكنية، وتناقضات الطبيعة في نظر الكتّاب، وفتنة السماء والبحر واختلاف المناظر «الإفريقية» عن المناظر الأوروبية " 83

ويبدو جليا أيضا باعتراف الكثير من الدارسين الفرنسيين أن فضل فرومنتان فيما استوحاه من موضوع الجزائر قد وردت آثاره في العديد من إبداعات بعض معاصريه ومن تليه من بعده مثل أندري جيد وإيميل ماسكري وإتيان ديني وغيرهم* .

ومن المواقع التي خصها الكاتب بحديثه منطقة « السهل » وما ضمت من مناطق ريفية وأودية معروفة، " أنظر السهل ! الأفق رائع الامتداد، من العظمة ومن الاتزان، المسافر يبقى متعلقا به، حتى بعد مشاهدة أكثر من صورة نادرة ." 84

والظاهر " أن أول ما واجه التوسع الاستعماري في الجزائر بعد احتلال مدينة الجزائر مباشرة هو سهل « متيجة » والذي عرف أيضا بفحص الجزائر " 85، سعيا منه إلى السيطرة عليه بإحراز التقدم في استغلال الأرض خارج مدينة الجزائر قصد التصدي لحركات المقاومة وتضييق الخناق عليها بقطع الإمدادات عنها لإخماد نيرانها من جهة، وبلوغ المناطق الداخلية تدريجيا من جهة أخرى .

كما أن فرومنتان تحدث عن مدينة « قصر البخاري » في إيجاز، والتي عدّها مركز عبور وإقامة للأشخاص والقوافل، حيث أنها تضم فندقا ومقهى ومرافق أُ خر لاستراحة الوافدين إليها من كل اتجاه ؛ والتي على قرب منها تظهر قلعة « بوغار » العسكرية الحصينة والمعدة أساسا لغزو الصحراء .

وعلى خط سير الكاتب يلاحظ أنه مر بـ « الجلفة » موطن « أولاد نائل » وقضى بها عدة أيام متمتعا بجمال مناظرها ؛ مرتبطا بكل المناطق التي زارها عاطفيا، مدافعا عنها في كتاباته كأرض يراها ملكا له، مخلصا في ذكر التفاصيل عنها بكل دقة " إن كل أماكن لحظات عزلتنا الماضية، والأماكن التي عانينا فيها من الوحدة والتي استمتعنا بها ورغبنا فيها وتألفنا مع الوحدة فيها تظل راسخة في داخلنا، لأننا نرغب في أن تبقى كذلك ؛ الإنسان يعلم غريزيا أن المكان المرتبط بوحدته مكان خلاّق ؛ يحدث هذا حتى حين تختفي هذه الأماكن من الحاضر .. " 86

وعن مدينة « الأغواط » فهي تقع في الجنوب من مدينة الجزائر، وتعتبر همزة وصل بين الشمال والصحراء " وقد كانت ملتقى العلماء ورجال الدين ومقصد التجار مما جعل الميزابيين واليهود يحطون بها الرّ حال منذ القديم ليحترفوا بها التجارة ويشتغلوا في الصناعات المختلفة . وقد كانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع الأغواطيين تجمعهم مدينة واحدة وعلاقات مشتركة مبنية على حسن الجوار وتبادل المصالح والمنافع . "87 وكان من بين الأهداف العسكرية من احتلال الأغواط، هو التوغل في الصحراء وإخضاع مدنها إتباعا إلى نهاية القرن التاسع عشر . في حين أن زيارة الكاتب لهذه المدينة الإستراتيجية هو اكتشاف الصحراء بعد تيقنه أن الأغواط أصبحت تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي نهائيا سنة 1853 .

والمطلع على رحلة فرومنتان يجده قد تكلم عن كل هذا تارة بصفة إجمالية مختصرة وتارة مفصلة حسب أهمية المنطقة وحجم المدينة وأهميتها التاريخية، وعلى العموم فإن " مدن شمال إفريقيا تأسست حول نواة مركزية يمكن تشبيهها بالخلية الأم التي تتكون غالبا من المسجد والمقبرة والسوق يحصّنها سور به أبواب يرسم حدود المدينة بكيفية دقيقة ... وبداخلها يظهر الحمّام* ببنائه المتميز وترتفع قصور جميلة يسكنها الأشراف والسادة " 88 .

لقد أثرت الجزائر كثيرا في فرومنتان حتى أنه بعد أن رجع إلى الجزائر (العاصمة) وسكن قصرا بناحية مصطفى باشا، بدأ بالتعريف بالبيت والمحيط الذي يسكنه " المنزل الذي أسكنه رائع لقد وضع كمرصد بين التلال والشاطئ ويشرف على أفق مذهل : على اليسار الجزائر وعلى اليمين حوض الخليج بأكمله إلى حدّ رأس « ما تيفو » الذي يظهر عبر نقطة ضاربة إلى اللون الرمادي بين السماء والماء، وأمامي البحر . " 89وبالمنزل إسطبل به خيول وحمَامٌ وكلب حراسة، وتحيط به حديقتان، إحداهما صغيرة مشجرة والثانية روضة مروج للرّ عي فسيحة ملك للكاتب وخادم عربي وجار بولوني .

ولعل فرومنتان حينما تحدث عن خاصته،البيت الذي يقطنه إنما يلوّ ح من بعيد عن الكنز الذي عثر عليه هنا سعيا منه إلى دعوة غيره في الهجرة إلى الجزائر وأن يحذوا حذوه في امتلاك البيوت والضياع وسط هذا الأفق المفتوح والطبيعة الساحرة .

لقد استوقفت فرومنتان منازل الجزائر (العاصمة) المنغلقة والمحترسة من الدخلاء ليعبر عن ذلك بقوله : " مدنهم ضمن البناء بالذات الأكثر رمزية وذات معنى، « مدنهم البيضاء » يلجأونها، تقريبا تشبه البرنوس القومي الذي يكسيهم، على شكل غطاء ضمن نمط واحد وخشن ؛ شوارع على شكل شُعب مظلمة غالبا مقوسة، منازل دون نوافذ، أبواب منخفضة، دكاكين في مظهرها الأكثر فقرا، حيث السلع مكدسة ومبعثرة فوق بعضها البعض كما لو أن البائع يخشى عليها من الظهور، صناعات تقريبا بلا أدوات ؛ أكيد التجارة الصغيرة مضحكة، أحيانا بعض الثراء في عمق خفي، لا حدائق لا اخضرار مجرد قدم ميّتة لشجرة عنب أو تين غارقة في الردم، ملتقيات للطرق، جوامع لا يمكننا رؤيتها، حمامات أين يترددون عليها باستمرار غريب، كتلة واحدة متماسكة في غموض من العمارة مشيدة كالضريح أين الحياة تتكتم، أين المرح يخشى أن يسمع ... " 90

ثم يقومون بدراسة تحليلية والمقارنة للمادة الأنثربولوجية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية، أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية من حيث أصولها وتنوعها ... (جمال أمباركي . الغرب في الرواية العربية الحديثة بحث لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث . جامعة باتنة 2008 - 2009. ص 48)

[83] . د. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي . ج 6 . ص 381 .

* وذلك بحسب رأي أبي القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي . ج6 و ج8 . ص 382 و415 على الترتيب

[84] . Une année dans le Sahel : P 154 .

[85] . إبراهيم مياسي . مقاربات في تاريخ الجزائر . ص 71 .

[86] . غاستون باشلار . جمالايات المكان ؛ ترجمة : غالب هلسا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 . 1984؛ ص 40 .

[87] . عيسى عطاشي صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي "صيف في الصحراء" لفرومنتان نموذجا. 2005 . ص 66

* مرفق ضروري عند المسلمين للاغتسال والوضوء من أجل تأدية الفرائض الدينية .

[88] . Roger Le Tournau " Les villes Musulmanes de L'Afrique du nord " Ma Maison des livres . Alger 1957 . P 11 .

[89] . Une année dans le Sahel : P 10 .

[90] . Ibid : P 31 . 32 .

ففي الظاهر أن فرومنتان أبدى إعجابه بعمارة مدينة الجزائر وطبيعتها الساحرة والتي بدأت هذه الأخيرة تخضع لعملية تجميل على طراز الهندسة المعمارية التي تشهدها كبرى مدن فرنسا وأوروبا عامة مع المحافظة على بعض المعالم التراثية العربية العريقة من قبيل الذكرى التاريخية لهذه المدينة المشرفة على زوال أهلها، أولئك الذين نظر إليهم فرومنتان على وجه العموم نظرة كراهية واستصغار شأنهم حين رآهم ملتفين حول أنفسهم خشية الذوبان والاندماج مع غيرهم والصمت يطوق بيوتهم ؛ غير أنه وجد فضاءات أُخر أكثر انفتاحا بإمكانها البوح بأسرارها والتزود من أخبارها بما لم يألفه من ذي قبل .

وفي قوله : " الأجنبي يسميك المدينة الصغيرة، وأنا البليدي أسمّيك الوردة الصغيرة « وريدة » " 91 كلمة أطلقها الكاتب على مدينة البليدة ؛ والتي قدم إليها من الجزائر على متن عربة تجرها الخيول، ليستغرق مدة خمس ساعات من السفر الشاق عبر طريق ترابية ملتوية، استجابة لدعوة صديقه لويس فوندال* « بوجعبة » للإقامة معه في هذه المدينة المفتوحة على سهل « متيجة » والتي بدأت تهيئتها على الطراز المعماري الأوروبي بإقامة الثكنات والعمارات والفنادق والمطاحن والمصانع ومشاريع شق الطرق، ... يأتونها رجال الحرب الفرنسيين للاسترخاء بها، كما أصبحت قبلة للمستوطنين والوافدين إليها من كل حدب وصوب، مما كلف الكثير من أهلها الأصليين بالنزوح عنها إلى المناطق المحاذية لها والاستقرار في المناطق الجبلية، حين تغيرت ملامحها العربية بملامح غربية " المرابطون ضمن هذا ليس لهم مكان . يسكنون في عزلة في الجبل، المساجد لا تنقش إلا لأجل الذاكرة ومثل سبحة في يد فاسق، البليدة تشبه اليوم،سمةً بسمةٍ إلى الموريسكية التي رأيتها تتجول في المدينة، التي كانت جميلة، والتي ما أصبحت كذلك، مرتدية كالفرنسية قبعة سيئة الذوق وفستانا قبيح الهيئة وقفزات قديمة، ليس لها ظل في الطرقات، لا وجود للمقاهي ثلاثة أرباع المنازل محطمة واستبدلت من خلال عمارات أوروبية، ثكنات ضخمة، طرق للمعمرين، في مكان من الحياة العربية، هذا الذي الحرب قد بدأته، السلم قضى عليه . اليوم أين البليدة لا يكون لها شيء عربي، تغدو مدينة جميلة للغاية، البليدة الحديثة ربما تُنسى القديمة اليوم أين هؤلاء يتأسفون عنها هم أنفسهم يختفون " 92 .

لقد حرص الكاتب في كتابه على إعطاء صورة عن المجتمع الجزائري للقارئ الأوروبي، بيّن في بعض منها سعي فئة من الشعب الجزائري إلى طلب الاندماج في فرنسا،مؤكدا هذا التوجّه عبر من ادعى أنهم أصدقاؤه من العرب في الجزائر ؛ والحقيقة أن الشعب الجزائري على طيبته لم يقبل يوما بوجودها على أرضه، ولم يغفل عن نواياها الخبيثة، متخذا ضدها كل وسائل الرفض من مقاومة والتزام بالدين واللغة والعادات وبقاء على عهد الأجداد وتحذير الأجيال وتعبئة نفوسهم وإحياء ضمائرهم بالوعي والروح الوطنية .

ولا شك أن من بين أهداف الاستعمار المعلنة، هو إلحاق أرض الجزائر بفرنسا، وترسيخ هذه الفكرة لدى الرأي العام العالمي والأجيال الجزائرية الصاعدة عن طريق توثيق المعلومات وجرد الأشياء وإحصاء السكان بمنحهم الامتيازات التي تجعل منهم مواطنين مخلصين للدولة الفرنسية، وهذا لا يمنع طبعها بالمقابل من إثارة الفتن وانتهاج سياسة المغالطة في محاولة لتغطية جرائمها الفظيعة وتمزيق وحدة الجزائريين وصفهم وبث الشقاق بين السكان بتقسيمهم إلى بربر وعرب وأفارقة وأصليين ودخلاء، ليخلو لها الجو في تحقيق مآربها من تزييف الحقائق والتاريخ لتبرر وجودها في الجزائر على أنها سليلة الإمبراطورية الرومانية وأن لها الحق في بسط سيطرتها على الشمال الإفريقي، لكن ذلك كله لم يدفع الجزائريين إلى المساومة في حقوقهم، ولم يمنعهم من الاستمرار في المقاومة لإثبات هويتهم كشعب متكامل ناضج التكوين، وأن لحمته الاجتماعية موحدة بفضل الدين الإسلامي واللغة العربية ؛ " وذهب بعض المستعمرين يبحث للقبائل عن أصل آري، وقالوا إنهم من أصل جرماني، وإنهم عرفوا المسيحية قديما . " 93

والصورة التي يقدمها الكاتب للمجتمع الجزائري موقوفة على أعراق ثلاثة، وهي : الأمازيغي والعربي والإفريقي ؛ مبينا تمايزها، وما تضمره كل طائفة للأخرى من كراهية ونفور، ليعد تفرقها مكسبا في فنائها، كحدود فاصلة بينها تخدم مصالح إدارة الاحتلال الفرنسي .

غير أن الحقيقة عكس ذلك، فقد كانت الأمة الجزائرية موحدة بفضل تعاليم دينها الإسلامي الحنيف، إلى جانب تاريخها المشترك بين جميع الجزائريين والذي " تكون عبر العصور المختلفة، وتقاطع في كثير من فتراته مع تاريخ جيرانهم وإخوانهم في بلاد المغرب والمشرق ... وبكفاحهم الطويل ضد كل الغزاة والمحتلين الذين نزلوا بأرضهم، ولأجل ذلك أطلقوا على أنفسهم اسم الأمازيغ، أي الأحرار " 94 .

ومن الصور التي قدمها فرومنتان عن المجتمع الجزائري، تمسكه الشديد بالدين الإسلامي وشعوره بوجود الله، وقد تمثل عنده ذلك، في تواجد نوافير الماء للوضوء، وإقبال الناس على المساجد، وإقامة فريضة الصلاة، والتسبيح بواسطة السبحة، ومجاهدة النفس عن اقتراف الذنوب، كاجتناب التدخين مثلا ؛ "ومن ثمّ كان الطابع الذي يميز ثقافة الشرق إنما يتمثل في الدين، فمنه انبثقت نظرة الشرقي إلى الحياة، ولعلي لا أخطئ إذا قلت - بعد ذلك - إن جوهر الشرقي هو أن يحيى حياته الدنيا بكل أفراحها، وهو ينظر إليها من منظور ديني " 95 .

وفي نفس الوقت أشار إلى وجود الكثير من الطقوس التعبدية البالية المرتبطة بانتشار القباب والتوسل بالموتى والمرابطين والدراويش ؛ " ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه علماء أوروبا ينادون بالحرية العقلية لتحرير العامة من ربقة

---

[91] . Ibid : P 150 .

* لويس فوندال : رحالة فرنسي ، يسميه عرب البادية والحاضر في شمال الجزائر بـ "بوجعبة" إذ أنه يحمل أسطوانة يقيس بها الأبعاد ويملك فرسا مسرجة طقما عربيا وهو صديق حميم لفرومنتان ، تقاسم معه أوقاتا ممتعة جمعتهما في مدينة البليدة خاصة في فندق « بو ضياف » وسوق « باب السبت » وعند الحلاق « حسان » وفي بيت « حوة » والخروج في رحلة صيد إلى منطقة السهل وحضور حفل فروسية موعود للحجوطيين لينسدل ستار التوادع بينهما في آخر الكتاب بين مقيم وراحل على أمل اللقاء هنا " ومدّ ذراعيه عبر إشارة كبيرة التي تشبه المحيط لحظة المرئي من هذه « الأرض الإفريقية » ضمن ممتلكاته العقلية . [« سنة في السهل » ص 346]

[92] . Ibid : P 151 .

[93] . أحمد منور . الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه .ص 79 .

[94] . المرجع السابق . ص 24 .

[95] .منى أحمد أبو زيد، الفكر الديني عند زكي نجيب محمود. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط1.بيروت، لبنان؛ ص 73

الخرافات ويبدعون علوما وفنونا للنهوض بالإنسان، كان مرابطو الجزائر يلبسون على العامة ويستغلونهم أشنع استغلال ويغرقون العقول في ظلام دامس . " 96

وهذا ما جعل فرومنتان يحكم على العربي بأنه يعيش ماضيه الحزين والمشرق في حاضره العقيم، وهنا يظهر عجزه في انسداد أفق المستقبل لديه " ولذلك فلا مجال إلى صنع التاريخ لأن التاريخ يفترض الإيمان بالمستقبل وقدرة الإنسان على صنعه "97 وهنا مكمن الفرق بين الشرق الأسطوري والغرب الذي لا يؤمن إلا بالزمن التاريخي، متطلع دوما إلى تأملات، يراوده حلم تحقيقها في آجال مستقبلية محددة .

وفي نظرةٍ مُوازَنَةٍ، رأى الكاتب أن العيش عند الأوروبيين يعني التغيير باستمرار، بينما عند العرب يعني لهم التواجد والتحمل، وهذا ما عده أحد الأسباب الرئيسية التي تمنعهم من الاندماج.

وقد وصف الكاتب العرب بأنهم أناس لا عهد لهم بالموسيقى ولا يتذوقون أنغامها، وقد فسر « فوندال » ذلك بالطموح الذي يراود العرب المبني أساسا على التفاخر مما در عليهم بالقليل وأفقدهم الكثير من سبل الحياة، على خلاف الزنوج وميلهم إلى الحفلات والأهازيج .

كما حرص الكاتب أن يقدم للقارئ الأوروبي صورة عن العنف الذي نسبه إلى الجزائريين، وفي ارتكابهم الفعل العدواني ؛ وأن ما تقوم به فرنسا، هو مجرد رد فعل تال يراد منه إقامة النظام وتسيير شؤون العامة ودعوتهم إلى الانضباط، وأنه ليس هنالك أفعال سلبية فرنسية ؛ فيكفي الجزائري بوجود فرنسا أنه يعيش في أمن وأمان لم يعهدهما من ذي قبل ؛ " هنالك بعض السنوات أيضا، البليديون لا يخرجون دون امتلاك بندقية صيد معبأة على الكتف، ويعتقدون بحذر أن يكونوا في جماعة وكلها مسلحة . لأجل إتمام هذه النزهة الصغيرة على بعد كيلو مترين فما فوق من مدينتهم . اليوم بطبيعة الحال، كل واحد يذهب بمفرده إلى ينابيع الوادي، مدخنا سيجارته معه الكثير من الأمان إلى الحديقة العامة من « السّجاد الأخضر » والكثير أكثر استحبابا ." 98

وسعيا منه إلى ربط أحداث الماضي بالحاضر، قام الكاتب بتدوين ما من شأنه أن يغدو مرآة عاكسة للبيئة والإنسان الجزائري، مثمنا أهداف رحلاته الثلاث الأستكشافية إلى الجزائر مظهرا مدى تباين الظروف التي تكون أحيانا في خدمة الدولة الفرنسية، وأحيانا أخرى تكون ضد مصالحها ؛ ففي رأي الكاتب أنه في المجتمع الجزائري هنالك المؤتمن الخدوم وهنالك من يجب الاحتراس منه ومقاومته بشتى الطرق " كان منتصف النهار، ... تحديدا في 15 مارس 1848 . غادرنا « الزمالة » ...؛ ولما كنا في الطريق وفي وسطها بالقرب من دوار القرية، مراسل عربي - الذي يبحث عنّا منذ الصباح - أسرع نحونا في ركض (على ظهر حصان)، كان بحوزته تذكرة تخصّنا والصحيفة الأولى من القائد العام ، قائلا لنا ذلك، هذه التذكرة والصحيفة التي تحمل في مقدمتها : « الجمهورية الفرنسية » جلبت لنا الجديد غير المتوقع والخطير جدا ... قرأت ثانية هذا وذاك وبانتباه بعد وجبة الغذاء في الحديقة نفسها، في وسط دائرة من الناس أين لا أحد يتحدث لغتي . لكن جدّ مثير للريبة مثل العرب . أنت تعرف كيف أن الأخبار تذاع في هذا البلد، إنها الريح التي تنقلها ... " 99 ؛ وهنا تأكيد أن جل الجزائريين مفشون للأسرار بسبب تعصبهم وعدوانيتهم الجدّ مفرطة في نظر الكاتب .

واللافت للانتباه أنه وصف العرب بأنهم جيران متميزون، بإمكانهم الاندماج مع الفرنسيين، إلا أن ما يطلبون تحقيقه يعد ضربا من المستحيل في نظر الكاتب، كونهم " يتصرفون وفقا لأهوائهم، يفعلون كل ما قام به آباؤهم، يتملكون الأرض دون عملية المسح التي تقوم بها إدارتنا الفرنسية، يبنون دون مراعاة تخطيطنا لشوارعهم، يسافرون دون تقفّ لتحركاتهم، ينشؤون دون تقييدهم في سجلات الميلاد، يكبرون دون خضوعهم للتطعيم، ويفارقون الحياة ثم يقبرون دون اتخاذ الإجراءات المعمول بها عند الدفن تعويضا عما علّ متهم المدنية، يطالبون القانون أن يكون مكشوفا ؛ أن يعيشوا محتاجين، متسولين عند الأبواب، ينامون تحت النجوم الجميلة، يخلون الأسواق، ويتركون الحقول بورا، إنهم يحتقرون حتى التراب الذي انتزع منهم عنوة ويهربون من الأرض التي لم يصونوها، ما يمتلكونه يخفونه ويكنزونه والذين لا شيء عندهم يختبئون في بؤسهم وجميع الحقوق التي فقدوها ."100 ليحكم عليهم بأنهم أناس أشقياء مبعدون يضمرون الكراهية للغرب عامة وللفرنسيين خاصة، في عدلهم وديانتهم وتجارتهم وصناعتهم وقوتهم وعبقريتهم ؛ مبديا حنقه منهم لعدم تجاوبهم مع هذا الرقي لصغر عقولهم مثل أطفال، بما يفسره الكاتب بقوله : " القوة لا تعجبهم أبدا ... هذا الذي يكرهونه، إنه جيرتنا وهذا يعني أنفسنا، إنها مظاهرنا، عاداتنا، طبعنا، عبقريتنا، يخافون حتى منافعنا ليس بمقدورنا إبادتهم لقد خضعوا لنا . لا يمكننا الهروب، إنهم يجنبوننا مبادئهم، حكمهم منهجهم في السكون والاختفاء قدر الإمكان بنفس تصرف النسيان . " 101

والنتيجة المؤكدة التي توصل إليها فرومنتان أن " بيت العربي هو سجن بقفل متين مغلق مثل صندوق قوي،ربُّ البيت بخيل لديه المفتاح يعمد على غفل كافة الأسرار ولا أحد يعرفها ولا أحد يستطيع أن يحصي ما لديه وكم يملك أو ما ثمن ذلك ... " 102 وهذا من داخل البيت أما في خارجه فهنالك عالم مخالف وحركة نشطة، فقد ظهر للكاتب صنف من رجال الصحراء بخلاف بني ميزاب الممتهنين بالجزارة ؛ إنهم البسكريون الذين يشتغلون بواسطة قطعان الحمير في نقل الرمال، مميزون بلباسهم حيث القلنسوة الصوفية والسترة الخفاقة ومئزر الجلد ...، وكذلك صراخهم الحاد على بهائمهم التي تعمل فوق طاقتها لحمل أكوام الرمل وفي رجوعها يمتطونها والأرجل متدلية معيبا عنهم ذلك في استخفاف جزاء رفقهم بالحيوان " إنها ترتاح الآن في سحق تحت قاماتهم " 103 .

وقد لاحظ الكاتب أن كثيرا من الناس يرتدون ألبسة مهملة، كوصفه لأحد العرب، قائلا : " كان عربيا من السهل، قصيرا قليلا وضخما قليلا، ملتح،جدّ مسمر مرتديا بَرنُوسًا، وعباءة، وتحت ملابسه مثل الفرسان من قميص وسترة واقية مطرزة من

---

96 . أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي .ج6 . ص 482 . 483

97 . عبد الصمد زايد . مفهوم الزمن ودلالته . ص 14

98 . Une année dans le Sahel . P 193 .

99 . Ibid : P 213 . 214 .

100 . Ibid : P 24 . 25 .

101 . Ibid : P 25 .

102 . Ibid : P 35 .

103 . Ibid : P 47 .

الحرير، خيط رقيق من الحرير الرمادي من قلنسوة ذهبية مرفوقة حول رأسه « بشريط » من حبل وبر الجمل الأسود، سبحة معلقة إلى الرقبة وحرزين أو ثلاثة حروز كانت مربوطة في تصفيفه شعره " 104.

وعن معلم الكتّاب، لاحظ الكاتب أنه قد شاخ وانقطع عنه الأطفال كبار السن، بينما المتمدرسون فقد صففوا في وضعيات مختلفة، منهم من يجلس أرضا، ومنهم من يتكئ على الحائط، وآخرون يجلسون على مقاعد كرفوف " مستودع لأجل الضجيج والمرح من ساكنيه وكأنه قفص دواجن . المعلم دائما في وسط القسم يدير، يثقف، يحرس، يضع من ثلاث إلى خمس سنوات من التدريس وذلك بتعلم ثلاثة أشياء : القرآن، قليل من الكتابة ومن الآداب، العينين تتبع آي الكتاب، اليد موضوعة على عصا طويلة مرنة مثل السوط التي تمكنه دون مغادرة مكانه من المحافظة على النظام من الزوايا الأربع للقسم " 105

وفي الكتّاب شاهد الكاتب جلوس الأولاد حول معلم القرآن يحفظون سور الكتاب ويتلقون بعض مبادئ الحساب وآداب المعاملة، وحين يكبرون ينصرفون إلى أمور الدنيا، ولعل ذلك نقله من انطباعات « شو » " إن حياة العرب البدوية وغير المستقرة والمظالم التي لا نهاية لها التي يرتكبها الأتراك ضد الحضر (السكان)، لن تسمح لأيهم بالتمتع بالحرية والهدوء والأمن التي أنجبت المعرفة في كل الأزمنة وشجعت عليها . " 106

والمعرفة تعمل على تنوير العقول، وتهذيب الطباع وبها يعرف الناس حقيقة أن الحرية أفضل من الحياة، ومن خلالها كيف تحفظ الحقوق والطرق المؤدية إليها، بما يبعث الضمائر إلى الثورة على الظلم وإزالته " لأن المعرفة تسمح دائما بالمناورة لمن يملكها في مواجهة الآخرين . وسيد المعرفة سوف يصبح وحده باختصار هو السيد " 107

والغريب في الأمر أن معظم الملاحظين قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر لهم نفس الانطباعات على أن العربي لا عهد له بالمعرفة وليس له الوقت للدراسة والتفكير، وهذا ما صرح به « دولاكروا » خلال الستينيات من القرن الثامن عشر، سيرا على منهج « شو »، قائلا : "إن شعب المغرب العربي جهّال وليس لهم ذوق في العلم أو الفن وهم بخلاء وغلاظ ومزدرون وشكّاكون وحقودون ... " 108

والظاهر أن التعليم في عهد الاحتلال ترتبت عليه نتائج وخيمة على سكان الجزائر، منها " انخفاض مستوى الدخل والمعيشة للغالبية العظمى من الجزائريين بحيث أن أعدادا ضخمة منهم حرمت من التمتع بالخدمات العامة كالصحة والتعليم والتي كانت تتوفر للوافدين المستوطنين " 109 ولعل فكرة إنشاء المدارس وتثقيف الجزائريين، غرض سياسي يراد منه التأثير على عقولهم وقلوبهم، لترسيخ فكرة التعايش مع المستعمرين، وتغليب اللغة الفرنسية لتحل محل اللغة العربية، " وهذا ما أعلنه « دوروفيكو »، قائلا : إن المعجزة الحقيقية التي علينا أن نصنعها هي أن نحل اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل العربية، بحيث نتمكن عن طريق هذا الإجراء من نشر لغتنا بين الأهالي، خاصة إذا أقبلت الأجيال الجديدة جماعات على التعلم في مدارسنا " 110 وهذا ما كل يرجوه فرومنتان في مناشدته حكومته الفرنسية في الإسراع بإقامة هذه المدارس وازدرائه الكتّاب الذي يمثل لديه طريقة التعليم غير المنتظم ؛ وهذا ما يقود إلى حقيقة مفادها " أن المدرسة القرآنية كانت لا تتمتع بأي دعم من السلطات الاستعمارية، وأنها كانت محاربة، ومضيقا عليها من الأجهزة الإدارية والأمنية، في حين أن المدرسة الفرنسية كانت إحدى أسلحة الاستعمار، ووسيلته للتغلغل داخل أوساط الأهالي، ولذلك كانت تعطى لها كل المساعدة ." 111 غير أن الجزائري من وازعه الديني وخوفا على أبنائه من الاندماج في الاستعمار، قاطع المدارس الفرنسية الحديثة التي رأت في امتناعه عن التعلم والتحضر، بقاءه على الجهل والانطواء، ما يجعله سهل الانقياد والاضمحلال من تلقاء نفسه .

ويلاحظ أن موضوع المرأة عند الكاتب قد أخذ حيزا كبيرا من كتابه، حيث عبر عن انطباعات جلها خارجية، تجلت في جمال القد والعيون واللباس والحلي ؛ ممن أتيح لهن الخروج من البيت،كاليهوديات والزنجيات ؛ في حين أن النساء العربيات لا يخرجن إلا نادرا ومتحجبات وكأنهن محبوسات الحائك والبيت، ومثل هذا التفسير مرده إلى عدم فهمه بالتقاليد الاجتماعية والتعاليم الإسلامية، " والمرأة في نظرهم قدرية غارقة في الخرافات وهي ضحية التخلف والأمية، وهي لعبة الرجل الذي كان يشتريها بنقوده، كما يشتري البهائم والبضائع ... إنها آلة نسل وخادمة بيت وحاضنة أطفال وجالبة حطب وماء " 112

والكاتب لا يروقه النظر إلى المرأة المتحجبة، فهو يرى أن « الحائك » عامل تخلف لها، وعدم ارتدائه دليل تحضرها، مستمدا هذه الفكرة من بيئته لسيطرة المرأة في المجتمع الأوروبي دون مراعاة الوازع الأخلاقي ؛ كما استنكر نظرة الرجل العربي في احتقاره المرأة السافرة، وتبجيله للمتحجبة ؛ وقد تجلى ذلك، في دفاعه عن المرأة التي يعرفها " ... لكن واحدة أظهرت خدودها (يقصد حوّ ة)، الأخريات يقين محجبات . واحدة تفتح إراديا منزلها . الأخريات يغلقنها : هذه ليست نُقطة في مسألة شعورية إنها مسألة من انضباط . كل الفرق يكمن في الستار (الحائك) : يخفض المرأة التي تكون نزيهة . ويرفع المرأة التي ليست كذلك .

ويؤكد الكاتب أن المقبرة عند العرب فضاء للتواعد والمتعة خاصة لدى النساء المتزوجات، واللواتي يجدن في زيارتها فرصة للخروج والالتقاء والتجمع في حلق قصد إظهار مفاتنهن هروبا من صرامة البيوت المغلقة " من يدري ما يقلنَهُ من نميمة، من حكايات الحي، من ثرثرة من أسرار منزلية ومغامرات غرامية من خدع صغيرة ؟ أكثر حرية هنا مما لهن في الحمّام، إنه ليس لهن من كاتمين وشاهدين إلا أناس بالغي الحكم الذين هم ينامون تحت أرجلهن ... (والذين) لا يهدأ لهم بال إلا حينما ينزل عليهم الليل من جديد . " 113

---

104 . Ibid : P 165 .
105 . Ibid : P 53 .
106 . جون بابتست وولف . ساحل الشمال الإفريقي الجزائر تحت الأتراك . ص 155 .
107 . أحمد درويش . الاستشراق الفرنسي والأدب العربي . الهيئة المصرية للكتاب 1997 . ص 21
108 . جون بابتست وولف . ساحل الشمال الإفريقي الجزائر تحت الأتراك . ص 155 .
109 . إبراهيم مياسي . مقاربات في تاريخ الجزائر . ص 155 .
110 . أحمد منور . الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه . ص 60 .
111 . المرجع نفسه : ص 234 .
112 . أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي . ج6. ص 337 .

113 . Une année dans le Sahel : P 87 . 88 .

وقد لاحظ فرومنتان تفوقع اليهود في تجمعات سكنية، تكثر بها المشاحنات الكلامية البذيئة مع صراخ الأطفال، وإبداء الحقد على الزائرين عليهم " مثلما اجتزت الفناء لأجل مغادرة المنزل ؛ أحد الأطفال اليهود، الأصغر سناً صَدَقَ (زَقَ) إلى جنب، مديرا رأسه ؛ هذا الذي أنت تعرفه، إنها علامة الازدراء . " 114

كما استعمل الكاتب على لسانه، عدداً من الكلمات العربية الفصيحة والدارجة في العامية الجزائرية، تناولت بعضا من مظاهر الحياة اليومية للإنسان الجزائري، كقوله : السلام عليكم ، روح ديالي ، شوف ، واش ، إن شاء الله ، ... وإذا كان هذا القاموس يعبر للكاتب عن الثقافة التي اكتسبها في رحلته ومدى معايشته وتغلغله في الوسط الجزائري، فإنه من جهة أخرى يعد مظهرا رومانسيا حرص الكتّاب قبله إلى إبرازه في كتاباتهم، باعتبار الألفاظ التي يدخلها ضمن ما يسطره قلمه هي وسيلة أيضا لإبراز تفوقه وإبهار القارئ الفرنسي وإدخاله في جهة " الاغتراب L'exotisme " 115 .

ويرى فرومنتان أن اللغة العربية عسيرة الفهم والتواصل، تكاد تكون محصورة فقط عند العرب ؛ والظاهر لديه أن بعض المستوطنين يعرفون المستعملة منها، في حين أن باقي سكان مدينة الجزائر يستعملون خليطا لغويا يعرف بـ« سابير » وهو مزج من بعض اللغات الأوروبية كالاسبانية والبرتغالية والايطالية والفرنسية عند التخاطب مع الأجناس الأخرى " هنا نحن نتكلم جميع لغات أوروبا. ثمة نحن لا نتكلم إلا لغة صعبة من المشرق . من حين لآخر وفيما يتعلق بمنتصف الطريق بين المدينتين، تدور لهجة دولية وبربرية معروفة باسم « سابير Sabir » الذي نفسه هو رمزي ويعني : « تفاهم / الفهم » سوف نفهم ؟ لن نتفاهم أبدا لا أعتقد ذلك . هنالك تجاذبات -من المستحيل- في الأخلاق مثلما هي في الكيمياء ... "116 أأ

وهنا دلالة على انسياق الكاتب مع الاستعمار الذي يهدف إلى التأكيد في عدم وجود وحدة لغوية بين الجزائريين، وهذا ما يفضي إلى عدم تماسك المجتمع الجزائري وأنه خليط من الأجناس المقيمة والمتنقلة الذين لا عهد لهم بهذه الأرض المهجورة ويحق لمن يعمرها أن يمتلكها .

والحقيقة أنه " كان للجزائريين غداة الاحتلال لغة علم وثقافة واحدة مشتركة هي اللغة العربية، التي كانت منتشرة ومتغلغلة في أوساط السكان بدرجة كبيرة، شهد بها المحتلون أنفسهم وكتبها في تقارير رسمية ضباط عسكريون، وموظفون رسميون، وقد وجد بعضهم في نفسه من الشجاعة والموضوعية ما جعله يصرح : بأن القراءة والكتابة كانت عند دخول الفرنسيين أكثر انتشارا بين العرب (الجزائريين) منها بين الفرنسيين، لأنها لم تكن بالنسبة إليهم مجرد لغة تواصل، أو لغة علم فحسب، ولكنها كانت فوق ذلك لغة القرآن ... " 117

ولقد حرص فرومنتان على نقل الأمثال الشعبية المتداولة بين الناس وعدّها من ضروب الحكمة عند العرب فنالت بذلك إعجابه وأسرع في تدوينها لأنها تمثل خلاصة تجربة في الحياة موافقة لمزاجهم العقلي " العرب عندهم كتاب الحكمة في عرفهم وجميع السياسة (اللباقة) الزوجية مضبوطة على هذه التعاليم، إذا فهو محكم متفق عليه ... " 118 .

ومن ضمن ما دوّنه من الأمثال [الكلام من فضة والسكوت من ذهب]119 ؛[متى المرأة رأت الضيف، فهي لم تعد تريد زوجها]120 ؛[أتان في اليوم، امرأة في الليل]121 ؛[إذا كان كل الذي نطلبه نحصل عليه، الشحاذ يصبح بايا]122 ؛[رأس دون حيلة يقطينة أفضل منه]123 ؛[رجل ذو لسان عذب بإمكانه رضع اللبؤة] " 124 ...

ولم يفوّت فرومنتان لحظة الاستمتاع وهو يسرد صغائر الأمور مؤكدا على تسجيله من هذه البيئة كل ما من شأنه الإيحاء بالتخلف الصارخ والمشاهد النادرة " من خلال شجرة تين فسيحة دون أوراق لكنها ...كثيرة الأغصان . جذع الشجرة نقع في بركة ماء آسنة، حيث استثار البط والدجاج مرتبط مثنى مثنى من خلال الوصلة، مثل السجناء ضمن من يتحدى،تتجوّل حول رماد جِدُ مرتبكة من عقالها، كل واحدة تجذب الخيط إلى نفسها دون التمكن من المشي في انسجام .إنا لا أُؤلّف قط الصورة هكذا ؛ لكنني أأأأنقل لك بالضبط ما رأيناه ." 125

وهنا يُلاحظ أن الكاتب تعمّد رصد هذا المشهد البدائي، مبينا الأوضاع المتردية والحياة القديمة في هذه الناحية الآئلة للزوال بسبب التوسع الاستعماري في المدينة، وفرض سياسة التهميش والإقصاء على سكانها ليعشوا في فقر مدقع وجهل حالك تحت أسر الاستبداد .

كما لفت انتباه قرائه إلى أنواع الطيور النادرة كالحبارى والتي لا توجد إلا في هذه البيئة التي ضمت صنوفا متنوعة من الطير والحيوان مبديا امتعاضه من طريقة العرب في صيد الطرائد وتقفي آثارها وقنصها دون هوادة في صورة همجية تفاضلية في إحراز الكم لا الكيف ؛ في حين أن الصيد هواية ومتعة محببة للقادرين عليها تنمّ عن مقدار تحضر أصحابها .

وعن طائر اللقلق والذي غالبًا ما يبني عشه في السطوح والمداخن في مدن شمال إفريقيا، ويهلل بقدومه الناس كعلامة بانقضاء فصل الشتاء وحلول الربيع مما سار في عرفهم أنه فأل خير عليهم، يقول : "رأيت اللقلق متبوعًا من رفقته، ينزل من الجبل ويتوجه نحو « باب السبت »، ... واحد من العرب الذي رآه، مدّ ذراعه وقال واقفا نحوه مباشرة : « شوف البرارج » _ انظر ها هو اللقلق _ . إنهم شاهدوه جميعا على الفور، وكأنه مسافر أقبل عليهم " 126.

---

114 . Ibid : P 181 .

115 . عيسى عطاشي صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي "صيف في الصحراء" لفرومنتان نموذجا. ص 111

116 . Une année dans le Sahel : P 23 .

117 . د. أحمد منور . الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه . ص 23 .

118 . Une année dans le Sahel : P 35 .

119 . Ibid : P : 29 .

120 . Ibid : P 35 .

121 . Ibid : P 37 .

122 . Ibid : P 163 .

123 . Ibid : P 65 .

124 . Ibid : P 173 .

125 . Ibid : P 158 . 159 .

126 . Ibid . P 190 .191 .

وفي هذا الصدد تتحدث الباحثة آن ماري كرستين : " أن الإنسان الجزائري كائن خرافي يخضع في حياته لأوهام، ويرتبط بعالم أسطوري متخلّف لا يمكنه التغلب على الفرنسي الذي يتقدم عليه كبديل حضاري يتصف بالقوة والعبقرية ويخضع حياته للعقل والعلم والتجربة " 127

ويواصل الكاتب وصفه للإبل، بقوله :بعض الجِ مَ الِ التائهة بعيدة عن « الدوار » تقترب بدل الفرار منا ... مستقيمة واقفة معظومة مع ذراها الموبَّرة، ... ورؤوسها الغريبة، من شفه محركة إلى العين الوديعة، هذه الحيوانات كبيرة البنية وضعت بين الأراضي الشاحبة والسماء ذات الزرقة الناعمة . وضاعفت النسب والأحجام وأخذت مثل « فيل » شوهد عن قرب ... الاعتدال من هذه الحيوانات تأخذ فوق العادة مواصفات لنوعية أخلاقية لا نراها جياعًا إننا نعتقد أنها مفكرة (متأملة)" 128

وقبل ظهور الجمل كان الحصان هو الحيوان المستعمل للركوب ونقل الأثقال، إلا أنه أمام الصحراء يبدو حيوانا ضعيفا على تحمل قسوة طبيعتها وحاجته إلى العلف باستمرار، لذا لم تتوان السلطة الاستعمارية في استخدام حيوان الجمل ضمن قوتها لاكتساح الصحراء " والجمل يستعمل لنقل الأمتعة الثقيلة ومختلف أنواع البضائع، ولكنه يستعمل أيضا بسرج أو راحلة للركوب . وهذا النوع هو الذي يسمى « المهري » والذي استخدمه الفرنسيون بكفاءة لإخضاع الصحراء ولسلب الرجل الصحراوي حريته التي تحمّل المشاق وناضل من أجلها قرونا طويلة ." 129

وقد خصص فرومنتان جزءا من كتابه في وصف الخيل وطقمها ؛ مبينا فن ركوب الخيل وألعاب الفروسية عند العرب، " الرجال كانوا في ... أثواب الحرب : سروال الخفاف، الحايك (العباءة) المستديرة والمزخرفة، الأحزمة المجهزة من الخراطيش ... ذهبوا معًا وصلوا إلى الأقصى . شيء كفاية نادر للعرب... الركاب بجنب الركاب...، الأذرع ممتدة الزمام للريح ... يناورون سواء بالبنادق سواء بالسيوف ...ومن خلال الحركة التي لا يمكن وصفها، كل البنادق طائرة فوق الرؤوس،... تفريغا عامًا الذي نحن يغطينا من البارود ويحْجُبنا بالدخان الأبيض، النساء يصفقن ... في حدث مثل الحرب، المشهد باهر الذي يسمى فنطازيا عربية هذا المشهد ينتظر رسّامه ... " 130

ومما يذكر أن الجنرال « أوجين دوما* Eugène Daumas »ألّف كتابا عن الحصان العربي سماه : « خيول الصحراء الكبرى مع تعليقات للأمير عبد القادر » نُشر وأعيد طبعه ثانية عام 1853، لما لقيه من استحسان ونجاح وتجاوب مع القارئ الأوروبي المتطلّع إلى أخبار الشرق ؛ وكان من بين من استفاد منه الكاتب فرومنتان، الذي فتح المجال أمامه للتعبير عن ألعاب ة« الفنطازيا » أو « ألعاب الفروسية العربية » بعد أن تشبّع فكره بأقوال المتمرسين في هذا الميدان، يقول : " الجنرال ب. ديكاريير B. De Carriere ((إن للعرب في تربية الخيل وترويضها أفكارا ذات صحة لا يمكن إنكارها لأنها ثمرة خبرة تقليدية ... وحصانهم هو الجدير بالمعارك ... إنها خدمة إضافية لجيشنا في إفريقيا ...)) " 131

كما حرص الكاتب أن يقدم الفرنسي في صورة كاملة مثالية تؤهله لأن يبرز كإنسان متشبع بالمسؤولية خبير بحياة الأهالي يدير شؤونهم بحزم وصرامة دون أن يجرده ذلك من مشاعره وعواطفه الخيّرة ؛ يعرف تاريخهم وسوابقهم وشؤونهم الداخلية وقرابتهم، وقد مثّل ذلك عن طريق شخصه وشخصية صاحبه لويس فوندال « بوجعبة » ومن خلال عظمة شعبه التي يستحضرها من حين لآخر، للاستشهاد بها في موضوعات كتابه ؛ وبالمقابل لا يروقه تصرفات بعض المستوطنين*، الذين يتصرفون على شاكلة العرب والذين يتخبطون في عالم خرافي وتقاليد بالية مما يدل على تخلف فكرهم وبدائية سلوكهم .

وهنا يتضح من العرض السابق، أن فرومنتان زار الجزائر، التي دفعته إلى معايشة الحالة الروحية للشرق وتسجيل كل مظاهر السلوك والعادات والتقاليد ؛ مؤكدا في كتاباته إلى قرّ ائه ما استنبطه من أحكام كثيرة عن هذه البيئة التي عبّر عنها بشجاعته الأدبية وموهبته الفنية في الرسم وعناء الالتزام بالموضوعية في نقل الواقع؛ إلا أن ذلك كان يمثل ملاحظات عامة أقرب إلى الانطباعات الشخصية التي قد يتفق معها سائحون آخرون،كما أنها أحكام خاصة تمّ تعميمها على الكل، بالإضافة إلى أنها انطباعات رجل وقع تحت تأثير مشاعر الإحباط التي انتابته بسبب تجربته العاطفية في طفولته ؛ ولملء خوائه الروحي المؤلم، ازداد نهمه في السعي إلى التألق في فن الكتابة من خلال موضوع الجزائر، رجاء التغلب على أزماته النفسية والبحث عن التوازن والصفاء لشخصيته بين الجميل والغريب من هذه البيئة الشرقية .

وعلى الجملة فإن الصورة التي أنجزها فرومنتان عن الجزائر وشعبها اتسمت بمظهرين واضحين من خلال القراءة الأولى لكتابه المدروس، يتجلى المظهر الأول في صورة الواقع التعيس الذي عاشه الشعب الجزائري تحت نير الاستعمار وخبث خططه في استحواذه على أرض الجزائر وإعمارها باسم : « إفريقيا الفرنسية » ؛ وتتخللها صورة انبهار بجمال البيئة التي طالما حلم بمثلها الغرب في امتلاكها،فكتاب الصحراء مثّل الصيف الإفريقي بعينهوكتاب السهل مثّ ل الجزائر المخضرة الضاحكة وأضوائها الفاتنة وتضاريسها المختلفة وآفاقها اللامتناهية وهي صورة المشرق وكأنها آيات من الكتاب المقدس .

أماالمظهر الثاني فقد تمثل في صورة تعبر عن نظرة ذاتية لواقع وهميّ تؤطره روح الاستعلاء والتعصب غير مبرأ من سياسة التمييز التي ينتهجها الغرب اتجاه العرب وغيرهم من الشعوب المبنية أساسا على النفعية المادية .

---

127 . Un été dans le Sahara . P 17. 18 .

128 . Ibid : P 289 .

129 . إسماعيل العربي . الصحراء الكبرى وشواطئها . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ؛ 1983 ص 45 .

130 . Une année dans le Sahel . 327 .

* للجنرال أوجين دوما أربعة مؤلفات :
- « الصحراء الجزائرية Le Sahara Algrien 1845 »
- « الصحراء الكبرى Le Grand Désert 1848 »
- « آداب وعادات الجزائر Mœurs et Coutumes de L'Algérie 1853 »
- « الحياة العربية والمجتمع الإسلامي La vie et La Société Musulmane »

131 . أوجين دوما . خيول الصحراء الكبرى مع تعليقات لأمير عبد القادر . عرض وتحليل : سلميان قطاية . مجلة عالم الفكر المجلد التاسع عشر (19) العدد الرابع (04) . الكويت (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1988م) ؛ ص 271 .

* مثل جار الكاتب البولوني « آدم » غريب الأطوار،الذي يملك حظيرة دواجن، كثير التأملات، والسهر مع الغرباء في ظلام الليل الدامس، لم يشعل لهم نار موقده يوما، ويتصرف - في نظر الكاتب - كعربي يميت ساعات حياته ليستتر تحت التراب .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا: المصادر :

01. Eugène Fromentin . Une année dans le Sahel . Michel Lévy Frères, Libraires - Editeurs . Paris 1859 .

02. Eugène Fromentin . Un été dans le Sahara . Présentation et Notes par Anne Marie Christine . Editions Le Sycomore . Paris . 1981 .

ثانيا : المراجع العربية :

03. أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954 . ج6 . ج8 .ج10. دار البصائر الجزائر.

04. إبراهيم مياسي . مقاربات في تاريخ الجزائر 1830 - 1962 . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2007 .

05. أحمد درويش . الاستشراق الفرنسي والأدب العربي . الهيئة المصرية للكتاب 1997 .

06. أحمد منور . الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه . ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 .

07. إسماعيل العربي . الصحراء الكبرى وشواطئها . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983 .

08. جون بابتست وولف . ساحل الشمال الإفريقي الجزائر تحت الأتراك . ترجمة أبي القاسم سعد الله تحت عنوان : الجزائر وأوروبا 1500 – 1830 . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 .

09. عبد الصمد زايد . مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا 1988 .

10. عبد المجيد حنون . صورة الفرنسي في الرواية المغربية . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر ؛ 1986

11. غاستون باشلار . جمالايات المكان ؛ ترجمة : غالب هلسا . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 . 1984 .

12. منى أحمد أبو زيد، الفكر الديني عند زكي نجيب محمود . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط1 . بيروت، لبنان

ثالثا : المراجع الفرنسية :

13. Delacroix E. Voyage au Maroc 1832 . Paris 1930 .

14. Eugène Fromentin . Les Lettre de jeunesse . Paris . 1909 .

15. Roger Le Tournau " Les villes Musulmanes de L'Afrique du nord " Ma Maison des livres . Alger 1957 .

رابعا : الرسائل الجامعية :

16. عيسى عطاشي صورة الجزائر في أدب الرحلات الفرنسي "صيف في الصحراء" لفرومنتان نموذجا. مشروع لنيل شهادة ماجستير 2005 .

خامسا : الدوريات باللغة العربية :

17. مجلة عالم الفكر . الكويت ؛ 1988 .

توعية المجتمع بأهمية المخطوط

قاسم فتيحة -جامعة الجلفة
جعيد محمد - جامعة الجلفة

مقدمة:

لولا الكتب، تلك السجلات التي تسطر فيها أعمق أفكار البشر و أروع أعماله ، لأضطر كل جيل إلى أن يعيد اكتشاف حقائق الماضي نفسه ، لا يساعده في ذلك سوى التراث المنطوق أو كلمات الفم التي لا بد لها من التشويه و التحريف في روايتها، فالكتب إذن تمنحنا وثيقة دقيقة و باقية لكل ما فكر فيه الآخر.
إن كل جيل يمهد الطريق و يوسعه للجيل الذي يليه، و بالكتب استطعنا إن نعبر القرون و نبني حضارة اليوم.
و نحن هنا بصدد جمع و حفظ و حماية هذا النوع من الأوعية النادرة، الموروث الفكري الذي يندر إيجاد نسخ منه و هو المخطوط، و الذي عرفه القلقشندى بأنه كل ما يكتب بالمداد على الورق سواء أكان الورق مصنوعا من قراطيس البردي أو الكاغذ و سواء كان المخطوط على شكل لفائف أم مجموعة من كراريس[132].
كما عرفه البقية بأنه كتاب مكتوب بخط اليد بنسخة واحدة أو نسخ قليلة ابتدءا من بداية التأليف في القرن الأول الهجري[133].

الموروث الفكري:

إن لدى العالم العربي و الإسلامي إرثا ثقافيا فكريا زاخرا في كل الميادين و لا ينكر العالم أن أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا أمير الأطباء و ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الاجتماعي وأبو عبدالله بن يزيد بن ماجه القز ويني المفسر و المؤرخ أبو الحسن علاء بن الشاطر الفلكي الرياضي و محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي الرحالة المؤرخ القاضي و الفقيه كل هؤلاء كانوا السباقين عن غيرهم في البحث و التنقيب بل و انه يرجع لهم الفضل وهذا باعتراف الأجانب بذلك فإذا لم يكن صريحا فهو ضمني ، فقد ترك هؤلاء دواوين و كتب ومخطوطات و لفائف كانت تعبر عن ما وصل إليه هؤلاء.لكن ليس كل ما دون قد وصلنا ، فلم يخطأ يوسف زيدان في قوله ان التراث مجهول ، وان مهما كان الحصر للمخطوطات لا يكفي رغم تنوعها للاطلاع على العالم التراثي الزاخر، والحافل بالآلاف الكتب البديعة المطوية في نسخها الخطية[134]. هذا و ناهيك عن علماء منطقتنا التي هي الأخرى قد أنجبت مشايخه و علماء في الفقه و الحديث و اللغة و القضاء أمثال الشيخ الإمام احمد بن السايح برق و الشيخ بلقاسم بن احمد بن مشيه و سي الشريف بن الاحرش و العلامة القاضي مصطفى بن الطيب بلعدل و غيرهم الذين قد ذاع صيتهم في ميادين شتى و بالكاد يعرفون اليوم مما يرجع سلبا و يعاب علينا في إثبات وجود رجال علم ها هنا . لقد تركت الحضارات الغابرة إرثا تاريخيا يعتبر جزءا كبيرا من التراث العالمي، مما جعل منطقة العالم العربي من أكثر المناطق ثراءا من ناحية الممتلكات الثقافية و التاريخية، هذا الثراء الذي حولها قبلة لأنظار السياح من شتى أنحاء العالم لاكتشاف خبايا هذا العالم.في حين تتعرض بعض المناطق من عالمنا العربي الى تجارب قاسية في النزاعات و الحروب و اذ تبقى أولوية القانون الدولي الإنساني و اتفاقياته، هي حماية السكان من آثار هذه النزاعات و تجنيبهم ويلات الحروب ، كما كان من أهدافه أيضا حماية ممتلكات المجتمع المدني وارثهم الثقافي و تاريخهم الذي يشكلان هويتهم[135].
فإذا كان التراث الثقافي لشعوب منطقة الشرق الأوسط و بعض دول شمال إفريقيا مهدد بالإتلاف والحرق والنهب والسرقة، فيجب على المناطق التي تعيش الاستقرار أن تحمل على عاتقها حفظ ما يمكن حفظه فهناك سبل عدة، خاصة مع التطور التكنولوجي الذي وفر طرق حمايته و تخزينه

تكامل العلوم في الحفاظ على المخطوط :

إن العلاقة بين علوم التاريخ، الاجتماع، الآثار و المكتبات كلها علوم لها علاقة وطيدة عضوية، فلا يمكن أن ينسلخ علم عن الآخر فهي علوم كل متكامل فقد كان قديما علماء التاريخ المسلمون يسهرون الليالي الطوال في دور الوراقة في مصر و الشام و العراق و الحجاز و الأندلس و غيرها من بلاد العالم الإسلامي يتابعون الوثائق و المخطوطات و المستندات لكي يدونونها و يحللونها ويستنبطون منها المؤلفات و يستقرؤون منها الحقائق،و مدلولات الرموز و الشعارات التي تساعدهم على دعم الحقائق التاريخية بأساليب التوثيق[136].
فالوثائق هذه هي الأصول النزيهة التي يجد الباحث بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقات المفقودة .
فأنواع المعرفة الإنسانية متداخلة متشابكة فيما بينها، و لا يمكن أن يدرس علم معين مستقلا بذاته تمام الاستقلال عن سائر العلوم أو المعارف[137] .
و لهذا فقد أوجز الأستاذ فيصل الحفيان تلاحم العلوم و اتحادها حول المخطوط في ثلاثة أنواع من القيم و هي :

-قيمة أثرية، ترتبط به بوصفه جسماًو وعاءً ماديّاً .

قيمة معرفية، ترتبط به بوصفه نصّاً ينقل لنا علماً أو معرفة أو فكراً .

---

[132] -شوقي مصطفى علي الموسوي، القيم الجمالية في المخطوطات القرآنية= Aesthetic values of geometrical shapes in the quranic manuscripts، ص. 166
[133] شوقي مصطفى علي الموسوي، المرجع السابق، ص. 167
[134] يوسف زيدان،تراثنا التراث المجهول:اطلالة على عالم المخطوطات، الاسكندرية:دار الامين،د.ت. ، ص. 8
[135] هشام حسن،مجلة الانساني، القاهرة:د.ن. ، 2010، ص. 3
[136] محمود عباس حمودة ، المدخل الى دراسة الوثائق العربية._القاهرة : مكتبة النهضة الشرق ،1995،ص ز.
[137] نفس المرجع،ص3.

-قيمة وثائقية وتاريخية، أو حضارية، ترتبط بخوارج النص، ولا تنفصل عن القيمتين الأخريين.

الحدود واضحة بين هذه القيم الثلاث، وعلى الرغم من ذلك، قد تلتقي وتتعاضد، وقد تتفرق وتتنابذ، ومن هنا تكون مسؤولية مَن يتصدى لمهمة تقييم المخطوط في الوعي بهذا الأمر، فيدرك أن القيمة الأثرية المرتبطة بالتاريخ، تاريخ الزمن القديم أو الجغرافيا المكان أو الإنسان الشخص قد تكون خالصة، وأن القيمة المعرفية قد تنفرد في وعاء مبتوت الصلة بالقيمة الأخرى الأثرية مثلاً، وأن القيمة الوثائقية الحضارية قد توجد في كيان ليس بذي قيمة، لا من ناحية أثريته، ولا من ناحية محتواه المعرفي.

مع القيمة الأثرية نستند إلى علم المخطوطات الكوديكولوجيا، ومع القيمة المعرفية يشتد الارتباط بالدرس اللغوي التاريخي للنص والدرس الفيلولوجي، ومع القيمة التاريخية نحن أمام الحراك الحضاري الذي يتمحور حول النص، وقد يفتح أمامنا نوافذ واسعة على الحراك الحضاري للعلم والإنسان في تفاعلهما، وللإنسان نفسه في علاقته مع أخيه الإنسان، ومع البيئة التي يعيش فيها[138].

الصلة بين الفرد و المجتمع و الثقافة:

تقوم الثقافة بمهمة إشباع الحاجات المختلفة لأعضاء المجتمع من خلال العديد من السمات والعناصر المكونة للثقافة ذاتها، و ذلك باعتبار أن تلك الحاجات البشرية حاجات مقررة اجتماعيا وثقافيا، فهناك تفاعل دائري بين كل فرد و مجتمعه و ثقافته، وان عملية تشكيل أو إعادة تشكيل شخصية الفرد داخل الجماعة أو المجتمع إنما هي مسؤولية الهيئات و المنظمات التي تضطلع بعملية التنشئة الاجتماعية[139]، فكل مجتمع _ بسيطا كان أو معقدا _ له ثقافة معينة و التي هي نتاج الفكر المجتمعي .

تتميز الثقافة بأنها تراكمية و مكتسبة و تنتقل من جيل إلى جيل، فالثقافة تشمل جميع جوانب الحياة المعنوية والمادية و توجد في كل المجتمعات، كما أنها تحتوي على الأفكار و الاتجاهات العامة المقبولة و المتوقعة التي يتعلمها الفرد من اتصاله بالواقع الاجتماعي ، لذلك تلعب دورا مهما في إعداده ليكون أكثر فاعلية في محيطه الاجتماعي، كذلك فان كل جيل جديد لا يبدأ من فراغ ولكنه يستفيد ممن حوله، و يكون كل أعضاء المجتمع مطالبون بنقل التراث إلى الأجيال القادمة، و ما تعلموه من الماضي، و ما أضافوه بأنفسهم إلى هذا الكل الثقافي[140].

سمات الفرد في مجتمع المعلومات :

تمثل خصائص مجتمع المعلومات معايير و قياسات يمكن من خلالها التنبؤ بدخول المجتمع أو تحوله أو تطوره إلى مجتمع المعلومات أي مجتمع واع بالتحولات المسارعة متماشيا و إياها دون الانسلاخ عن ماضيه و ليتمكن من الوجود المتواصل عبر الزمن،و نجد ديورانت يعبر عن روح العصرنة اعترافا منه أن بلاد الإسلام كانت من أعظم الدول التي عرفت الازدهار العلمي على وجه الخصوص حيث يقول:"لم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم –اللهم إلا بلاد الصين- ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع و العشر و الحادي عشر ،ففي هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية"[141] و لذا نطمح أن يبقى العالم العربي الإسلامي محتفظا بنفس السمات والخصائص التي كان يتسم بها، و بهذا يمكن أن نوجز هذه المعايير فيما يلي:

_أن يكون منفرد و غير نمطي أي ليس صورة مكررة عن الآخرين .
_أن يمارس التفكير الناقد .
_قادرا على التعليم المستمر و الذاتي الشامل .
_مبدع و مبتكر .
_ايجابي و متعاون .

الوعي الجماهيري بأهمية تراثنا المخطوط:

لقد أشاد الأستاذ فيصل الحفيان لما للمخطوط من أهمية بالغة ليس لكونه وعاءا او مادة أثرية فقط بل قد عظم هذا لكونه صار قضية في قوله:"حان الوقت للنظر إلى"التراث"على أنه"قضية"؛ فالعمل في التراث وللتراث ليس حفظًا ولا صيانة، ولا ترميماً، ولا رصداً، ولا فهرسةولا تحقيقاً، ولا درساً، ولا نشراً، ولا توظيفاً، بل هو جمع ذلك كله وزيادة .ولعل الزيادة هي تتويج ذلك كله، فهذه الأعمال جميعها لا بد أن تصل بنا في النهاية إلى إحياء هذا التراث، ليس بمعنى الإحياء من الموت، ولكن بمعنى إدخاله في نسيج حياتنا العصرية وتحفيز دوره ليكون عاملاً رئيساً في بناء نهضة ذات خصوصية لا تحاكي ولا تنسخ ولا تسلخ نهضة الآخر، وفي الوقت نفسه لا تتكفئ ولا تتجمد ولا تغيب وراء عباءة الأنا في مرحلة تاريخية انقضت"[142].

و لهذا نرى على انه يجب توعية الجهد الفردي داخل مجتمعاتنا لحماية هذا الإرث الفكري – المخطوط – من الاندثار أو السرقة بأيدي مجهولة أو تعرضه لطمس أو تأويل خاطئ أو حذف أو تحريف.

كما يجب أن يعلم و يعي المجتمع أن الخطر يتعاظم و يتفاقم و الذي يهدد المجتمعات الإنسانية في خصوصياتها الثقافية و الحضارية و الفكرية، و في أمنها العقائدي و في هويتها الوطنية و ثقافتها القومية، و هو خطر يتضاعف لطمس ملامح الثقافة العربية المسلمة في إطار فرض النظام الأوحد على البشرية قاطبة[143] و طمس ملامح الشخصية العربية المسلمة لما ينادي به الغرب و ما يسمونه بالعولمة و جعل العالم في بوتقة واحدة.

---

[138] فيصل الحفيان، المخطوط العربي:تفكيك المفهوم و أسس التقويم .- مجلة الحياة،العدد 17830، ص.19.

[139] _صلاح الفوال ، علم الاجتماع بين النظرية و التطبيق._ القاهرة: دار الفكر العربي، 1996._(سلسلة كتب علم الاجتماع والتنمية ؛17، ص 148.

[140] www.moqatal.com.

[141] عصام عبيد،محاضرات في المخطوط العربي،جامعة اسيوط،ص 84.

[142] فيصل الحفيان،المخطوط العربي:تفكيك المفهوم و أسس التقويم.-مجلة الحياة،العدد 17830، 2012 ،ص. 19.

[143] _ عبد العزيز عثمان الترويجري ، الحفاظ على الهوية و الثقافة الاسلامية في اطار الرؤية المتكاملة، ص1.

فتوعية المجتمع يقول كارل ماركس :(ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل يحدد وجودهم الاجتماعي وعيهم)، إذ يشير هذا المقطع إلى توجيه المعطيات المادية للظواهر الفكرية[144].

العوامل المؤثرة في التوعية و التغير الثقافي:

إن عملية الاتصال الثقافي من أهم العوامل التي تحدث التغير الثقافي كما له أهمية بالغة خاصة بعد تقدم وسائل الاتصال المختلفة .

فالأمر المهم أن الاحتكاك بين مختلف الأنساق الثقافية يحدث نوعا من التفاعل هذا من اجل أن يحافظ كل نسق ثقافي على هويته و خصائصه و مكوناته في مواجهة غيره من الأنساق إثناء عملية الاتصال أو الاحتكاك[145]، كما على المؤسسات المتخصصة أن تعمل في تناغم مع بعضها البعض و أن تؤدي وظيفتها ككل متكامل و مندمج.

أسباب التوعية الاجتماعية :

التوعية بأهمية التراث المخطوط :

لقد مرت هذه الكنوز التراثية بعدة مرحل كادت أن تعصف بها من خلال ضياع البعض من هذه المخطوطات نتيجة عدة عوامل على غرار ما حدث لها عبر مختلف أنحاء العالم إلى أن جاءت مرحلة الثمانينيات من القرن الماضي التي وصفها الدكتور جعفري بمرحلة "الوعي الأكبر" والتي "تفطن فيها أرباب الخزائن لأهمية هذه المخطوطات حيث أحاطوها بحرص و عناية كبيرة."

ثم أوكلت المهمة بهذا التراث المخطوط إلى المختصين و الباحثين و الطلبة بالجامعات والمعاهد .كما أنشأت مراكز متخصصة في المخطوط و العناية به و تحقيقه و صيانته و سطرت مشاريع بحث في هذا الجانب مما جعل بالدولة الجزائرية أن تسهم في إنشاء مركز وطني للمخطوطات يتخذ من ولاية أدرار مقرا له اعتبارا للمخزون الهائل من المخطوط بالمنطقة[146].

و بهذا الصرح الذي قد ساهمت به الدولة و الذي نرجو أن لا يكون الفريد، لان الجزائر كانت بلاد علم و أم علماء و لتزال، و المناطق الداخلية هي الأخرى تحضى بموروث ثقافي و فكري زاخر و المنتشر في الدواوين و الخزائن و البيوت و المساجد و الزوايا، و لذا ارتأينا إلا ان نلفت انتباه كل فرد من هذا المجتمع إلى ما يواجهه المخطوط من خطر، و يعمل الكل في تكاثف للتبصر و المشاركة في جمعه و وقايته على أن توكل مهام الترميم و التصوير و الفهرسة و التوثيق الالكتروني لأصحاب الاختصاص، واهم هذه الأسباب التي جعلتنا نبادر في تكثيف أو الأحرى تجنيد الكل بهذه المهام نذكر منها:

- خطر تعرض المخطوطات للتلف لكونها وعاء هش و سهل التمزق بسرعة.
- تداوله بين أيدي العامة دون علم بما يحمله من معلومات هامة.
- قد يتم إهماله أو رميه لكونه مادة قديمة مع إهمال القيمة الفكرية و التاريخية للمخطوط.
- عرض المخطوطات و الكتب القديمة إلى البيع في أماكن عامة مما يجعلها عرضة للسرقة والتحريف والتزييف أو التهريب.
- تواجد بعض المخطوطات بأيدي جهلة العلم، و توارثهم إياه على سبيل الذكرى لا غير.
- احتكار المخطوط على مستوى مكان تواجده سواء كان مسجدا أو بيتا أو زاوية، دون العلم انه تلزمه عناية خاصة.
- الرغبة في إعادة بعث الحياة من جديد في التراث العربي الإسلامي.

التوصيات:

- الحفاظ على التراث الفكري و المخطوط على وجه الخصوص و الذي هو مهدد بالتلف بين أيدي أناس يجهلون قيمته و محتواه.
- مواجهة التحديات الراهنة التي يتعرض لها تراثنا المخطوط.
- الحفاظ عليه ليس عملا متوقع انجازه في زمن محدد بل انه عمل طويل الأمد يستدعي تكاثف الجهود لجمعه و ترميمه و فهرسته و تحقيقه.
- لفت انتباه الجهات الوصية لدعم هذا النوع من الموروث الفكري آل و هو المخطوط.
- تنظيم رحلات للمواقع التي يتواجد بها هذا الموروث كالزوايا و الدواوين و المساجد القديمة والمكتبات.

---

[144] .0ar.wkipedia.org

[145] صلاح الفوال ،مرجع سابق ،ص 149.

[146] : http://elmassar-ar.com/ara/permalink/36636.html#ixzz2vfgCjLiR.

- تنظيم حملات إعلامية و توعوية لتعريف أفراد المجتمع و شرائحه المختلفة بأهمية التراث وسبل المحافظة عليه.
- مشاركة جميع الأفراد و المؤسسات و الهيئات المختلفة المهتمة بهذا الإرث لتكامل الجهود.
- عقد المحاضرات و الندوات و توزيع المنشورات التعريفية[147].
- الاتصال المباشر مع من يملك مثل هذه المخطوطات و تعريفهم بقيمتها العلمية والحضارية.
- إعادة النظر في المناهج الدراسية للجامعات للتعريف بأهمية المخطوط و كيفية حمايته ودراسته وتحقيقه.

الخاتمة:

إن الوعي يظهر و يتطور كجانب من ممارسة الإنسان الاجتماعي و ترابطه وتفاعله القائم ما بينه و بين الموضوع الذي يجري التفاعل معه.و نحن نركز على توعية الفرد ، هذا الأخير الذي يتميز بمعرفته لقدراته في اتخاذ القرارات و سلوكه العام و الخاص في الحفاظ على ارثه الفكري على وجه الخصوص،فلا نريد أن تنحصر معارفه كحصيلة للنشاط النظري فحسب و إنما نريدها أن تعبر عن توجهاته المستقبلية، فلا بد للفرد من استكشاف المشاكل المحدقة بالمخطوطات و أن يكون في سباق مع الأوضاع السيئة التي تحدق بهذا الوعاء الهش. فقد عرف الوعي البشري – الوعي الفردي والجماعي – نوعا من التراجع، فلا يجب أن يقتصر الوعي على النخبة الذين يتمتعون بثمار التطور الثقافي و المعرف، و إنما يجب -و ما نصبو إليه -أن توضع التوعية للحفاظ على المخطوط في إطارها العام و خدمة للأغلبية.

قائمة المراجع باللغة العربية:

1-احمد سلامة محيسن، دور التوعية في الحفاظ على التراث المعماري في قطاع غزة

2-شوقي مصطفى علي الموسوي، القيم الجمالية في المخطوطات القرآنية= Aesthetic values of geometrical shapes in the quranic manuscripts

3_ صلاح الفوال، علم الاجتماع بين النظرية و التطبيق، القاهرة، دار الفكر العربي،1996، (سلسلة كتب علم الاجتماع و التنمية ،17).

4_ عبد العزيز عثمان الترويجري، الحفاظ على الهوية و الثقافة الاسلامية في اطار الرؤية المتكاملة.

5_ عصام عبيد،محاضرات في المخطوط العربي، جامعة اسيوط.

6-فيصل الحفيان، المخطوط العربي، تفكيك المفهوم و أسس التقويم،مجلة الحياة،العدد 17830، 2012.

7_ محمود عباس حمودة ،المدخل الى دراسة الوثائق العربية،القاهرة، مكتبة النهضة الشرق، 1995.

8-هشام حسن،مجلة الانساني، القاهرة،د.ن. ، 2010

9-يوسف زيدان،تراثنا التراث المجهول، اطلالة على عالم المخطوطات، الاسكندرية، دار الامين،د.ت

المواقع الالكترونية

10_ar.wkipedia.org

11_ -http://elmassar-ar.com/ara/permalink/36636.html#ixzz2vfgCjLiR

12_ www.moqatal.com

[147] احمد سلامة محيسن، دور التوعية في الحفاظ على التراث المعماري في قطاع غزة،ص 1

سمو الدستور

سعـــــدي زهــرة

مقدمـــة :

إن الدّستور يُعتبر تجسيدا لإرادة المجتمع في كيفية تنظيمهِ و تسييرِ مؤسّساتهِ من جهة ، وبصفتهِ أسْمى و أعْلى القوانين في الدّولة من جهة ثانية ، من خلال هذا الاعتبار وجب أن تتقيّد بأحكامه جميع السلطات ، لما يتميز به من مكانة خاصة ، ترمي إلى هيكلة المجتمع و إرساء تنظيم دستوري للدولة و إعطاء تحليل لحياتها السياسية ، فمن خلال هذا السياق يمكن اعتبار هذا الأخير المرآة العاكسة لطبيعة المجتمع و نظامه من خلال ما تجسد منه من قواعد و أحكام تَضمّنها وُجِدَتْ من أجل توضيح أساليب سيْر سُلطات الدولة و معرفة مبادئ الفلسفة السياسية و الاجتماعية التي يعتمدها كدليل و مَعْلَمْ لتصرفات الحكّام ، إذن فالدستور هو انعكاس للقيم و المبادئ التي يُؤمن بها المجتمع و يحترمها و يقدّسها و يجعلها بمثابة ثوابت اكتسبت احتراما و تقديرًا عبر الزمان من خلال دستور اجتماعي ، تكوّن خارج إرادة الناس مليء بالعناصر الفكرية الاجتماعية و الثقافية للمجتمع و تَأتّى من خلاله دستور سياسي اصطناعي إرادي من صنع الأفراد في المجتمع ينحصر في وثيقة تتضمّن أحكام تقنية تُوضّح كيفية تنظيم مؤسسة الدولة و شكل النظام السياسي فيها و تعيين الهيئات الرئيسية و تحديد اختصاص كل منها و المحافظة على حقوق و حريات الأفراد ، و ذلك برسم حدود يؤمن بها المجتمع ويحترمها في الوقت نفسه وإلّا أصبح هذا الدستور مجرد حُزْمة ورق جافْ لا روح فيه .

و بما أن الدستور هو تعبير عن إرادة المجتمع بواسطة أحكام متعلقة بتنظيم المجال السياسي و أحكام مؤسِّسَة لشرْعية السّلطة الحاكمة و طبيعة الدولة و نظام الحكم فيها و تنظيم السلطات و العلاقات بينها و تكريس ثوابت المجتمع في المجال الاقتصادي و الاجتماعي والثقافي ، وجب أو بالأحْرى من الضروري أن يتّسم هذا الأخير بصفة ترفع منه و تجعلهُ أعلى القوانين في الدولة و تضعه في صدارة هرم النظام القانوني فيها ، و تتجلى هذه الصفة في مبدأ سُمي " بمبدأ سمو الدّستور " ، فنظرًا لأهمية الموضوع و خطورته نقف أمام الإشكالية بطرح السؤال الآتي : ما المقصود بالسمو الدستوري ؟؟ وما هي أسس و مظاهر هذا السمو ؟؟ التي تؤدي إلى إحترام الدستور في النظام القانوني للدولة .

و للإجابة على هذا التساؤل، ارْتأينا أن نطرح و نعالج هذه الإشكالية من خلال الخطّة التالية :

حيث تناولنا في المبحث الاول مفهوم السمو الدستوري وذلك من خلال السمو الشكلي للدستور و الموضوعي .

ثم علاقة سمو الدستور بالنسبة للقانون الدولي وبعض الاوضاع الداخلية ذلك في المبحث الثاني.

المبحث الأول: مفهـــــوم السمـــــو الدستــوري

عندما نتحدث عن فكرة سمو الدستور ، يجب أن نركّز في جوهر القضية المتمثل في كون هذا الدستور إنعكاسًا لإرادة الأغلبية بطريقة ديمقراطية ، و ذلك ابتداءًا من تدخل المحكومين في تحديد كيْفيّات ممارسة السلطة في الدولة بانتقال تلك الوظائف من كونها مِلْكيّة خاصة بالحكام مشكّلة جزءًا من ذمتهم المالية إلى وظائف تُمارس بإسم صاحب الشّأن (الشعب) و لحسابه بعد تحديد قواعد اللّعبة السياسية في الدستور .
بعبارة أخرى فإن الدولة ما هي إلا مؤسَّسَة سياسية بصفة أساسية خاضعة لسلطان الدستور من خلال كل مؤسَّسَاتها التشريعية و التنفيذية و القضائية ، بإعتباره ضمان من ضمانات الدولة القانونية ، هدفهُ حماية الأفراد و ضمان حقوقهم ضد اعتداء و تحكّم السلطات الحاكمة ، هذا الهدف يتحقق إلا إذا إتّسم الدستور بالتفوّق و السمو على جميع مؤسَّسَات الدولة ، هذا السمو يتجلى في عدد من المظاهر الموضوعية أو المادية و المظاهر الشكلية .

المطلب الأول : السمو الشكلي للدستور .
المقصود من شكّلية الدستور هو كيْفيّات التعبير عنه و الإجراءات الاستثنائية التي تعدُّ و تعدّلُ و تُلْغى بمقتضاها قواعدهُ ، و التي بدورها لا توجد في كيفية سن القوانين العادية أو تعديلها هذه الخصوصية يستنتج منها أن الضّابطة الدّستورية la norme constitutionnelle فريدة من نوعها من حيث الإجراءات، ومحمية بطريقة تجعلها أسمى وأرقى من جميع القواعد القانونية الأخرى في الدولة، فالدساتير التي يتحقق فيها السمو الشكلي هي تلك التي تتطلب في إعدادها ووضعها و تعديلها إجراءات إستثنائية معقدة أي الدساتير الجامدة (1) .
فالنصوص الدستورية تتميز عن القوانين الوضعية ، هذا التمييز يؤثّر على إمكانية البرلمان أن يمس من أحكام الدستور أو أن يهدم تفوُّقهُ في النظام القانوني للدولة، أو أن يُحطّ من أهمية السلطة المؤسِّسَة أو أن ينهار من خلاله التدرج القانوني الذي يميز الأنظمة القانونية خصوصا للدول

1/ انظر: محمد ارزقي نسيب ، أصول القانون الدستوري و النظم السياسية ، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ص ، ب 109 برج الكيفان الجزائر ، ص : 214 .

ذات الدساتير الجامدة و هكذا فالسمو الشكلي يتمثل في الجوانب التالية (2) :
* أن الدساتير تُوضع و تَنشأ طبقًا لإجراءات و طُرق خاصة بها من طرف سلطة تأسِيسيّة بينما يكون جميع السلطات التي يُنشئها الدستور سلطات مؤسّسَة .
* أن الدساتير خاصة الجامدة ، تُعدّل طبقا لإجراءات و أساليب معقدة و متميزة بعكس القوانين الأخرى .
* أن حماية الدساتير و منع مخالفتها و رقابة مدى احترامها، كل ذلك يكون عن طريق أجهزة و أساليب خاصة بها تعرف بالرّقابة على دستورية القوانين .

- سيادة الدستور تتنافى مع إمكانية السلطة التشريعية في تعديل النصوص الدستورية بنفس إجراءاتها المعتادة في تعديل القانون العادي مع الملاحظة أن الدستور المرن يُعدّل بنفس الإجراءات و الكيفيات التي تعدل بها القوانين العادية مما يُلغي أي تفوّق لهذا الأخير .
- و مبدأ السمو يتماشى مع مدى جمود الدستور الذي يهدف إلى إرساء ثباته و استقراره و حمايته من أي تجاوز و تعسّف و ذلك بإحاطته بالضمانات و وسائل الحماية و بهذا تتحقق الصفة العلوية الشكلية (3) .
- و الجدير بالذكر أن هناك بعض القوانين لا تحتويها الوثيقة الدستورية أي أنها تخرج عن القواعد الدستورية لكنها تُنظّم في بعض الأحيان مواضيع ذات طبيعة دستورية و تكون في شكل قوانين عادية صادرة عن البرلمان تسمى قوانين أساسية lois organiques من شأنها أن تكون مصدرا للنظام الدستوري في الدولة ، و من الملاحظ أن القوانين الأساسية تكون بموجب نص دستوري يوحي إمّا مباشرةً أو غير مباشرة بضرورة إيجاد تلك القوانين و اللّجُوء إليها في صميم موضوعات القانون الدستوري (كقانون الإعلام ، قانون الجمعيات ذات الطابع السياسي (الأحزاب) قانون الانتخابات .....الخ) بإعتبارها مكمّلة له .
ولقد أورد المشرع الدستوري الجزائري هذا النوع من القوانين في تعديله الدستوري الأخير 1996 وسمّاها القوانين العضوية " المادتان 120 ، 121 " ثم أدرج مصطلح القوانين الأساسية (4)

3/ انظر: حسني بوديار ، الوجيز في القانون الدستوري ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، ص : 100 .

4/انظر : محمد ارزقي نسيب ، المرجع السابق ، ص : 216 .

- أما القوانين العادية تختلف عن القوانين أو القواعد الدستورية من خلال نقطتين مهمتين :
* من حيث الموضوع أن القانون الدستوري هو قانون الدولة أي متعلق بشكل الدولة و قواعد ممارسة الحكم فيها و يضمن حقوق و حريـــات الأفراد ، أما القوانين العادية تسنها السلطة التشريعية بناء على اختصاصها تعالج بها مواضيع ثانوية كقواعد القانون المدني .....أو التجاري أو غيرها ، بحيث تنظم علاقات الأفراد على أساس المساواة و التوازن في علاقاتهم المتبادلة .
* من حيث الشكل خصوصا إذا كان الدستور جامد ، إستوجب وجود سلطتين سلطة مُؤَسِّسَة و سلطة مُؤَسَّسَة ، الأولى تُعِّد الدستور و تُعدله و الثانية تسنُّ التشريع العادي كإختصاص تخوّله لها السلطة الـــمُؤسِّسَة .
- الهدف من هذا الاختلاف هو إضفاء صبغة و قيمة قانونية تجعلها بعيدة عن أي إعتداء من قبل الحكام خصوصا أنها تشمل حقوق الإنسان الطبيعية .
- و بناءًا على ما سبق يمكن القول بأن أهم فاصل من الناحية الشكلية بين القوانين الدستورية و القوانين العادية يتمثل في الجهة المصْدرة للقاعدة و إجراءات إعدادها و تعديلها (5) .

المطلب الثاني : السمو الموضوعي (المادي) للدستور .

السمو المادي للدستور أساسه النظام القانوني في الدولة الذي يقوم مبدئيا على الدستور والذي يقوم أيضا من خلال الفلسفة السياسية القانونية المتأتية من خلفية مشروعية للمجتمع تعطي هذه الصفة بدورها سند الشّرعية لتصرفات الهيئات العمومية و سُلطات الدولة التي من خصائصها أن سلطاتها تتّبع إرادة الشعب و أنّ العمل التشريعي فيها (القانـــون) يفقد كل قيمته ما لم يشارك المحكومين في إعداده .

5/انظر : محمد ارزقي نسيب ، المرجع السابق ، ص : 218 .

فبموجب الدستور يتم إنشاء و تأسيس أجهـــزة و مؤسَّسَات الدولة السياسية مثل السلطـــة التنفيذية و القضائية و التشريعية .....الخ ، ثم تحدد إختصاصاتها و نشاطاتها المختلفة ، و من بين هذه النشاطات سن القوانين ، الذي لا يكون إلا بما يسمح به الدستور ، فهذه القوانين المتمثلة في تشريعات فرعية و تشريعات لائحية لا تستطيع أن تخالف ما تضمن الدستور من قواعد لأن هذه القواعد تشمل أحكام أساسية مُنْشِئَة لوظائف أُسْنِدتْ إلى هذه السُّلطات المتعلقة بالدولة .

فإذا خالفت هذه الأخيرة الدستور فهي تمسُّ بعلَّة وجودها أصلا ، فتفقد السند الشرعي لأعمالها و بالتالي لا تكون مشروعة و لا تُلْزِمْ المخاطبين بها (6) .

إنّ مأسَسَـــة السُّلطة هو التصرف الذي بموجبه يتم نقل السلطـــــة من شخص طبيعي معين إلى مجموعـــة مؤسَّسَات و بالتالي تفادي شَخْصَنة هذه الأخيرة و إسنادها إلى إرادة المحكوميـــن و تجسيدها في دستور الدولة الذي بدوره يحدد القيم و الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع ، فينبغـــي على سلطات الدولة إحترام هذه القيم من خلال تجسيدها ميدانيا مع ضرورة الامتثال و الخضوع لأحكام الدستور الذي هو سند السلطة ، و القفص القانوني الذي يسجُن إستبدادية الحكـــام و يحدُّها و يمنعها من أي تجاوُز ، و يخُرج السلطة من ذمة ممارسيها ، بتفويضهم لمباشرة وظائف أسندها إليهم الدستور ليس بناءًا على إعتبارات ذاتية ، و إنما بوصفهم أهلا لتوليها و إدارتهـــــا كموظفين و ليست بمثابة إمتيازات لهم .

6/سمو الدستور من نتائجه تدعيم الشرعية و المشروعية في الدولة و لذلك يشكل احد ضمانات تحقيق دولة القانون .

المبحث الثاني: علاقة سمو الدستور بالقانون الدولي وبعض الأوضاع الـــداخليـــة الخاصة

يلاحظ أن مبدأ سمو و علوية الدستور يشوبه بعض النقائص و ذلك من خلال ما يتعلق بعلاقة الدستور بالقانون الدولي و منها ما يتعلق ببعض الأوضاع الداخلية الخاصة .

المطلب الأول : سمو الدستور بالنسبة للقانون الدولي

هناك تناقض بين آراء الفقهاء و شُرّاح القانون فيما يخص سمو الدستور على القانون الدولي ، فالبعض منهم يرى أن القانون الدولي أسمى من الدستور ، و من ثم على الدولة أن تلتزم بقواعد القانون الدولي و إن تطلّب الأمر مخالفة دستورها أو تكييفه حسب تلك القواعد .

إلا أن هذا الرأي مُنتقد بشدة على المستوى الفقهي و هو غير معمول به عمليا ، إلا إذا نص الدستور نفسه على ذلك ، أي بمعنى آخر يعتبر سمو الدستور على القانون الدولي قاعدة عامة رغم وجود بعض الاستثناءات .

فالقاعدة القانونية الدولية لا تلزم الدولة إلا إذا وقع قبولها ضمن القواعد الإلزامية و ذلك طبقا للإجراءات التي يقررها الدستور و هي تسمو على القوانين العادية مع بقائها خاضعة للدستور و أدنى منه في حالة المصادقة عليها .

-الاستثناءات الواردة على مبدأ سمو الدستور على القانون الدولي تأتي دائما في إطار نسبي يختلف من دولة لأخرى حسب الظروف السياسية لكل دولة ، فمثلا ألمانيا الاتحادية أقر دستورها قانون أساسي مؤرخ في 13 ماي 1949 يتمثل هذا القرار في مبادئ ديمقراطية أملاها دول الحلفاء فامتثل لها مُؤسِّسُوا ألمانيا الاتحادية ، و هذا الحالة تسمح بتصنيف الدستور الألماني من الدساتير الخاضعة للقانون الدولي ، فهو لا يتمتع بالسمو بالنسبة له ، و هناك بعض الدول الأخرى أعطت لبعض المعاهدات و خاصة تلك المتعلقة بحقوق الإنسان مرتبة مساوية للدستور أو أسمى منه مثل هولندا و إسبانيا و غيرها (7) .

7/انظر : حسني بوديار ، المرجع السابق ، ص: 100 ، 101 .

-بالنسبة للجزائر فإن المادة 123 من دستور 89 تنص على أن (المعاهدات التي يصادق عليها رئيس الجمهورية، حسب الشروط المنصوص عليها في الدستور، تسمو على القانون).

إذن فأي معاهدة أو قاعدة دولية تكون مخالفة للدستور و الشروط المحددة فيه لا يُصادِق عليها رئيس الجمهورية و بالتالي فهي لا تُلْزِمْ الجزائر ، و هذا ما أكدته المادة 158 التي تنص (أنه إذا ارتأى المجلس الدستوري عدم دستورية معاهدة أو إتفاق أو إتفاقية،فلا تتم المصادقة عليها)

المطلب الثاني : سمو الدستور بالنسبة لبعض الأوضاع الداخلية .

تحتل الدساتير المكانة الأولى في سُلّم القواعد القانونية الداخلية و هذه المكانة مؤكدة رغم وجود بعض الاستثناءات في بعض الدول ، خصوصا فيما يتعلق بالبلدان الإسلامية التي

يُطْرح فيها علاقة الدستور بأحكام القرآن الكريم و أيُّهما أسمى على الآخر ، و هل يمكن لنصوص قانونية وضعية تختلف في طبيعتها عن القرآن الكريم أو السنة النبوية أن تسمو على هاذين الأخيرين ؟؟ .

-إن الفقه الإسلامي أرْسى مبدأ على العلويّة القانونية في المجتمع الإسلامي و هو مبدأ "طاعة الحكام من قبل المحكومين " ، وفقا لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم ﴾ (8) ، و لقوله صلى الله عليه و سلم ﴿ سيليكم بعدي ولّاة ، فيليكم البَرُّ ببرّهِ ، و يَلِيكُمْ الفاجر بفُجُوره فاسمعوا لهم أطيعوا في كل ما وافق الحق ﴾ ، غير أن هذه الطاعة لا تتماشى مع الأصل فيها و هو أنه " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " .

-فشَرْعُ الله يمثل قمّة الهرم ألقيْمِي في المجتمع الإسلامي ثم تليه السنة النبوية الشّريفة ثم يلي الإجماع بإعتباره تعبيرا عن إرادة الله من خلال علماء الأمة المجتهدين .

-فالشريعة الإسلامية تعتبر مصدرا لمختلف التشريعات التي توضع تطبيقا لها و على ضوئها بما في ذلك الدستور نفسه ما دام مجرد تنفيذ و تطبيق لهذه الأخيرة مثله مثل القوانين الأخرى ، كقانون الأسرة و الأوقاف و غيرها .....الخ .

8/ انظر: القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية 59 .

6/ انظر : عمار عوابدي ، المرجع السابق ، ص : 166 .

إذن فسمو الدستور ينحصر فيما دون الدستور الإلهي و الشريعة الإسلامية ، و ذلك بعُلْويّتِهِ على مثله من القوانين الوضعية في الدولة .

-تنص المادة 4 من الدستور الإيراني 1979 على أنه (يجب أن تكون كل القوانين و المقررات المدنية و الجزائية و المالية و الاقتصادية و الإدارية و الثقافية و العسكرية و السياسية وغيرها قائمة على الموازين الإسلامية) (9) .

فحوى هذه المادة هو أنه يجب إقامة كافة النصوص القانونية في الدولة بما في ذلك مواد الدستور على أساس الموازين الإسلامية .

فربما لا يُوجد تناقض في هذه الفكرة أو بالأحْرى لا يُوجد مجال إختلاف في مدى سمو الدستور بالنسبة للشريعة الإسلامية طالما أن الدستور نفسه ينص على ضرورة الالتزام بتلك الأحكام المنبثقة عن القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، لأنه في المقابل هناك العديد من الدساتير التي تنساق إلى تعرُّضِها لهذا الإستثناء ، و من بينها الدساتير الفرنسية لسنة 1991، 1958 التي تلتزم بإحترام تطبيق إعلان حقوق الإنسان لسنة 1789، ولم تكن هذه الفكرة بمثابة إشكالٍ للإخلال بسمو الدستور أبدا .

9/ انظر: الأمين شريط ، المرجع السابق ، ص : 141

الخاتمـــــــة

يُعَدُّ الدستور بالنسبة للدولة قانونها الأساسي الذي يتضمن فلسفتها في جميع مجالات نشاطاتها و اختصاصاتها ، و من حيث أنه يحمل في طياتـــــــه مواضيع أساسية حسّاسة وعُلْويـــَّـــة بطبيعتها تمسُّ حقوق و حريات المجتمع ، و ترسُم قواعد ممارسة الحكم فيه و تُعطي مشروعية لتولي السلطة بطريقة شرعية ، فإن هذه العُلْوية المكتسبة تُلْبـــــــِسُ الدستور رداء السمو من خلال وضع ضمانـــات شكلية و موضوعية تحدِّد طبيعـــة قواعـــده و كيفية إقرارها و تعديلها و إلغائها و جوهرها ، مما يميزها عن القوانين واللوائح العادية التي تأتي و تصدر وفقا لأحكامه .

السمو الشكلي يتماشى مع الدستور الجامد ، و مبدأ سمو الدستور سيظل نظريـــا ما لم يكمله مبدأ الرقابة على دستورية القوانين كآلية من آليات الحفاظ على سيادة الدستـــور، الذي بدوره لا يتنافى مع سمو مبادئ الشريعة الإسلامية لأنه يَشْمُلُهَـــــا في قواعـــده الدستوريـــة .

قائمة المراجع :

- محمد ارزقي نجيب ،أصول القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة،دار النشر شركة دار الامة للطباعة و النشرو التوزيع ص ب 109 برج الكيفان 19120 الجزائر،الطبعة الاولى1998.

- الامين شريط ، الوجيز في القانون الدستوري و المؤسسات السياسية المقارنة ،ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون ،الجزائر ، الطبعة الثانية 2002

- حسني بوديار ، الوجيز في القانون الدستوري ، دار العلوم للنشر و التوزيع 15 حي النصر 150 مسكن الحجار ، عنابة 23200، الطبعة الثانية 2002

المؤسسات الحرفية والصناعات التقليدية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر

عمراوي طاهر

ملخص:

تعدّ المؤسسة الحرفية من المؤسسات الهامة في معظم دول العالم، وذلك لكونها تفتح الآفاق للتنشيط الاقتصادي والاجتماعي والتطوّر التكنولوجي؛ كما تعتبر أحد اللّبنات الأساسية للنسيج الاقتصادي الجزائري ومن بين ركائزه المتينة، حيث تشكّل مجالا استثماريا تنمويا هاما ظهر دوره بشكل متنامي كقطاع اقتصادي واعد وكمرتكز قاعدي لإنشاء مؤسسات صغيرة ومتوسطة في أواخر سنة 2001، وذلك بصدور القانون 01/18 المؤرخ في 2001/12/12 المتضمن القانون التوجيهي لترقية المؤسسات الصغيرة و المتوسطة

تهدف الجزائر كغيرها من الدول النامية إلى تحقيق تنمية عن طريق تطوير تشكيلة من الأنشطة الاقتصادية إلى جانب قطاع المحروقات من أجل تحسين المؤشرات الاقتصادية الكلية في الاقتصاد الوطني وتأهيله للمنافسة الدولية حيث تعتبر المؤسسات الصغيرة والمتوسطة النسيج الاقتصادي خاصة الصناعات التقليدية والحرف التي تمتلك فيها الجزائر ميزة تنافسية

اتخذت الدولة الجزائرية بهدف إنعاش المؤسسات العاملة بأنشطة الصناعة التقليدية والحرف مجموعة من الإجراءات لفائدتها، أبرزها وضع إستراتيجية شاملة وخاصة بالصناعة التقليدية والحرف صادقت عليها الحكومة في 18 جوان 2003 وعزَزتها باعتماد مقاربة **(أنظمة الإنتاج المحلية)**في قطاع الصناعة التقليدية والحرف إبتداءا من سنة 2007، كمحور لتنفيذ هذه الإستراتيجية لتنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف مندرجة في إطار إستراتيجية وطنية جديدة تقوم على التنمية الاقتصادية خارج قطاع المحروقات.

مقدمة:

كانت المؤسسات كبيرة الحجم تشكل الركيزة الأساسية في مسيرة التنمية الاقتصادية من خلال إسهامها في تحقيق معدلات نمو سريعة، إلاّ أنه وفي الوقت الحالي أصبحت المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تحظى باهتمام مخططي السياسات الاقتصادية والاجتماعية في مختلف دول العالم المتقدم منها والنامي على حد سواء وذلك انطلاقا من الدور الحيوي الذي تلعبه هذه المؤسسات في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية.

وللمؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي تنشط في مجالات الصناعات التقليدية والحرف قدرات هائلة تستطيع من خلالها تحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية، ويشكل هذا القطاع ركيزة تنموية هامة تمكن من استحداث ديناميكية اقتصادية من خلال الاستثمار فيها والتوسع في إنتاجيتها، وأن القطاع يتميز بقيمة مضافة عالية تمكنها من جلب العملة الصعبة للبلاد.

وسنحاول من خلال هذه المقالة إلقاء الضوء على مؤسسات الصناعات التقليدية والحرف ودورها كمؤسسات صغيرة في التنمية المحلية، وذلك من خلال ما يلي:

- ماهية وخصوصية المؤسسات الصغيرة.
- أهمية المؤسسات الصغيرة للصناعات التقليدية والحرف في التنمية الاقتصادية.
- وضعية المؤسسات الصغيرة للصناعات التقليدية والحرف في الجزائر.

I. ماهية وخصوصية المؤسسات الصغيرة

1. تعريف المؤسسات الصغيرة

إن تحديد مفهوم المؤسسات الصغيرة له أهمية كبيرة، إلا أن إعطاء تعريف يميزها عن المؤسسات الكبيرة يختلف من دولة متقدمة إلى دولة نامية لاختلاف الظروف الاقتصادية في كل دولة واختلاف مرحلة التنمية التي تمر بها، ويمكن إعطاء تعريف شامل كما يلي:

تعتبر المؤسسات الصغيرة "تلك المؤسسات التي تتميز بانخفاض رأس مالها وقلة العدد الذي تستخدمه من العمال وصغر حجم مبيعاتها وقلة الطاقة اللازمة لتشغيلها كما تتميز بارتباطها الوثيق بالبيئة واعتمادها على الخدمات المتوفرة محليا وعلى تصريف وتسويق منتجاتها في نفس المنطقة التي تنشأ بها والمناطق المجاورة لها"[148].

2. تقسيم المؤسسات الصغيرة

إن تداخل المصطلحات بين المؤسسات والصناعات الصغيرة المختلفة أدى إلى عرض تقسيم المؤسسات الصغيرة في الشكل الموضح أدناه:

[148]- **نبيل جواد**، إدارة وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، الطبعة الأولى، الجزائرية للكتاب، الجزائر، 2006، ص 29.

الشكل (1): تقسيم المؤسسات الصغيرة

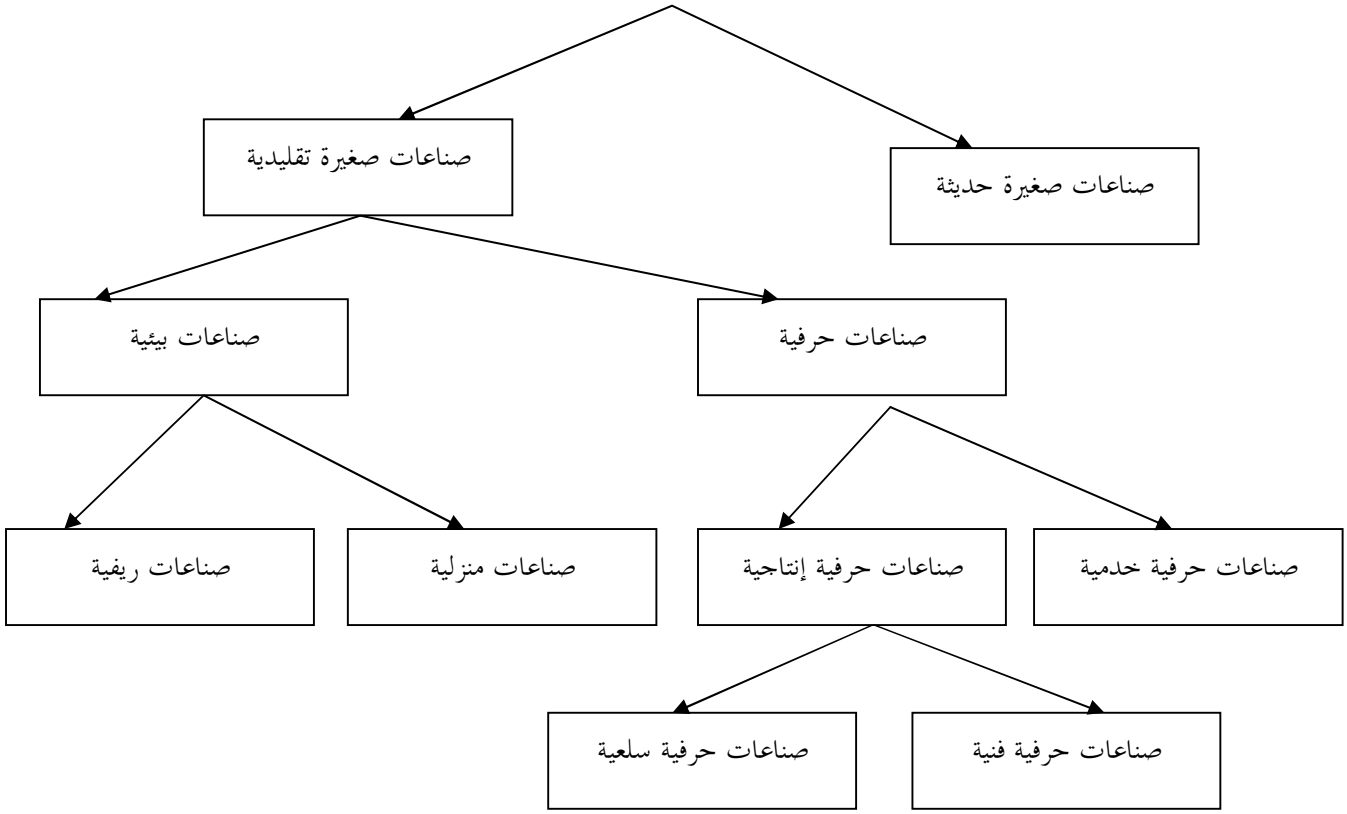

المصدر: فتحي السيد عبده أبو السيد أحمد، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2005، ص44.

من خلال الشكل فإن المؤسسات الصغيرة تنقسم إلى:

1) صناعات صغيرة حديثة: تعتمد على التكنولوجيا خاصة من ناحية التنظيم والإدارة.
2) الصناعات الصغيرة التقليدية: يغلب عليها الطابع اليدوي وتعتمد على المجهود الفردي والمهارات المكتسبة وتنقسم إلى نوعين:

1. الصناعات الحرفية: حيث يتم فيها إنتاج أو تحويل أو ترميم منتج حرفي يغلب عليها الطابع اليدوي والذوق الفني والإبداع. وتنقسم إلى:

أ- صناعات حرفية خدمية:تقدم من خلالها خدمات مثل خدمات الصيانة.

ب- صناعات حرفية إنتاجية[149]:وهي الصناعات التي تقوم بإنتاج معين عن طريق استغلال الخامات الموجودة في البيئة وتحويلها إلى سلع ومنتجات مختلفة لإشباع احتياجات الأفراد،كما يتجه جزء كبير منها إلى التصدير والذي ينقسم إلى صناعات حرفية فنية التي غالبا ما تكون متوازنة وتحتاج إلى تدريب خاص ثم الصناعات الحرفية السلعية التي تنتج المنتجات التي تشبع احتياجات الأفراد من السلع الأساسية مثل المخابز ومنتجات الألبان وهي لا تتطلب درجة عالية من المهارة لإنتاج منتج معين يتمتع بقيمة فنية معينة.

149- فتحي السيد عبده أبو السيد أحمد،الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية، مرجع سابق، ص 46.

2. الصناعات البيئية: تعتمد هذه الصناعات على البيئة المحيطة بها وتنقسم إلى نوعين[150]:

أ- صناعات منزلية: وهي الصناعات التي تقوم غالبا على ممارسة حرفة متوازنة كانت تمارس قديما و لم تحول إلى سلعة متطورة ولكن احتفظت بقيمتها الفنية خاصة وأنها تعتمد على المهارات اليدوية النادرة وتتبع الأساليب التقليدية المتوازنة وتنتشر في الريف والحضر ويغلب عليها الطابع العائلي وتتم داخل المنزل وتعمل على تحويله إلى وحدة إنتاجية ويقوم بالصناعات الإنتاجية جميع أفراد الأسرة مثل الحياكة.

ب- صناعات ريفية: تقوم على استغلال موارد البيئة من الخام المختلفة حيث تقام في المناطق الريفية وتحتاج إلى تدريب بسيط وتعتمد على الأسلوب اليدوي وتعتبر عملا ثانويا بجانب نشاط الزراعة وتدر عليهم دخلا إضافيا مثل صناعة السجاد وعسل النحل.

3. خصائص المؤسسات الصغيرة

على الرغم من اختلاف تعريف المؤسسات الصغيرة إلاّ أنها تتمتع بمجموعة من الخصائص والمميزات التي تجعل منها وسيلة هامة للمساهمة في تنمية اقتصاديات الدول ومنها:

- ضآلة التكاليف الرأسمالية اللازمة للبدء في المشروع مما يجعلها سهلة الإنشاء والتنفيذ؛
- الميزة الانتشارية ما يجعلها تغطي مناطق مختلفة وأعداد كبيرة من السكان؛
- كثيفة العمالة بحيث تساهم في توفير المزيد من فرص العمل؛
- ملكية فردية أو عائلية أو شركات الأشخاص ما يجعلها أكثر جذبا للاستثمارات الصغيرة؛
- سهولة الدخول في السوق والخروج منه؛
- استغلال الطاقة الإنتاجية نظرا لإمكانية السيطرة والتحكم في عناصر الإنتاج وتوفر مستلزماته وعدم تعقيد العملية الإنتاجية؛
- محدودية متطلبات التكنولوجيا والتطوير والتوسيع والتحديث؛
- الأثر المباشر للعائد في توفير الحاجات الأساسية لمالكيها؛
- الاعتماد على المواد الأولية المحلية ؛
- تلبية طلبات المجتمع المحيط وخلق تنمية متوازنة؛
- الدور البارز للمرأة فيها ودمجها في النشاط الاقتصادي.

II. أهمية المؤسسات الصغيرة للصناعات التقليدية والحرف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

يمكن للمؤسسات الصغيرة خاصة الصناعات التقليدية والحرف أن تساهم بشكل فعال في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك من خلال تأثيرها على بعض المتغيرات الاقتصادية الكلية مثل إجمالي الناتج المحلي، الاستهلاك، العمالة، الادخار والاستثمار والصادرات. إضافة إلى مساهمتها في تحقيق عدالة التنمية الاجتماعية

[150]- نفس المرجع السابق، ص ص 46-47.

والإقليمية، و تحقيق التكامل بين المؤسسات الصغيرة ومتوسطة وكبيرة الحجم، وتنويع وتوسيع هيكل الإنتـــاج ، كما تتمثل أهميتها في قدرتها على التكيف في المناطق النائية الأمر الذي يمكنها من الحد من ظاهرة البطالة الريفيـــة والهجرة من الريف إلى المدينة عن طريق تثبيت السكان في أماكن إقامتهم الأصلية، و مكافحتها للفقر والعوز من خلال وصولها إلى صغار المستثمرين من الرجال والنساء.

1. التنمية الاقتصادية

يقصد بالتنمية الاقتصادية بناء أنشطة اقتصادية تزيد من الطاقات الإنتاجية وتؤدي إلى زيادة الإنتاج الفعلي من السلع والخدمات التي تحقق منفعة الفرد والمجتمع [151].

إذا كانت التنمية عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية تؤدي إلى التغلـــب على مظاهر التخلف وتمكن الفرد من التفاعل مع بيئته والتحكم فيها إلى الحد ما. فإن ثمة حاجة إلى توسيع أهداف التنمية بحيث لا تقتصر على النمو السريع للناتج القومي الإجمالي وإنما تشمل خلق فرص عمل واستئصال الفقـــر وتحسين توزيع الدخول والوفاء بالاحتياجات الأساسية، وتحقيق التنمية الاجتماعية، وزيادة الطاقات الإنتاجية هي بالتالي زيادة القدرة على إنتاج السلع والخدمات ويتحقق ذلك بعدة طرق كالآتي [152]:

- إقامة مشروعات إنتاجية جديدة تنتج سلعا وخدمات مفيدة للمجتمع؛
- التوسع في مشروعات إنتاجية قائمة تنتج سلعا وخدمات مفيدة للمجتمع وهناك توسع أفقي بزيـــادة كميات السلع أو الخدمات التي تنتجها وإنتاج أنواع جديدة، وتوسع رأسي بتحسين نوعية المنتجات؛
- زيادة قدرات ومهارات الأفراد المنتجين، و هذا ما يؤدي إلى زيادة الكميات التي يمكنـــهم إنتاجهـــا خلال ساعات العمل حتى تزيد سرعتهم وتقل أخطاؤهم.

حيث أن لإقامة مشروعات إنتاجية والبحث عن توسيعها يتطلب اكتشاف احتياجات المجتمع والتوجه نحو إنتاج السلع والخدمات اللازمة لإشباعها في شتى النشاطات سواء تجاريا أو زراعيا أو صناعيا أو خدماتيا كلـــها تخلق مشروعات إنتاجية تزيد من الطاقات الإنتاجية المحلية بتكامل هذه النشاطات يؤدي إلى تحقيق التنمية.

2. الأهمية الاقتصادية والاجتماعية للمؤسسات الصغيرة

إن للمؤسسات الصغيرة أهمية في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية خاصة الصناعات التقليدية والحرف و التي تمثل النسيج الاقتصادي للدول.

1) الأهمية الاقتصادية للمؤسسات الصغيرة في التنمية:

أ- مساهمة المؤسسات الصغيرة في توفير مناصب الشغل:

تتيح المؤسسات الصغيرة العديد من فرص العمل وتستقطب العمالة ممن لم يتلقوا التـــدريب والتكـــوين المناسبين. والتخفيف من حدة مشكلة البطالة التي تعاني منها معظم الدول، وذلك بتكلفة منخفضة نسبيا مقارنـــة بتكلفة خلق فرص العمل بالصناعات الكبرى، وهذا ما يخفف من العبء على ميزانيات الدول.

---

[151]- حمدى حناوي، تنظيم المشروعات الصغيرة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006، ص 101.
[152]- حمدى حناوي، تنظيم المشروعات الصغيرة، مرجع سابق، ص 102.

وقد أشارت دراسات الجدوى لهذا النوع من المؤسسات إلى انخفاض تكلفة فرص العمل في هذه الصناعات مما يعني قدرة تلك المؤسسات على إتاحة فرص عمل أكثر من غيرها. كما أنها تستخدم فنونا إنتاجية أكثر تكثيفا للعمل ومن هنا تتميز بارتفاع نسبة العمل إلى رأس المال. كما أنها لا تحتاج إلا إلى تدريب بسيط وسريع للعامل العادي[153].

ب- مساهمة المؤسسات الصغيرة في تعبئة المدخرات[154]:

تقوم المؤسسات الصغيرة باستقطاب فوائد الأموال والمدخرات الصغيرة كون تكاليف إنشاء هذه المؤسسات لا تحتاج لرؤوس أموال ضخمة من جهة وانخفاض درجة المخاطرة في الاستثمارات الصغيرة من جهة أخرى.

ج- مساهمة المؤسسات الصغيرة في تنمية الصادرات:

تساهم المؤسسات الصغيرة باستخدام أفضل أنواع الفنون الإنتاجية في التصدير مباشرة وذلك بإنتاج السلع التي تتجه للتصدير. وتنويع هيكل الصادرات عن طريق دعم وتشجيع هذه المؤسسات وتوفير المساعدات الفنية والتنظيمية لها ومدها بالمعلومات عن احتياجات الأسواق الخارجية.

د- مساهمة المؤسسات الصغيرة في تحقيق التنمية الصناعية المتكاملة:

تلعب المؤسسات الصغيرة دورا هاما في نجاح المؤسسات الكبيرة حيث تمدها باحتياجاتها وتغذي خطوط التجميع فيها وتقوم بدور الموزع والمورد لهذه المؤسسات فهي تعتبر كمؤسسات مغذية للمؤسسات الكبيرة.

وعندما يكون الطلب محدودا على إحدى المنتجات يصبح من الضروري أن يتم الإنتاج على نطاق صغير، وبالتالي يصبح من الضروري وجود المؤسسات الصغيرة، محدودة الحجم بجوار الصناعات الكبيرة من أجل تنويع الهيكل الصناعي[155]. حيث إن إقامة تجمعات تضم المؤسسات الصغيرة تؤدي إلى التكامل الأفقي والرأسي سواء في المجالات الفنية أو الإنتاجية أو التسويقية.

ففي اليابان مثلا تتبع الشركات الكبيرة العملاقة نظاما يعرف باسم نظام الشركات التابعة satellite system حيث تحيط الشركة الأم نفسها بعديد من المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة، تقوم بمدها بكل مستلزماتها من المواد والأجزاء المصنعة وغيرها من مستلزمات الإنتاج، وفق مواصفات وإجراءات محددة، وجداول زمنية غاية في الدقة والانضباط[156].

ه- مساهمة المؤسسات الصغيرة في تحقيق التنمية الإقليمية:

تحقيق التوازن الجغرافي لعملية التنمية، حيث تتسم المؤسسات الصغيرة خاصة الصناعات التقليدية والحرف بالمرونة في التوطن والتنقل بين مختلف المناطق والأقاليم، الأمر الذي يساهم في خلق مجتمعات إنتاجية جديدة في المناطق النائية والريفية، وإعادة التوزيع السكاني، والحد من الهجرة إلى المدن الكبرى.

---

[153]- نهى إبراهيم خليل إبراهيم، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية الاقتصادية والسياحية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص 28.

[154]-نبيل الجواد، إدارة وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مرجع سابق، ص 93.

[155]- نهى إبراهيم خليل إبراهيم، مرجع نفسه، ص 37.

[156]- عبد العزيز جميل مخيمر، أحمد عبد الفتاح عبد الحليم، دور الصناعات الصغيرة والمتوسطة في معالجة مشكلة البطالة بين الشباب في الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2005، ص 88.

إن المؤسسات الصغيرة بما تتميز به من ندرة على التوطن والانتشار الجغرافي يمكن أن تلعب دورا كبيرا في التنمية الإقليمية وجعلها تتمتع بمرونة أكبر من غيرها في اختيار أماكن توطنها.

فهي تتطلب القليل من البنية الأساسية وخاصة الصناعات التقليدية منها، وهي قادرة على تصريف منتجاتها في الأسواق الصغيرة المتجاورة ومتطلباتها حتى تكون عادة محدودة، فضلا عن أنها قادرة على الاستفادة من المناطق التي تتركز فيها كميات محدودة من المواد الخام والمستلزمات الإنتاجية الأخرى ومن الضروري أن نؤكد على أن دور المؤسسات الصغيرة في التنمية يجب أن يحدد في الإطار العام لدور القطاع الصناعي في التنمية وليس في معزل عنه[157].

و- مساهمة المؤسسات الصغيرة في تطوير التكنولوجيا وتنمية المواهب والإبداعات:

تحقق المؤسسات الصغيرة عدد من الابتكارات والإبداعات وذلك بترسيخ الخبرات الفنية من خلال الممارسة الطويلة للعاملين بها ويؤدي الإبداع إلى إتقان كفاءة الاختراع ويساهم بذلك في التقدم التكنولوجي، حيث تساعد على مد السوق بالكوادر الغنية التي تشكل رأس المال البشري.

2) الأهمية الاجتماعية للمؤسسات الصغيرة في التنمية:

إلى جانب الأهمية والدور الاقتصادي الذي تلعبه المؤسسات الصغيرة في إحداث تنمية اقتصادية مستقلة، لا يقف عند هذا الحد لكن الهدف من المؤسسات الصغيرة هو تحقيق التنمية الشاملة، حيث تنتشر هذه المؤسسات في أرجاء البلاد، هذا ما يمكنها من التأثير في سلوك الأفراد وتفكيرهم وعاداتهم، واستغلال الوقت الضائع الذي ينجم عنه آفات اجتماعية سيئة. ومنه تتضح أهمية الصناعات الصغيرة اجتماعيا من خلال ما يلي:

أ- تدعيم دور المشاركة الوطنية في تنمية الاقتصاد الوطني[158]:

تعد هذه المؤسسات إحدى وسائل تدعيم المشاركة الوطنية في تنمية الاقتصاد القومي لأنها تعتمد على رؤوس الأموال الوطنية ومدخرات صغار المدخرين للاستثمار فيها، ومن ثم فإنها تعد من الوسائل التي ترفع من مستوى مشاركة أفراد المجتمع في التنمية وتساهم في إعداد الوطنيين الصناعيين وتكوين مجتمع صناعي من الحرفيين.

ب- التخفيف من المشكلات الاجتماعية[159]:

ويتم ذلك من خلال ما توفره هذه المؤسسات في مناصب الشغل سواء صاحب المؤسسة أو لغيره وبذلك تساهم في حل مشكلة البطالة، وما تنتجه من سلع وخدمات موجهة إلى الفئات الاجتماعية الأكثر حرمانا وفقرا وبذلك توجد علاقات للتعامل مما يزيد الإحساس بأهمية التآزر والتآخي بصرف النظر عن الدين واللون والجنس، إن المؤسسات الصغيرة أقدر على احتواء مشكلات المجتمع مثل البطالة والتهميش، والفراغ وما يترتب عليهم من آفات اجتماعية خطيرة عن طريق منحهم مناصب عمل قادرة تؤمن لهم الاستقرار النفسي والمادي.

ج- رفع مشاركة الإناث في النشاط الاقتصادي:

---

[157]- فتحي السيد عبده أبو السيد أحمد، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية، مرجع سابق، ص 75.

[158]- فتحي السيد عبده أبو السيد أحمد، مرجع نفسه، ص 76.

[159]- **رابح خوني، رقية حساني**، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ومشكلات تمويلها، الطبعة الأولى، ايتراك، مصر، 2008، ص54.

إن نسبة الإناث في المؤسسات الصغيرة للصناعات التقليدية والحرف مرتفعة لأنها تتطلب عمالة نسائية، وهذا ما يساعد على استغلال طاقاتهن والاستفادة من أوقات فراغهن وزيادة دخلهن ورفع مستوى معيشتهن، ويدعم مشاركتهن في النشاط الاقتصادي.

د- تكوين نسق قيمي متكامل في أداء الأعمال[160]:

تعمل المؤسسات الصغيرة على خلق قيم اجتماعية لدى الأفراد وأهمها الانتماء في أداء العمل الحرفي إلى نسق أسري متكامل وذلك في الحرف والتي يتوارثها الأجيال حيث يبدأ الفرد في اكتساب القيم التي تلقي إليه منذ مراحل الطفولة وحتى تمارس في داخل إطار الأسرة الواحدة الأمر الذي يترتب عليه تكوين فئة من العمالة المنتجة و التي تعمل في النسق الواحد والمؤسسات الصغيرة خاصة الحرفية أو التقليدية والبيئة يمكن أن تدعم هذا النسق الأسري المتكامل ويمكن أن تحقق ذلك على مستوى الأقاليم المختلفة حيث تنتشر هذه المؤسسات فيتكون بذلك النسق الاجتماعي المتكامل في أداء الأعمال الصغيرة على مستوى المجتمع كله.

ه- إشباع رغبات واحتياجات الأفراد[161]:

إن المؤسسات الصغيرة فرصة للأفراد لإشباع حاجاتهم ورغباتهم من خلال التعبير عن ذاتهم وترجمة أفكارهم وخبراتهم وتطبيقها من خلال هذه المؤسسات فهي أداة لتحقيق الذات لدى الأفراد وتحقيق الإشباع النفسي وتحقيق القوة والسلطة.

III. وضعية المؤسسات الصغيرة للصناعات التقليدية والحرف في الجزائر.

إن التحول الذي عرفته السياسة الاقتصادية في الجزائر بداية من العشرية الأخيرة من القرن العشرين، أفرزت تغيرات هامة خاصة في هياكل الاقتصاد الوطني، فبعد التجارب غير الناجحة في مجال تنظيم وتسيير المؤسسات، أعطت الدولة مجالاً أوسع ودعمًا لنمو وترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ويظهر من ذلك خلال إنشاء هياكل تهتم ببرامج أعدت خصيصًا لدعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في قطاعات اقتصادية متعددة، كما أبدت السلطات الجزائرية اهتماما بتطوير منظومة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة من أجل تفعيل دورها في تحقيق التنمية الاقتصادية.

حيث تعتبر الصناعات التقليدية من الصناعات المصغرة والتي تمتلك فيها الجزائر ميزة، كون أنها تنطلق من بيئة محلية وبالتالي فهي خاصة جدًا من حيث نوع المنتج.

1. الدور المرتقب للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تنمية الاقتصاد الوطني:

إن تجربة الجزائر في التنمية الصناعية لفترة السبعينات من القرن الماضي فشلت بسبب الاعتماد على بناء المؤسسات الكبيرة التي تعتمد على استيراد التجهيزات الرأسمالية المتطورة حتى يتسنى لها إحلال الواردات وتحقيق التراكم الصناعي لدفع عجلة التنمية الصناعية، ونفس الشيء بالنسبة إلى الصناعات المتخصصة في الإنتاج من أجل التصدير، يعزى هذا الفشل إلى أن الإنتاج أصبح يتحدد كميته (الحجم) ونوعيته (الجودة) ومعدلات نموه طبقًا

[160]- **فتحي السيد عبده أبو السيد أحمد**، الصناعات الصغيرة و دورها في التنمية، مرجع سابق، ص 77.
[161]- رابح خوني، رقية حساني، المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و مشكلات تمويلها، مرجع سابق، ص 54.

لاتجاهات الطلب الخارجي، على غرار أن التكنولوجيا المستخدمة في الإنتاج مستوردة، إلى جانب أن فرص العمل محدودة بالنظر للكثافة الرأسمالية المرتفعة في الأدوات الإنتاجية المستعملة، حيث يمثل القطاع الصناعي في النظام الاقتصادي السابق محور الخطط التنموية للبلاد، إلا انه تأثر بشكل كبير مع التحولات التي شهدتها الجزائر مع بداية الثمانينات من القرن الماضي جراء عدم تحديث القطاع مع التطورات التكنولوجية والإدارية والعالمية، والسبب الذي جعله ينهار ويوجه نحو الخوصصة التي تأخرت كثيرًا في إنقاذه، وقد توجهت الجزائر حديثًا إلى بعث القطاع الاقتصادي من خلال الاستثمار الخاص المحلي أو الأجنبي وكذلك دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة للمشاركة في تنمية القطاع[162].

تعتبر عملية التنمية الصناعية هدف تسعى إلى بلوغه الحكومة الجزائرية، مما دفع إلى إنشاء المؤسسات الإنتاجية سواء الكبيرة أو الصغيرة والمتوسطة، وذلك بغية الاستغلال العقلاني للموارد المادية والبشرية المتاحة، إلى جانب تنويع هيكل الاقتصاد الوطني بدل الاعتماد على المحروقات كمصدر أساسي للخزينة، سيما مع برمجة إنشاء 200 ألف مؤسسة أخرى من خلال المخطط الخماسي (2010/2014).

يرجع اهتمام الجزائر بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة إلى الدور الذي يمكن أن تؤديه في التنمية الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء، وذلك من خلال مساهمتها في:

- تنويع مصادر الدخل، من خلال إنتاج السلع البديلة للواردات إمداد المشروعات الكبيرة بما تحتاجه من مدخلات إنتاج فضلا عن إمكانية توسيع الأنشطة التصديرية لهذه المنشآت خاصة الصناعات التقليدية والحرف، ومساهمتها في الناتج المحلي؛
- توفير فرص العمل للمواطنين وتقليل مشكلة البطالة حيث توفر الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر حوالي 16 % من إجمالي عدد مناصب الشغل التي يوفرها قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛
- خلق هيكل صناعي متكامل قادر على جذب الاستثمارات المحلية والأجنبية؛
- تؤدي المؤسسات الصغيرة والمتوسطة إلى توسيع الوعاء الضريبي ومنه تحقيق مداخيل إضافية لخزينة الدولة، توجه إلى تحسين الهياكل القاعدية وتدعيم الاستثمار الداخلي، ونلاحظ أنه خلال السنوات الأخيرة أصبح مساهمة القطاع الخاص في رفع مداخيل الخزينة من خلال الضرائب المباشرة وغير المباشرة؛
- تحسين المستوى المعيشي للأفراد وذلك من خلال توفير المداخيل للأفراد، وهذه المداخيل ستترجم إلى طلب إضافي في السوق ومنه تحقيق الانتعاش الاقتصادي، أما الجزء الذي لا يستهلك من الدخل يوجه إلى الادخار ومنه توفير مصادر إضافية لتمويل الاستثمار.

[162]- قدي عبد المجيد، المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و المناخ الاستثماري، الملتقى الوطني الأول حول: المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و دورها في التنمية، الاغواط، 9/8 أفريل 2002.

2. واقع المؤسسات الصغيرة للصناعات التقليدية والحرف في الجزائر:

بعد تطبيق الإصلاحات الاقتصادية أصبح للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة مكانة في الاقتصاد الجزائري، حيث أن أغلبية هذه المؤسسات تصنف ضمن المؤسسات المصغرة والتي تضم أقل من 10 عمال كما تتميز بطابعها العائلي وتمثل أكثر من 90 % من مجموع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

حيث تمثل أغلب الصناعات المصغرة في الصناعات التقليدية والحرف. وتتمتع هذه الصناعات في الجزائر بتشكيلة متنوعة جدا من الفروع أهمها: صناعة الزرابي والنسيج، الحلي التقليدية، الفخار الفني والتقليدي، صناعة الجلود، صناعة النحاس، الخياطة والطرز التقليدي.

ويمتلك قطاع الصناعات التقليدية في الجزائر قدرات هائلة كصناعة تساهم في تفعيل الآليات الاقتصادية خاصة التنمية المحلية التي تهدف إلى تشغيل اليد العاملة للمنطقة وتحقيق إيرادات تمول التنمية.

لقد بلغ سنة 2008 إجمالي عدد النشاطات الحرفية والتقليدية حسب تصريحات 31 غرفة للصناعات التقليدية والحرف 126887 نشاط حرفي أي ما نسبته 24.42% من إجمالي عدد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر[163].

حيث تتميز الصناعات التقليدية الوطنية بميزتين[164]:

- يعتبر منتجا فريدا ومتميزا ينتج من بيئة محلية خاصة بمكوناتها الطبيعية والثقافية والاجتماعية، وهذا ما يسمح للمنتج أن يضع ضمن معايير مرتبطة بمعرفة مميزة وإبداع محلي ينتج عنه تصاميم منفردة ذات ميزة تنافسية من حيث النوعية (التصميم – الألوان – والرمزية).
- يتميز المنتج التقليدي الجزائري بتنوع كبير في تشكيلة المنتجات التقليدية التي استطاعت مثيلاتها في دول أخرى أن تخلق لنفسها أسواق دولية، مثل صناعة الزرابي، صناعة الحلي التقليدية في ايطاليا بشكل خاص، صناعة الخزف في الصين، وتملك هذه الأسواق حصة معتبرة في مجموع المبادلات الدولية.

3. صعوبات استمرارية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة للصناعات التقليدية والحرف في الجزائر

بالنظر لدورة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالجزائر، نجد أن هذا القطاع مازال لا يحقق المساهمة الفعالة المتوقعة منه كقطاع اقتصادي فعال وعنصر محفز لدفع عجلة التنمية، حيث تعترض الصناعات التقليدية والحرف مجموعة من الصعوبات تحد من قدرته التنافسية، وتعود بعض هذه الصعوبات إلى طبيعة الصناعة في حد ذاتها والبعض الآخر يعود إلى عدم توفير الظروف الملائمة لترقية فعلية لهذا القطاع على المستوى الدولي ومن هذه الصعوبات ما يلي[165]:

- تعاني ورشات الصناعات التقليدية صعوبات في إنتاج الكميات والنوعيات التي تتوافق مع المعايير الدولية؛

---

[163]- لفقير حمزة، تقييم البرامج التكوينية لدعم المقاولة مع دراسة حالة برنامج CREE GERME المعتمد في غرفة الصناعات التقليدية والحرف- سطيف-، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة بومرداس، 2008 / 2009، ص ص 99-100.

[164]- موسى رحماني، بوزاهر نسرين، التعاون الوظيفي و دوره في تأهيل المؤسسات المصغرة للصناعات التقليدية في الجزائر، الملتقى الدولي حول: متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة و المتوسطة في الدول العربية، 18/17 أفريل 2006.

[165]- موسى رحماني، بوزاهر نسرين، التعاون الوظيفي و دوره في تأهيل المؤسسات المصغرة للصناعات التقليدية في الجزائر، مرجع سابق.

- تنشط ورشات الصناعات التقليدية في نوع معين من العزلة ونظرا لتمركزها في المناطق النائية وابتعادها عن المناطق ذات النشاط الصناعي والتجاري الكبير، وعدم الاحتكاك بالمراكز والهياكل التي من شأنها أن تساهم في تدعيم هذه الصناعات؛
- نقص المعرفة لدى صاحب العمل من حيث طرق الإنتاج والتكنولوجيا المستعملة في هذا المجال، والتوجهات الحديثة في التصاميم وطرق الإبداع والتجديد لاختراق أسواق جديدة؛
- صغر حجم الورشات يؤدي إلى صعوبة في التخزين والنظافة ويؤثر على صحة الحرفيين؛
- يتم تسويق المنتج التقليدي داخليا أو خارجيا عن طريق وسطاء تجاريين وبالتالي يغيب عن صاحب العمل المعرفة الكافية حول آليات التسويق والقنوات الأنسب لتوزيع منتجه، والفرص المتاحة أمامه؛
- نقص طرق التمويل المكيفة لطبيعة هذه الصناعة حيث أن الحرفي ينتمي في الغالب إلى بيئة اجتماعية وثقافية بسيطة ومحافظة وبالتالي لا يحبذ التعامل مع البنوك، بل يتم الاعتماد على التمويل الذاتي الذي لا يتعدى مداه المحيط العائلي؛
- المشكل الذي يفرض نفسه بشدة هو مشكل التموين بالمواد الأولية حيث أن صاحب العمل لا يتحصل على المادة الأولية إلا عن طريق وسيط أو أكثر، مما يؤدي إلى ارتفاع تكلفتها وبالتالي تكلفة المنتج فيما بعد، وكذلك عدم التعامل المباشر مع المورود الأساسي، مما يسمح بالقيام بالاختيار الأنسب للنوعية المناسبة؛
- تتجمع ورشات الصناعات التقليدية لنفس المنتج عادة في نفس المكان، نظرا لارتباطها بهذه البيئة وكذلك لعدم وجود نشاط سياحي على المستوى الوطني يساعد على الانتشار الجغرافي لهذه الصناعات، مما يقلص من حصص الورشات التقليدية نتيجة ضيق السوق.

إن هذه الصعوبات تعاني منها الصناعات المصغرة التقليدية في الجزائر فتؤثر سلبا على استمرارية الصناعة إذا لم يتم إيجاد صيغ تدعم بطريقة فعالة وضعية الحرفيين في الجزائر.

الخاتمة:

تمثل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة النسيج الاقتصادي الذي أصبح كمحرك لعجلة التنمية في الاقتصاد الوطني لأي دولة من دول العالم، بعد أن كان الاعتقاد السائد أن المؤسسات الكبرى هي التي تمكن من تحقيق التنمية.

وبالنظر لدور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية بالجزائر، خاصة منها الصناعات التقليدية والحرف التي تمتلك فيها ميزة، نجد أن هذا القطاع مازال لا يحقق المساهمة المتوقعة منه كقطاع اقتصادي فعال وعنصر محفز لدفع عجلة التنمية وكمحرك تصديري خارج قطاع المحروقات، حيث تعترض هذه المؤسسات بعض العقبات والصعوبات، وهو الأمر الذي يجعلنا نورد بعض التوصيات كما يلي:

- تخصيص مبالغ مالية وبرامج إنعاش اقتصادي لتطوير وتمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة خاصة الصناعات التقليدية والحرف؛
- مرافقة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتفعيل دورها ودعمها؛
- يجب أن تلعب الجماعات المحلية دورا هاما في ترقية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، بحيث عليها التنسيق مع الهيئات المركزية على جلب ورصد التمويلات الممنوحة لمختلف القطاعات الاستثمارية في إطار التعاون بين الولايات من أجل توسيع وترقية نسيج المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛
- نظرا للمنافسة الشديدة للمنتجات الأجنبية التي تتميز بالجودة العالية فعلى المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجزائرية الاعتماد على التجديد والابتكار وإدخال التكنولوجيا الحديثة في العملية الإنتاجية والتحكم في السعر والجودة؛
- لإعطاء دور حيوي للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الاقتصاد الوطني يجب إعداد إستراتيجية واضحة مبنية على أساس من الواقعية من أجل تمكينها من ممارسة نشاطها في أحسن الظروف.

المراجع

- نبيل جواد، إدارة وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، الطبعة الأولى، الجزائرية للكتـــاب، الجزائـــر، 2006،.
- حمدى حناوي، تنظيم المشروعات الصغيرة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006،
- نهى إبراهيم خليل إبراهيم، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية الاقتصادية والسياحية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009، ص 28.
- نبيل الجواد، إدارة وتنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة،
- عبد العزيز جميل مخيمر، أحمد عبد الفتاح عبد الحليم، دور الصناعات الصغيرة والمتوســـطة في معالجـــة مشكلة البطالة بين الشباب في الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2005
- فتحي السيد عبده أبو السيد أحمد، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية،
- رابح خوني، رقية حساني، المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و مشكلات تمويلها
- قدي عبد المجيد، المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و المناخ الاستثماري، الملتقى الـــوطني الأول حـــول: المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و دورها في التنمية، الاغواط، 9/8 أفريل 2002.
- لفقير حمزة، تقييم البرامج التكوينية لدعم المقاولة مع دراسة حالـــة برنـــامج CREE GERME المعتمد في غرفة الصناعات التقليدية والحرف-سطيف-، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة بومرداس، 2008 / 2009
- موسى رحماني، بوزاهر نسرين، التعاون الوظيفي و دوره في تأهيل المؤسسات المصـــغرة للصـــناعات التقليدية في الجزائر، الملتقى الدولي حول: متطلبات تأهيل المؤسسات الصغيرة و المتوســـطة في الـــدول العربية، 18/17 أفريل 2006

مفهوم الدولـــة وأصل نشأتها

كرمة عبد العزيز الغويني

مقدمة:

مُنْذُ أن وُجد الإنسان على هذه الأرض وهو يسعى نحو الأفضل و الأحسن و قد إضطره هذا السعي إلى الخروج من حياة الكهوف و الوحدانية و العزلة إلى الحياة الإجتماعية، وهذه الطبيعة البشرية التي تكتسي نفسية الإنسان ككائن حي و تدفعه إلىحياة الجماعة،فرضت عليه بدورها أن يكون الإنسان إجتماعيا بطبعه لا يمكن له العيش بمفرده، أو العزلة عن أسرته، و هذه الأخيرة تطورت عبر التاريخ وخرجتمن نطاق الأسرة إلى العشيرة والقبيلة ثم إلى المجتمع الإنساني ، فإزدادت بالتالي الحاجيات و المصالح وتشعبت متطلبات كل فرد مع الآخر، و نزولا عند ميل الإنسانإلى حب التسلط والسيطرة والإمتلاك و تفضيل مصالحه على الغير مما أدى به إلى الدوس على حقوق الأفراد، اقتضى الأمر وجود نوع معين من التنظيم ، خُلقت من خلال هذا التنظيم تقاليد معينة تساعده على الحفاظ على اللبنة و الرابطة لتلك العلاقات التي تربط بين أفراد هذا المجتمع الإنساني من جهة ، و من جهة أخرى السعي وراء تنظيمها و بلورتها من خلال التكتلات و مجموعات الأفراد الذين جمعتهم البيئة والزمان في آن واحد .

و من المتفق عليه أيضا أنه يجب أن تحكم هذا التنظيم الذي هو ضروري للتوافق والعيش ضمن مجتمعات، سلطة سياسية تقسم المجتمع إلى حاكمين و محكومين، وعلى مرالعصور ظهرت عدة سمات تماشت و مقتضيات كل عصر حددت نطاق السلطة ومداها و توفرت أركان عدة تتمثل في الشعوب و الأقاليم و السلطات الإجتماعية و السياسية و ظهر مدلول الدولة الذي هو محل مناقشتنا في هذا الموضوع.

و من هنا وجب علينا الوقوف عند التطرق للدولة من كل مفاهيمها و تناولها شرحا وتفسيرا، **فما المقصود بالدولة ؟ وما هي خصائصها ؟.و ما أصل نشأتها؟**

المبحث الأول : مفهوم الدولة و خصائصها

المطلب الأول : تعريف الدولة

اتفق فلاسفة السياسة من خلال الدراسات السياسية و القانونية للدولة على أن الدولة هي الذروة التي تتوج البنيان الاجتماعي الحديث حيث تكمن طبيعتها التي تنفرد بها في السيادة على جميع أشكال التجمعات الأخرى ، إلا أن هذه الأخيرة أي الدراسات السياسية لاقت صعوبات بين علماء القانون و السياسة نزولا عند مفهوم الدولة و صعوبة الإحاطة بظواهرها السياسية .

الفرع الأول : المعنى اللغوي و السياسي و القانوني للدولة

اتفق فلاسفة السياسة من خلال الدراسات السياسية و القانونية للدولة على أن الدولة هي الذروة التي تتوج البنيان الاجتماعي الحديث حيث تكمن طبيعتها التي تنفرد بها في السيادة على جميع أشكال التجمعات الأخرى ، إلا أن هذه الأخيرة أي الدراسات السياسية لاقت صعوبات بين علماء القانون و السياسة نزولا عند مفهوم الدولة و صعوبة الإحاطة بظواهرها السياسية.

فيظهر لنا المعنى اللغوي للدولة على أنه : عدم الثبات و عدم الإستقرار و الوقوف على وضع معين غير متغير ، بمعنى التناوب و التبادل و التداول المستمرين.

والحقيقة أن الجانب التأصيلي لكلمة الدولة هو مستمد من status و هي كلمة لاتينية تعني استقرار حالة و ثباتها والوقوف على وضع معين غير متغي.

و في القرن السادس عشر أقترن هذا المصطلح بالقانون الطبيعي و الوضعي، و أندمج الاثنان ، و ذلك في عصر الحكم الملكي المطلق ، و أعطيت نظرية عامة للدولة، و هذه النظرية لم تتوصل إلى هدف أو قاعدة تعطي تعريفا شاملا تقوم عليه الدولة ، بالرغم من ظهور هذه الأخيرة أيضا في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، و أستعمل لأول مرة من قبل الفقيه السويسري بلا نشلي bluntschli في سنة 1877 ثم من بعده الفقيهان الفرنسيان دوجي 1911 و كاري ديملبرغ 1920[166].

وعدم وجود نظرية موحدة يرجع إلى الإختلاف الواضح في موضوع الدولة من خلال صفاتها و خصائصها العامة و القوانين التي تحكمها ، و هذا الإختلاف تبلور في إتجاهات و مذاهب منها

---

[166] **أنظر : سعيد بو الشعير ، القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة ، ص : 18 ، 19 ، 20 .**

المذهب الحر : فهو غير متكامل لإعطاء نظرية عامة للدولة ، بل يتناول جزءا منها فقط وهذا المذهب لا يصلح ليكون أساسا لأنه يرى بأن الدولة هي الأمة و هي شكل سياسي منفصل مهمته ضمان حقوق المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة .المذهب الماركسي : تميز بإستبعاده هذه النظرية العامة و يرى بأن الدولة ما هي إلا الشكل السياسي المعتمد لحماية مصالح طبقة من المجتمع المدني ، و على العموم فإن النظرية الماركسية أثبتت فشل في قصورها بغض النظر عن الإنتقادات النظرية التي توجه عادة إلى الفكر الماركسي من جهة أخرى .

وهذا الإنتهاء إلى عدم وجود نظرية عامة للدولة في كلا المذهبين يولد إتجاه يؤدي إلى البحث التفصيلي للعناصر المكونة للدولة و سبب وجودها و العوامل المؤثرة عليها و من هذا كان على الباحثين الإلمام بالموضوع و إعطاء مفهوم سياسي يرمز للدولة و هذا لن يتأتى إلا بدراسة علم السياسة الذي يركز بدوره على السلطة السياسية التي هي وسيلة لتنظيم السلوك البشري و فرض المبادئ المثالية التي ينبغي للأفراد أن ينظموا حياتهم على أساسها .

إذن المعنى السياسي للدولة هو: أن الدولة ما هي إلا ظاهرة مبنية على السياسة، بإعتبارها أداة تنظيم حياة الأفراد من أجل تحقيق المنفعة العامة، و بما أن التنظيم السياسي للمجتمع يتجسد في القوانين فهذا يعني أن الدولة شخصية معنوية لها حقوق و عليها واجبات .

فالفكر الليبرالي يرى الدولة من الجانب القانوني بإعتبارها حقيقة قانونية كما فعل الأستاذ جورج بيردو الذي قال " تعريف الدولة لا يكون إلا قانونيا و أن رجل القانون وحده هو المختص بهذا التعريف" غير أن هاذين المعنيين (السياسي ، و القانوني) للدولة لا يعطيان الإلمام الشامل بموضوع النظرية العامة للدولة ، لإشتمالها على علوم متداخلة قانونية و فلسفية و إجتماعية .....الخ .

إذن بصفة عامة الدولة هي ظاهرة سياسية قانونية بإعتبارها أداة تنظيم حياة المجتمعات من أجل الوصول إلى المنفعة العامة و تحقيقها تحت راية الحرية و العدل و المساواة، وهذا التنظيم يتجسد في القوانين مما يعني أن الدولة تعتبر شخصا معنويا لها حقوق وعليها واجبات و هي تنطوي على أركان .

و يرى علم السياسة – الدولة – من الجانب الذي يحكم القواعد النظرية و العملية التي يقوم عليها نظام الحكم في الدول المختلفة و أكثرها جدوى و ثباتا و استقرارا أما علم القانون يدرسها من حيث القواعد الملزمة التي تدور في إطارها أعمال الدولة و نشاطها ووسائلها

لتحقيق أهدافها و إلزام رعاياها بطاعتها و النزول عند أوامرها ، كما يعني علم القانون الدولي في دراسة الدولة على أنها أحد شخصيات هذا القانون .

الفرع الثاني : تعريفات مختلفة

للدولة معنيان أحدهما واسع و الآخر ضيق ، فالمعنى الواسع يقصد به المجتمع المنظم سياسيا بشكل مستقل و متميز عن غيره كقولنا الدولة الجزائرية، الدولة السورية ...الخ، أما المعنى الضيق يستعمل على مستوى الحكومة أو السلطة المركزية و هذا لتمييزهما عن المجموعات المحلية كالولاية و البلدية .

يرى بعض الفقهاء أنه يستحيل تعريف الدولة قانونيا لأن الدولة أصلا ليست ظاهرة أو حقيقة قانونية ، بل هي ظاهرة طبيعية عند دعاة المذهب الطبيعي و النشأة الطبيعية للدولة.

الفكر الليبرالي يعرفها من زاوية عناصرها المادية و من بين هؤلاء الفقهاء و المفكرين " اندري هورو " بقوله أن الدولة هي مجموعة بشرية مستقرة على أرض معينة و تتبع نظام اجتماعيا و سياسيا و قانونيا يهدف إلى الصالح العام و يستند على سلطة مزودة بصلاحيات الإكراه[167].

تعريف كاري ديمالبرغ 1920 الدولة هي جماعة من الناس مستقرة على إقليم خاص بها و لها تنظيم و تنتج عنه بالنسبة للجماعة في علاقته مع أعضائها سلطة عليا للتصرف و الأمر و الإكراه[168].و من تعريف المفكر " ليون دوجي " تكون هناك دولة بالمعنى الواسع عندما يوجد في مجتمع اختلاف أو تميز سياسي مهما كان بسيطا أو معقدا بين الناس فيكون هناك حكام من جهة و محكومين من جهة أخرى[169].

و تعريفها كمفهوم عام ومجرد نجد ما دعا إليه الفقيه الفرنسي " جورج بيردو " الذي يحلل مسار نشأة الدولة بالشكل التالي مع ملاحظة أن المجتمع المنظم سياسيا و الدولة قد تقوده و تعمل على تحقيق مصالحه لكن هذه السلطة أخذت في البداية عدة أشكال، ففي القبائل البدائية لم تكن السلطة واضحة و معروفة بل منتشرة في الجماعة و تخضع غلى الأعراف و المعتقدات و الطقوس الدينية و في مرحلة لاحقة تجسدت في شخص يقود الجماعة سواء

---

[167]) أنظر: د.أمين شريط ،الوجيز في القانون الدستوري و المؤسسات السياسية المقارنة ، د.م.ج الطبعة الثانية 2002 الجزائر

[168]أنظر : د.أمين شريط ، نفس المرجع.

[169]أنظر : د.أمين شريط ، نفس المرجع .

لقوته أو لحكمته أو لذكائه و حيلته و يمارس السلطة كملكيته الخاصة، لكنها لا تدوم وتزول مع زوال صاحبها مما يؤدي إلى صراع آخر حولها بين أعضاء المجموعة .

فعلم التاريخ يحكي تطور الدولي كفكرة و نظام و يتناول حال و مصير الدول و أشكالها في مختلف الأوقات و العصور، و علم السياسة يدرس الدولة من حيث القواعد النظرية وأكثرها ثباتا و استقرارا، و علم القانون يدرسها من حيث القواعد الملزمة التي تتمحور في نشاط الدولة بصفة عامة، أما بالنسبة للعلوم الاقتصادية فدور الدولة و مفهومها يتجليان في النقطة المباشرة لإشباع حاجات الشعوب كدخول الدولة في عمليات الإنتاج ...الخ فهذا كله من مواضيع علم الاقتصاد.

كذلك فإن الدولة كحقيقة إجتماعية راسخة هي من المواضيع الهامة في دراسات علم الاجتماع و الأخلاق و علم النفس الإجتماعي و مختلف فروع العلوم الإنسانية، و ربما نرى على أنه في عصر التكنولوجيا الحالي سيتطور علم الدولة و يمت بتأثيره على مجال الدراسات التكنولوجية و المعلوماتية و الإتصالات.

و كان من الطبيعي في ظل هذا المدى الذي يصل إليه تأثير علم الدولة بين سائر العلوم الإنسانية أن تتنوع و تختلف التعريفات التي أعطاها الفلاسفة و العلماء لفكرة الدولة و من هذه التعريفات على سبيل المثال :

1/ الدولة عبارة عن جماعة مستقلة من الأفراد يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة بينهم طبقة حاكمة و أخرى محكومة

2/ مجموعة من الأفراد يقطنون إقليما معينا و يخضعون لسلطان الأغلبية منهم .

3/ شعب منظم خاضع للقانون يقطن أرضا معينة

4/وحدة قانونية دائمة تتضمن وجود هيئة اجتماعية لها حق ممارسة سلطات قانونية معينة في مواجهة أمة مستقرة على إقليم محدد و تباشر حقوق السيادة بإرادتها المنفردة عن طريق استخدام القوة المادية التي تحتكرهاوحدها .

5/ الدولة هي تشخيصا قانونيا لأمة من الأمم .

الفرع الثالث : أركان الدولة

إن مفهوم الدولة من حيث أركانها الأساسية من جهة نظر القانون الداخلي ، و بعد تحديد بعض الإتفاقيات الدولية ، تباينت خصائص الدولة و ذلك من خلال إتفاقية " مونتيفيديو " المبرمة بتاريخ 25 ديسمبر 1933 و التي نصت مادتها الأولى على أنه " لكي تعتبر الدولة

شخصا من أشخاص القانون الدولي يجب أن تتوفر فيها الصفات التالية : إطار بشري ، إقليم محدد ، حكومة ذات أهلية للدخول في علاقات مع الدول الأخرى"[170].

تمثلت أركان الدولة في عناصر مادية ضرورية لقيامها و هي :

عنصر ديمغرافي و هو عبارة عن جماعة من البشر يدخلون ضمن الإطار البشري .

عنصر جغرافي و هو عبارة عن أرض بأبعادها المتوفرة فيها و تسمى الإقليم .

عنصر موضوع عبارة عن حكومة ذات سيادة تمثل بدورها السلطة .

مع إضافة عنصر الإعتراف الذي يضع الدولة على منبر الإعتراف الدولي و يعطيها تواجدا في ساحة المجتمع الدولي كعضو مستقل .

الإطار البشري

أ/ الشعب : هو الركن الأساسي لقيام أو ظهور أي تنظيم ، و المقصود من الشعب سكان الدولة ، أي المجموعات البشرية التي تعيش تحت سلطة الدولة و تمتلك هذه المجموعات صفات مشتركة غالبا ، تربط بينهم و تساعد على تحقيق وحدتهم ، و كما يقول " أوبنهايمر " (الشعب عبارة عن مجموع من الأفراد من كلا الجنسين يعيشون معا كمجتمع واحد بغض النظر عن الخلافات التي قد توجد بينهم من حيث العرق أو الأصل أو اللون أو الدين أو اللغة وهو يمثل ميزة واضحة للدولة لأنه بدون شعب لا يمكن وجود هذه الدولة في أرض مهجورة من الجماعة البشرية)[171].

و يمكن القول أن الشعب هو مجموعة الأفراد و الجماعات الذين تتكون منهم الدولة فبالنسبة للظاهرة السياسية هو أن يعيش الشعب على أرض معينة و يخضع لسلطة سياسية، و هناك ظاهرة أخرى إجتماعية يقصد بها الروابط و المقومات المشتركة التي تجمع الجماعات و الأسر و الجماعات المهنية من أصل و دين و لغة و تاريخ.

و تعتبر هذه القوميات لن تعد صفة ضرورية بإعتبار ظهورها في عصر القوميات ولازالت غامضة لحد الآن ، و الأخذ بها و بمفهومها القديم ينكر صفة الشعب على كل الأفرد الذين تجمعهم أرض واحة و ليس لهم روابط مثلا في اللغة و الدين أو العرق، إذن هذه الفكرة ألغيت نتيجة للهجرة و إنصهار الشعوب في بعضها البعض و الدليل على ذلك الشعب الأمريكي القوي و المتكون من عدة أجناس ، و الشعب الهندي المتعدد اللغات .

---

[170] **أنظر: د عمر سعد الله ، قانون المجتمع الدولي ، د م ج طبعة 2003 الجزائر .**

[171] **أنظر : حسني بوديار ، الوجيز في القانون الدستوري ، دار العلوم الجزائر .**

وعليه فإن العنصر الذي يصنف الشعب هو حمل لكل فرد منه لجنسية الدولة بحد ذاتها والخضوع لسيادتها و الدخول في حمايتها .

فهناك فرق بالنسبة لمفهوم الشعب من الجانب الإجتماعي و مفهومه من الجانب السياسي، فالمعنى الثاني هو كل المواطنين الذين يحق لهم المشاركة في تسيير أمور الدولةويتمتعون بحق الإنتخاب .

و يجب عم الخلط بين الشعب و السكان، لأن مفهوم السكان أوسع ، لكونه يشمل الأفراد المقيمين على إقليم الدولة سواء كانوا رعاياها أم أجانب[172].

فالشعب مجموعة من الأفراد تقطن أرض معينة ، تحت راية السلطة الواحدة و لا يتحدد عددهم ولا تهم قومياتهم الإجتماعية و لهم نفس الحقوق و عليهم نفس الواجبات إتجاه سلطتهم الموحدة .

ب/ الأمة : لقد نمت فكرة الأمة مع ظهور القوميات الحديثة في أوروبا كالقومية الإسبانية و الإيطالية وغيرهما ، تطورت الفكرة في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر و بلغت قمتها في القرن العشرين ، و لعل هذا ما يفسر انشغال الفقهاء و المفكرين المعاصرين بمسألة الأمة ، إذ الأمة هي جماعة من الناس تربطهم صفات و عادات متجانسة أو هي مجتمع له نظم و تقاليد معينة تحقق وحدته ، و من خصائص الأمة وجود ثقافة تنمو على مر الزمن ، و أهداف مشتركة تحقق تقارب الأفراد و تعاونهم ، وتتكون من مقومات مختلفة كالأرض، و اللغة و الدين، و التاريخ و المصير المشترك و هي مقومات معنوية ذات أصول تاريخية ، إذن الأمة ظاهرة اجتماعية بحتة مبنية على الثقافة بإعتبارها أداة للوحدة .

ج/ التمييز بين الدولة و الأمة : في الشروح السابقة تبين أن الإطار البشري المتمثل في شعب الدولة يأخذ تكوينه من أصول الأمة ، فربما يكون هذا الأخير من أمة واحدة أو جزءا منها أو عدة أمم .

فمفهوم الأمة يختلف عن مفهوم الدولة سواء من حيث المبدأ أو الغاية ، فالشعب هو الإطار البشري الذي يقطن أرضا معينة تحت راية الدولة التي هي تنظيم سياسي مقصود له أغراض نفعية .

أما الأمة تأخذ مدلول الشعب بالإضافة إلى تنظيم ثقافي عضوي له أغراض روحية تبرز في عنصر الدين و اللغة و الرغبة المشتركة في العيش معا و تاريخ تأصيلي و جذور عرقية ،

---

[172] **أنظر: د سعيد بوالشعير ، المرجع السابق ،ص : 56 ، 57**

تعتمد على مقومات ذات أبعاد تاريخية مثلا اللغة التي هي اللسان الذي يوحد التخاطب و التفاهم بين الأفراد و هي السجل الذي يحفظ تراث الأمة من عادات و تقاليد ودين و أخلاق و هذا المقوم الذي هو اللغة دفع بالكثير من الفلاسفة و الفقهاء في التركيز على توحيد الأمة من خلاله : مثلا الأمة الألمانية التي كانت مجزأة إلى دويلات كثيرة متصارعة فيما بينها ثم توحدت بعدما تغلغل الشعور بوحدة اللغة، و كذلك توحدت إيطاليا، اليونان، و رومانيا.

الدين الذي هو أساس تكوين المجتمعات البشرية بواسطة روابط عقيدية دينية و بالفعل كان كذلك ، فالدين الإسلامي منطلقا متينا لميلاد الأمة الإسلامية و شمل عدة أصول عرقية و مع انتشاره انتشرت اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم و لأن الإسلام يفرض حفظ ما تيسر منه لأداء العبادات التي لا تصح إلا بتلاوة آيات من القرآن الكريم .

بالمقابل فالدين كان له نفس الدور في العالم الغربي ن في المراحل التاريخية الأولى لتكوين الأمم، هذا و قد اعتبر بعض المفكرين ان العقيدة الدينية رابطة طبيعية دائمة للأمة، أما العوامل الأخرى فهي مكملة لها .

و عكس ذلك أنه يمكن للأمة الواحدة أن تتعدد دياناتها كالأمة الهندية ، أو كما هو ظاهر في القوميات الحديثة مثل : القومية الألمانية و السويسرية التي لم تكن وليدة العامل الديني.

و استنادا على هذه المعطيات قلل " رينان " 1823-1892 من أهمية العامل الديني في تكوين الأمم المعاصرة .

الإقليم :

و هو الركن الثاني من أركان الدولة :

إن اتصال الإقليم أو الرقعة الجغرافية يعني مبدئيا الإتصال الدائم بين أفراد الإطار البشري بصفة عامة ، و ذلك عبر أنشطة مختلفة يقومون بها تنشأ عنها علاقات مستمرة تحيي مناسبات و ذلك يؤكد بأن الإقليم له أهمية كبرى في تكوين الدولة ، بدليل الشعور الوطني الذي قوامه تقديس الإقليم و في هذا الضوء رأى بعض المفكرين " الماركسية على الخصوص " أن الأنشطة الإقتصادية بمختلف أشكالها و أنواعها من فلاحة و تجارة و صناعة تشكل أساسا ماديا في تكوين الروابط .

الإقليم هو الأساس المهم لممارسة هذه الروابط، و لا يقتصر الإقليم فقط على اليابسة، فهو يمتد إلى مافوق الأرض و ما تحتها و الطبقات الجوية و المياه الإقليمية و ما يعلوها أيضا إن وجدت ، و يحدد بحدود طبيعية أو صناعية أو علامات مميزة أو حسابات علمية.

أ/ الإقليم البري : و هو الأرض التي توفر الأساس المادي لنشاط الأفراد و هو الرقعة الجغرافية التي تحدها حدود طبيعية كالبحار و الجبال و الأنهار أو حدود صناعية كالأسوار و الأسلاك أو حسابية كخطوط العرض و الطول.

يمكن للأرض أن تضم أمما مختلفة كما أن الدولة الواحة ق تنتقل من رقعة جغرافية إلى أخرى .

ب/ الإقليم المائي: هو المياه الموجودة داخل الدولة كالبحيرات و الأنهار و المياه الاقليمية البحرية المجاورة للإقليمالأرضي و الذي لا يزال يثير خلافا كبيرا بين فقهاء القانون الدولي ، و خاصة بع التطور الذي عرفه ميدان الأسلحة ، و إن كانت الأغلبية من الدول تحدد إقليمها البحري بين 3 و 12 ميلا بحريا .

ج/ الإقليم الجوي : يقصد به الفضاء الذي يعلو إقليم الدولة البري و المائي دون حق معين ثابت ، هذا الأخير لم يثر أي خلاف رغم ازدياد أهمية و اتساع حركة الطيران الدولي في السلم و الحرب ، فهو يمثل كافة طبقات الجو التي تعلو إقليم الدولة الأرضي والمائي و إن علت ، و قد لجأت الدولة في العصر الحالي إلى عقد الاتفاقيات المختلفة بشأن الملاحة الجوية و تنظيم مرور الطائرات الأجنبية داخل الإقليم الجوي لكل دولة.

السلطة السياسية :

و هو الركن الثالث و الجوهري و الأساسي في قيام الدولة ، لأنه عنصر مميز بدوره للدولة عن غبرها، و بعض الفقهاء يعرفون الدولة بالسلطة ، غير أنه هذا التعريف منتقد لظهور هذه الأخيرة قبل ظهور الدولة .

و السلطة السياسية آو الهيئة الحاكمة هي التي تشرف على الإقليم و شعبه و تمارس سلطانها باسم الدولة و يخضع هؤلاء لهذا السلطان.

هناك فرق بين السلطة و السلطة السياسية ، حيث أن السلطة الحاكمة أو الهيئة السياسية يجب أن توجد في الجماعة بحيث يتكون من هذه الجماعة وحدة سياسية قائمة بذاتها بل تندمج في شكل أكبر الذي يحمل وصف الدولة و يحتوي بداخله سائر هذه الوحدات، وهذا لا يخل بحقيقة أنه يشترط أن تكون الهيئة الحاكمة هيئة وطنية فقد تكون أجنبية من غير أبناء البلاد كحالة وجود الإقليم تحت الإدارة الدولية آو الوصاية ..... الخ .

إن قيام الدولة يفترض وجود سلطة عليا يخضع لها كل الأفراد و الجماعات المكونة للدولة و هي تستند إلى هذه السلطة في وضع القوانين ، و فرض إلزاميتها على الجميع ، إذن هي العنصر التنظيمي في الدولة العصرية و هي ما تعرف اليوم بمصطلح الحكومة وهي أنواع :
سلطة قاهرة حائزة للقوة المادية و الكافية لتنفيذ قراراتها (الجيش ، الدرك ، الشرطة).
سلطة قائمة على نظام قانوني يضفي على القوة المادية شرعيتها و يسوغ نتائجها (كالنظام القضائي و ذلك على مستوى أعلى .
سلطة قادرة على إصدار قرارات نهائية و نافذة في نطاقها الإقليمي دون خضوع أو توقف أو تصديق من قوة خارجية فهي إختصاص إنفرادي إقليميا .
هناك نماذج للسلطة السياسية تتمثل في نماذج الحكومات بصفة خاصة فنجد من منظور القانون الدولي أن الحكومة هي الهيئة التي تتولى حكم الشعب و تمثيله في الداخل والخارج و هي على النحو التالي:
(الحكومة البرلمانية ، الحكومة الرئاسية ، حكومة الجمعية الوطنية).
و هناك علاقة بين أنظمة الحكم و مصادر السلطة ، فالحكم الفردي عبارة عن استبداد وملكية مطلقة لا يؤمن بأي دستور أو قواعد قانونية و تتميز علاقة المحكومين بالحاكم بالتبعية و الخضوع بالجبر لان الحاكم يتولى ممارسة كل السلطات بنفسه : التشريعية والتنفيذية و القضائية ، أما الحكم الجماعي فهو شوري ليبرالي إشتراكي ديمقراطي.
المطلب الأول : خصائص الدولةتتميز الدولة عن غيرها من المنظمات بخصائص رئيسية لعل أهمها هي السيادة و مدى حريتها في تعديل القوانين التي تضعها و لمعرفة هذه الناحية المهمة يجب التعريج عن معرفة الشخصية المعنوية التي تترجم بدورها تصرفات الدولة و طبيعتها :

الفرع الأول :الشخصية المعنوية للدولة

إن توافر الأركان الثلاثة سالفة الذكر نستطيع من خلالها إلتماس شخصية معنوية خاصة بالدولة منفصلة عن مكوناتها التي هي ملازمة لها بصفة دائمة ، بإكتسابها لهذه الشخصية تكون أهلا لممارسة حقوق و تحمل واجبات و إلتزامات شأنها شأن الأفراد الطبيعيين وهذه الخاصية أصبحت محل خلاف بين طوائف الفقهاء الذين انقسموا إلى قسمين واضحين :
قسم ينكر هذه الشخصية لأنها غير آدمية .

قسم يعترف بها للدولة و لكل تنظيم إجتماعي و اقتصادي و سياسي ينظر إليه بالمدلول القانوني لكلمة "شخص".

الفرع الثاني: السيادة

السيادة صفة من صفات الدولة و لها وجهان ، سيادة داخلية و تتمثل في إصدار الأوامر لجميع الأفراد ، و سيادة خارجية تظهر في حق تمثيل الدولة و التصرف بإسمها مع جميع الدول الأخرى ن فالسيادة تعبر عن استقلال الذي لا يعلوه أحد .

وهذا يعني أن سلطة الدولة سلطة قانونية مستمدة من القانون، و أنها أصيلة لا تستمد أصلها من غيرها و العكس صحيح[173].

الفرع الثالث :الرؤية الداخلية و الخارجية للسيادة

و يمكن تصنيف السيادة بالنسبة للدولة على أنها سيادة قانونية و سياسية و لها وجهان وجه داخلي و آخر خارجي الجانب الداخلي للسيادة هو أن للدولة السلطة العليا على الأفراد و الهيئات التي تقع في حدود إقليمها الجغرافي ، وذلك بصفة إلزامية يتعين على الأفراد طاعتها و إلا تعرضوا للعقوبات المنصوص عليها في القانون و هذا هو المفهم الإيجابي .

أما السيادة الخارجية فهي عدم خضوع الدولة لأي سلطة أجنبية و بالتالي مساواتها بين الدول الأخرى ، فهي لا تتلقى الأوامر و التوجيهات من الخارج و بدورها لا تتدخل في شؤون الدول الأخرى و معنى ذلك أن السيادتين ماهما إلا وجهين لعملة واحدة .

المبحث الثاني : النظريات المفسرة لأصل نشأة الدولة و موقف الإسلام منها

تعتبر الدولة و أصل نشأتها من الموضوعات الصعبة و المعقدة جدا ، لقد أهتم المفكرين بالبحث و التحليل من مختلف الزوايا و الإختصاصات لمحاولة إعطاء مفهوم شامل للدولة و الإحاطة بكل ما يتعلق بها، و بما أن السلطة ترتبط بهذه الأخيرة إرتباطا من المتعذر فصله، فإن النظريات التي قيلت بشأن نشأة الدولة تعطي نفس المفهوم لتفسير أساس السلطة السياسية فيه، و قد حاول الباحثون ترتيب و تصنيف النظريات وفق معايير مختلفة و متعددة نستطيع أن نصنفها إلى طائفتين أساسيتين هما :

المطلب الأول : النظريات غير القانونية

---

[173] **أنظر: د عبد الفتاح ساير داير ،مبادئ القانون الدستوري ،ص : 38إلى 69 .**

إن أنصار هذه النظريات إعتمدوا على أسس عدة منها خصوصا التفسيرات القائمة على الين أي النظريات التيوقراطية و الطبيعية، ثم السوسيولوجية أو الإجتماعية .

الفرع الأول : النظريات التيوقراطية

هذه النظريات إعتمدت في تفسير أصل نشأة الدولة و ظهور السلطة إلى الرجوع إلى الله، فطالبوا بتقديس هذه الأخيرة لأنها صنع منه وحق من حقوقه يمنحها لمن يشاء ، فبالنسبة لهم إن الحاكم يتسم سلطته من الله إذن فهو يسمو على المحكومين لتميزه عن غيره، و قد برهن التاريخ عن الدور الكبير الذي لعبته هذه النظرياتالكبير الذي لعبته هذه النظريات في القديم، لأنه آنذاك كانت المجتمعات تقوم على أسس دينية محضة خصوصا في العصر المسيحي و القرون الوسطى و تماشت حتى بوادر القرن العشرين.

إلا أن أنصار هذه النظرية اختلفوا حول طريقة اختيار الحاكم ، مما أدى إلى ظهور ثلاثة إتجاهات رئيسية هي:

نظرية تأليه الحكام: مفادها أن الحاكم يتسم بطبيعة إلهية بسبب إختلاط السلطة بالعقيدة، لذلك أصبح الحاكم على الأرض هو الإله الذي يعبد، و يتجسد ذلك في الحضارات القديمة كالفرعونية ، فكان فرعون يعبد وأطلق عليه اسم (رع) أي الإله، و كذلك الشأن في الصين و الهند كان الملوك يعدون آلهة في صورة بشر و أيضا في العصر الملكي المطلق في روما كان الملك هو الكاهن الأعظم يسن القوانين و يفسرها بما يراه متماشيا مع الإرادة الإلهية المجسدة في شخصه ، و مما يدل على هذه النظرية و مدى تأثيرها في المجتمعات القديمة ما انزل في القرآن الكريم في سورة القصص قال تعالى " وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلاه غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إلاه موسى و إني لأظنه من الكاذبين"[174].

و أيضا لقوله عز وجل " اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل له هل لكان تزكى * و أهديك إلى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذب و عصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى"[175].

نظرية الحق الإلهي المباشر : الدولة هي حق الاله الذي أوجدها و هو يختار من يحكمها بطريقة مباشرة ، وقد كان للمسيحية دور بارز فقد دعت هذه الديانة غلى الابتعاد عن عبادة

---

[174] **القرآن الكريم ، سورة القصص ، الآية 38 .**

[175] **القرآن الكريم ، سورة النازعات ، الآيات من 17 إلى 24 .**

الملوك و الفصل بين صفة المواطن الذي يتقبل السلطة الزمنية و صفة الانسان الذي له عقل يمتلكه يخول له اختيار العقيدة التي تعجبه ، و أدى هذا إلى بروز كرامة الانسان و الحد من سلطة الملوك الدنيوية ، وهذه النظرية لاقت صراع بين الملوك ورجال الدين من حيث أولوية السلطة العليا ، و اهتدى رجال الدين من بينهم –سان بيار و سان بول – إلى تفسير قول المسيح " أعطو ما لقيصر لقيصر و ما لله لله " بأنها اعتراف بالسلطة الزمنية و تم الانتهاء غلى أن للسلطة الإلهية سيفان احد ديني و الآخر زمني (واحد للبابا و الآخر للإمبراطور)، و هكذا خلعت صفة الإله على الإمبراطور وقللت أهمية السلطة الزمنية و تم تفضيل الخضوع للسلطة الروحية خصوصا بعد تضارب واجب الفرد نحو الحاكم و واجبه نحو خالقهما.

نظرية التفويض الإلهي غي المباشر : ظهرت هذه النظرية كنتيجة لإنهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس عشر ميلادي، وسيطرت الكنيسة على العالم المسيحي وأصبحت ممثلة له و مفادها أن الاله لا يتخل مباشرة في اختيار الحاكم إنما بطريقة غير مباشرة يوجه الأحداث و يرتبها على نحو يساعد الناس على اختيار نظام الحكم و الحاكم الذي يرتضونه و قد قيدت هذه النظرية سلطة الملوك و دعمت سلطة الكنيسة الممثلة للشعب المسيحي فامتلكت السيفين معا و أصبح لها صلاحية تتويج السلطة الزمنية تحت طقوس دينية خاصة، وسحبها في حالة خروج الحاكم عن مقتضيات الشروط الموضوعة عندنظرية التفويض الإلهي غي المباشر: ظهرت هذه النظرية كنتيجة لإنهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس عشر ميلادي، وسيطرت الكنيسة على العالم المسيحي و أصبحت ممثلة له و مفادها أن الاله لا يتخل مباشرة في اختيار الحاكم إنما بطريقة غير مباشرة يوجه الأحداث و يرتبها على نحو يساعد الناس على اختيار نظام الحكم و الحاكم الذي يرتضونه و قد قيدت هذه النظرية سلطة الملوك و دعمتسلطة الكنيسة الممثلة للشعب المسيحي فامتلكت السيفين معا و أصبح لها صلاحية تتويج السلطةالزمنية حت طقوس دينية خاصة ، وسحبها في حالة خروج الحاكم عن مقتضيات الشروط الموضوعة عند النظرية.

التفويض الإلهي غي المباشر : ظهرت هذه النظرية كنتيجة لإنهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس عشر ميلادي ، وسيطرت الكنيسة على العالم المسيحي وأصبحت ممثلة له و مفادها أن الاله لا يتخل مباشرة في اختيار الحاكم إنما بطريقة غير مباشرة يوجه الأحداث و يرتبها على نحو يساعد الناس على اختيار نظام الحكم و الحاكم الذي يرتضونه و قد قيدت

هذه النظرية سلطة الملوك و دعمت سلطةالكنيسة الممثلة للشعب المسيحي فامتلكت السيفين معا و أصبح لها صلاحية تتويج السلطة الزمنية تحتطقوس دينية خاصة ، وسحبها في حالة خروج الحاكم عن مقتضيات الشروط الموضوعة عند التفويضومن ابرز مؤيدي هذه النظرية القديس توماس و جوزيف دي مستر و بونالد و بوسييه[176]. هذه النظريةالدينية أسهمت في ظهور بعض الدول بالرغم من افتقارها للعقل و المنطق لأنه لم يثبت تاريخياوجودتفويض إلهي لحاكم من الحكام.

الفرع الثاني : النظريات الطبيعية

ترى أن الدولة ظاهرة طبيعية مثلها مثل أي ظواهر أخرى ، أي أنها نتاج ميل الناس الطبيعي إلى التجمع و العيش في ظل مجتمع منظم سياسيا ، كما قال الفرنسي جون دابين jean dabin " الدولة ضرورة طبيعية لا خل لإرادة الناس فيها ، بل هي ناشئة عن إرادة الله و بالتالي فهي من صنعه و هي مفروضة على إرادة الناس بقصد تحقيق الخير العام و الصالح العام ، و من ثم فهي ضرورية "[177].

من الملاحظ أنه هناك تقارب بين النظريات التيوقراطية و الطبيعية في تأصيل نشأة الدولة و إرجاعها إلى إرادة الله، و وجه الاختلاف جسده مفكرين آخرين أمثال أرسطو من خلال نظرية الأسرة و الأبوةنظرية الأسرة أوالأبوة : أي التطور العائلي، يرى أرسطو أن الدولة كانت في البداية أسرة ثم تطورت إلى عشيرة ثم إلى قبيلة ثم إلى مدينة .....الخ ، أما الحاكم في الدولة فهو بمثابة الأب في الأسرة ، يمارس السلطة على الشعب كالأب على أفراد أسرته الشيء الذي يستوجب طاعته و الرضوخ إليه من طرف الرعية والقبول بسلطته المطلقة عليهم ، أي أنه شبه الدولة بالأسرة و الحاكم بالأب .

هذه النظرية منتقدة لكونها مغالطة تاريخية لأنه لن تكن الأسرة هي الخلية الأولى لتكوين المجتمع ، و هي عبارة مرحلة معينة لابد لها أن تتفكك بعد النضوج و بالمقابل لا يمكن للدولة أن تتفرق إلى دويلات و هي لا تزول بزوال الأفراد و رب العائلة تطغى عليه اعتبارات نفسية و عاطفية عكس الحاكم الذي تطغى عليه الاعتبارات القانونية .

النظريات العضوية و النفسية : ظهرت هذه النظريات في القرن التاسع عشر ترى بأن الدولة نشأت في ظل قوانين الظواهر الطبيعية التي يمكن تطبيقها على الظواهر الاجتماعية ،

---

[176] **انظر . د . السيد صبري ، مبادئ القانون الدستوري 1970، ص : 14**

[177] **انظر . د . الأمين شريط ، المرجع السابق ، ص : 32 ، 33 .**

فشبهت الدولة بجسم الإنسان كل عضو فيه يؤدي وظيفة معينة نفس الشيء بالنسبة للأشخاص في الدولة ، أما النفسية فهي تميز الأشخاص إلى فئتين فئة تحب السلطة و الزعامة، و فئة تميل إلى الخضوع و لانصياع إذن فالعوامل النفسية الطبيعية هي التي تتحكم في ذلك، غير أن هذه النظرية عنصرية وظفتها النازية للتمييز بين الأجناس .

نظرية الوراثة: ترى أن أصل نشأة الدولة يعود إلى حق الملكية للأرض و هو حق طبيعي، يعطي لمالكي الأرض الحق في الحكم عليها و حكم الناس الذين يعيشون فيها لذا عليهم بالطاعة و الرضوخ لسلطتهم في ظل الإقطاعية من اجل خدمة الإقطاعيين و تبرير النظام الإقطاعي.

الفرع الثاني: النظريات الإجتماعية (السوسيولوجية)

نظرية القوة و الغلبة : يرجع أنصار هذه النظرية أصل نشأة الدولة إلى عامل القوة والقهر و السيطرة، و إخضاع الغير عن طريق الغزو و الصراع الذي نشأ عنه عشائر وقرى و مدن يرأسها شخص قوي ماديا، و من أنصار هذه النظرية " بلوتارك اليوناني الذي قال (الدولة خلقت من عدوان) ، و أيضا " سبنسر و مكافيلي " الذي أضاف عامل المكر و الدهاء ، و قد أعطت هذه النظرية تفسيرا لنشأة العيد من الدول و خاصة الحديثة من خلال الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية و في العالم مثل إسرائيل ، إلا أنها ليست بكافية، كما أن عنصر القوة لا يكفي وحده لبقاء و استمرار الدولة فلا بد من عوامل أخرىإلى جانب ذلك توجد عدة نظريات تأخذ نفس الاتجاه حول هذا الموضوع ، منها نظرية ابن خلدون.

نظرية ابن خلدون: يقول ابن خلدون " أن البشر لا تمكن حياتهم و وجودهم أي باجتماعهم و تعاونهم على تحصيل قوتهم و ضرورياتهم، و إذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة و اقتناء الحاجات، و منح كل واحد منهم بدة لحاجته يأخذها من صاحبه لما في الطباع الحيوانية من الظلم و عدوان بعضهم البعض و ممانعة الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة و مقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج و المرج و سفك الدماء و إذهاب النفوس المفضي ذلك غلى الانقطاع النوعي ولذلك استحال بقاؤهم دون وازع يزع بعضهم عن البعض، واحتاجوا من اجل ذلك إلى الوازع و هو الحاكم عليهم ، و هو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر والمتحكم[178].

[178] **انظر . د .سعيد بو الشعير ، المرجع السابق ، ص : 30.**

إذن فهو يرى بأن الدولة لا تقوم إلا على أسس و عوامل نجدها في :
حاجة الإنسان في سد حاجياته الضرورية للبقاء مثل الغذاء و الدفاع عن النفس.
يؤدي ذلك إلى النزاع و الصراع و العدوان بسبب الطابع الحيواني.
عدم وجود رادع يقيد هذا التنازع يزيد في الفوضى مما يستلزم وجود نظام قوي يفرض سيطرته بالقوة و يمكن تلخيص أهم العناصر فيما يلي :
العصبية وهي الشعور بالانتماء للجماعة و الدفاع عنها و الإيمان بمعتقداتها من اجل فرض نفسها على الغير الزعامة وهي ظهور شخص يتمتع بكل المواصفات مثل الاستقامة العلم الاحترام الدين و القيام بالواجبات.
العقيدة الدينية : هي العامل الأساسي الذي يسمح بتوحيد و تماسك أعضاء المجموعة، ويرى ابن خلدون أن الإسلام هو العامل الذي مكن الكثير من القبائل أن تنشئ دولة قوية مثل المرابطين و الموحدين .
و تتميز الدولة لدى ابن خلون بالسلطة و السيطرة مما يجعلها صاحبة السيادةداخليا وخارجيا ، إذن أعطى مفهوما إيجابيا و سلبيا للسيادة .
نظرية التضامن الإجتماعي:دعا إليها" ليون دوجي" الذي يرى أن الدولة هي نتاج أربعة عوامل أساسية:
الاختيار الاجتماعي و هو فرض الأقوياء إرادتهم على الضعفاء و من ذلك ينتج الحكام والمحكومين.
التمايز أو الاختلاف السياسي أي يكون هناك أناس يحكمون و آخرون يخضعون لهم.
قوة الجبر و الإكراه وهو السلطة الجبرية التي لا تلقى أي منافسة تمنعها من تنفيذ إرادتها.
نظرية التطور التاريخي : الدولة نشأت بعد تطور تاريخي خاص بكل مجتمع وفق ظروفه الاجتماعية و الاقتصادية و العقائدية و غيرها من العوامل الخاصة و يتمثل جوهر هذه النظرية في كون الدولة ثمرة تطور تاريخي طويل و متنوع و هي تعتبر غريزة طبيعية في الإنسان في حب الاجتماع تأكيدا لمقولة " أن الإنسان كائن اجتماعي".
النظرية الماركسية(كارل ماركس):الدولة هي صراع طبقي تزول بزواله فهي موجودة مرحليا فقطفي المرحلة الأولى فرضت طبقة من الناس سيطرتها الاقتصادية و ذلك بتملكها وسائل الإنتاج لحماية و الحفاظ على مركزها و ممتلكاتها ، إذن الدولة هي سلطة اقتصادية تحولت إلى سلطة سياسية من خلال جهاز قمع و إكراه ، فالقانون السائد هنا مجرد تعبير

إيديولوجي عن مصالح الطبقات المسيطرة ، وهي ليست شيئا مفروضا من الخارج بل نتاج داخلي عن مجتمع ، و تزول باستحواذ الطبقة البروليتارية و انتشار الاشتراكية وصولا إلى الشيوعية حيث لا طبقية و وفرة إنتاجية و لا حاجة للدولة لافتقادها علة وجودها .

المطلب الثاني : النظريات القانونية : (القائمة على التفسير القانوني)

هذه النظريات تعطي مدلول آخر لقيام نشأة الدولة و يتجسد هذا المدلول في تفسير قانوني معين أدى إلى وجودها و في هذا الإطار هناك عدة نظريات منها خصوصا النظريات الاتفاقية و نظرية المؤسسة .

الفرع الأول : النظرياتالإتفاقية (العقدية)

الدولة هنا نشأت نتيجة إتفاق مبرم بين أعضاء المجتمع في شكل عقد أو إتحاد بطابع ديمقراطي الذي يعطي للشعب دورا في تأسيس سلطة الحكام و إنشاء الدولة و أهم النظريات العقدية هي نظرية هوبز و لوك و روسو .

نظرية توماس هوبز 1588-1679 : جاءت هذه النظرية لتبرير سلطة الملك المطلقة حيث كان من مؤيدي العرش الحاكم و من الدافعين عنه ، و المناصرين لعائلة " ستيوارت " الملكية ، فبدأت نظريته تتجسد من خلال الفوضى العارمة و الصراع الدائم الذي يحكمه قانون الغاب في تلك الفترات من اجل ذلك أحس الناس بضرورة البحث عن وسيلة تمكنهم من الخروج من تلك الوضعية إلى حياة يسودها الأمن و السلم ، فاهتدوا إلى فكرة العقد الذي بموجبه يعين حاكم ون شرط يتمتع بالسلطة المطلقة لا تقاوم و يتم له التنازل عن كل الحقوق دون أن يكون ملتزما نحوهم بأي شيء لأنه لم يكن طرفا في العقد ، هذا مما أدى إلى استبداد الحاكم بما أن السلطة في يده و ليست للدولة و بالتالي تغييره يعني فناء الدولة[179].

نظرية العق السياسي لجون لوك 1632 -1704 : جاءت هذه النظرية عكس نظرية "هوبز" أي تقييد سلطة الحاكم و تؤيد ازدهار حريات الشعوب ، لأن الطبيعة الفطرية البشرية تتسم بالمساواة و السلام و الحرية في ظل القانون الطبيعي ، حيث تم التفكير في إبرام عقد تنتج عنه سلطة مهمتها تحقيق العدالة ، و أساس هذه الأخيرةرضي المحكومين لا غير ، إذن أطراف العقد إثنان المحكومين و الحاكم المختار من قبلهم ، سلطته مقيدة بما تم الاتفاق عليه أثناء التعاقد ، يتنازل الأفراد عن بعض الحقوق لإقامة السلطة ، و إذا تم الإخلال بالالتزامات

[179] **انظر . د . سعيد بو الشعير ، المرجع السابق ، ص : 39 .**

من طرف الحاكم يحق فسخ العقد و تنحيته ، العقد عند " جون لوك " مزدوج هو اتحاد جماعي في ظل جماعة سياسية و حكومة كضمان قانوني و بهذا يتحول هذا العقد إلى دولة . و يتبينأن العقد السياسي ينحصر في بعض إطارات الشعب الذي يحق لهم إبرامه دونا عن أفراد الشعب ككل

نظرية لجان جاك روسو 1712- 1788 : الانسان خير بطبعه و يعيش في حالة سلام وحرية و مساواة ، ثم ظهور الملكية الفردية مع ظهور الزراعة و الاختراع ، نتجت فوارق بين الافراد و انهارت تلك المساواة تفاقم الوضع إلى حروب و غزوات ، سارع الأغنياء في البحث عن وسيلة لحفاظ مصالحهم ، و استمالوا الفقراء من اجل إقامة مجتمع قاعدته العقد الذي بدوره يحمي الأملاك بالمقابل يتم التنازل على الحقوق الفردية للجماعة كلها بمقابل الحصول على حريات و حقوق يضمنها هذا التنظيم الجماعي للأفراد ، هذا التنظيم يتمتع بإرادة متميزة عن إرادة كل فرد مما يؤدي إلى استبعاد صدور قرارات أو قوانين تتعارض مع مصلحة الأفراد .

كل النظريات السابقة افتراضية قائمة على الخيال ، فلم يثبت تاريخيا بأنه وقع اجتماعيين الناس ابرموا أثناءه عقدا فيما بينهم لإقامة مجتمع سياسي ، و يشترط لإبرام العقد وجود قانون سابق يتم فيه ذلك من اجل أن يحمي العقد و يعاقب على مخالفته ، و يتطلب وجود جماعة منظمة لأن العقد لا تنتج آثاره إلا إذا كانت هناك نصوص تحدد حقوق و واجبات الطرفين .

نظرية الوحدة للعلامة الألماني جيلينيك : يرى أن التقاء أو تطابق إرادتين يمكن أن يحدث نوعين من العلاقات العقد ، و الفرينباريغ vereinbarung، فالعقد هو توافق إرادات من اجل الحصول على مصالح متبادلة إذن لا يمكن تطبيق مفهوم العقد على الدولة لأن الإرادات لا تتجه إلى موضوع واحد ، الفرينبارينغ هو تلك النتيجة المحصل عليها من خلال مشاركة عدة إرادات مجتمعة من اجل تحقيق هدف واحد مشترك هو إنشاء دولة أي حالة قانونية موضوعية ، إلا أن هذا الأخير لا يظهر إلا بعد وجود طابع قانوني سابق وبالتالي فحسب فقيهنا أن الدولة تنشأ بفعل وحدة إرادات .

الفرع الثاني : نظرية السلطة المُؤَسِسَة

نظرية السلطة المؤسِسَة للفقيه "جورج بيردو": ترى هذه النظرية أن الدولة لا وجود لها إلا إذا تأسست سلطتها القانونية، و ذلك بنقل السلطة السياسية من الجهة المسيطرة عليها

كأشخاص طبيعيين إلى كيان مجرد يتمثل في شخص معنوي منفصل ، إذ تصبح السلطة تنظيم مجرد دائم الذي هو الدولة ، ولا وجود لها إلا حين تحول سلطتها من فعلية إلى قانونية معتمدة في ذلك على دستور سواء مكتوب أو عرفي يعبر فيها قانونيا و يغير طبيعة السلطة السياسية و ينشىء الدولة إلا أن هناك تعارض مع ما يتعلق بالدستور العرفي لأنه غير مرتبط بوقت محدد لظهوره بل يمر بمراحل تاريخية طويلة لا تسمح بتحديد متى ظهرت الدولة .

الفرع الثاني : نظرية السلطة المُؤَسِسَة

نظرية السلطة المؤسِسَة للفقيه "جورج بيردو" : ترى هذه النظرية أن الدولة لا وجود لها إلا إذا تأسست سلطتها القانونية ، و ذلك بنقل السلطة السياسية من الجهة المسيطرة عليها كأشخاص طبيعيين إلى كيان مجرد يتمثل في شخص معنوي منفصل ، إذ تصبح السلطة تنظيم مجرد دائم الذي هو الدولة ، ولا وجود لها إلا حين تحول سلطتها من فعلية إلى قانونية معتمدة في ذلك على دستور سواء مكتوب أو عرفي يعبر فيها قانونيا و يغير طبيعة السلطة السياسية و ينشىء الدولة.

الفرع الثاني : نظرية السلطة المُؤَسِسَة

نظرية السلطة المؤسِسَة للفقيه "جورج بيردو" : ترى هذه النظرية أن الدولة لا وجود لها إلا إذا تأسست سلطتها القانونية ، و ذلك بنقل السلطة السياسية من الجهة المسيطرة عليها كأشخاص طبيعيين إلى كيان مجرد يتمثل في شخص معنوي منفصل ، إذ تصبح السلطة تنظيم مجرد دائم الذي هو الدولة ، ولا وجود لها إلا حين تحول سلطتها من فعلية إلى قانونية معتمدة في ذلك على دستور سواء مكتوب أو عرفي يعبر فيها قانونيا و يغير طبيعة السلطة السياسية و ينشىء الدولة إلا أن هناك تعارض مع ما يتعلق بالدستور العرفي لأنه غير مرتبط بوقت محدد لظهوره بل يمر بمراحل تاريخية طويلة لا تسمح بتحديد متى ظهرت الدولة.

الفرع الثالث : نظرية المُؤَسَسَة

نظرية المؤسَسَة " لموريس هوريو " : تنشأ الدولة في نظر هوريو على مرحلتين بما أنها جهاز اجتماعي مترابط و تتشكل من أفرادمسيرين من حكومة تهدف إلى تحقيق نظام اجتماعي سياسي :

المرحلة الأولى : اتفاق مجموعة من الأفراد على مشروع إنشاء دولة و تقبلهم لهذه الفكرة و يقررون تنفيذها بتوفير الوسائل التي تُنْجَزُ منها فيعملون على تأسيس جهاز تنظيمي بالطرق القانونية المتوفرة لديهم المرحلة الثانية : دعوة من يهمهم الأمر للمساعدة والمعاونة لتحقيق المشروع و تنفيذه بهذه الكيفية يتكون مجموع مركب من فكرة رئيسية أي تصور ثم سلطة منظمة على رأس الجهاز المُنْشَئْ من طرف أصحاب الفكرة ثم نشر الدستور المؤسس من المشروع .

و للتدليل على رأيه أعطى الفقيه موريس هوريو الجزائر كمثال لذلك على أنها تأسست عن طريق الحكومة المؤقتة ، و وافق الشعب دون منازعات ،و هذه مغالطة تاريخية واضحة تماما .

و الملاحظ أن ظاهرة المؤسسة هي ظاهرة عامة تظهر في التجمعات الخاضعة للقانون الخاص و العام على السواء ، و تظهر في المنظمات الوطنية و الدولية ، فالدولة هي مؤسسة المؤسسات ، بحكم كونها تضم مجموع المؤسسات و تعتمد عليها[180].

الفرع الرابع :موقف الإسلام من هذه النظريات

الإسلام بصفة عامة يعطي الأولوية و المكانة الأساسية للدين في تكوين الأمم ، لأنه بمنظوره الواسع الإسلام هو مجموعة الأديان السماوية بإعتبار أن الدين عند الله هو الإسلام كما قال تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"[181].

إن الدين بوجه عام هو أساس تكوين المجتمعات البشرية ن و الرابطة الأساسية التي تربط أفرادها و الهدف من ذلك تكوين مجتمع إنساني يقوم على روابط العقيدة الدينية ، وليس على روابط الواقع المختلفةو بالفعل فقد كان الدين الإسلامي منطلقا متينا لميلاد الأمة الإسلامية بعد البعثة المحمدية التي نمت و تطورت و انتشرت و استمرت وستستمر إلى يوم الدين.

وقد تكونت هذه الأمة من عدة أصول عرقية و ذلك بفضل انتشار الإسلام في مختلف بقاع العالم ، و مع انتشار الدين انتشرت معه اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم .

---

[180] **انظر . د . سعيد بو الشعير ، المرجع السابق ، ص : 49 ، 50 .**

[181] **القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 211 .**

إذن الدين الإسلامي هو المصدر الوحيد الذي انبثقت منه الأمة الإسلامية و هو الضامن لبقائها بوجه خاص ، و له أهمية كبرى في خلق الشعور و تعزيز روابط الأخوة والتعاون

ونرى أن الإسلام يرفض تمام النظريات المبنية على التفسير الديني ، و يشترك مع النظريات العقدية في فكرة العقد ، بل يرى الكثير من المفكرين أن فكرة العقد ترتبط بأساس متين بنشأة الدولة في الإسلام ، فقد عُلِمَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يهاجر إلى المدينة و لم يؤسس فيها أول دولة إسلامية إلا بعد إبرام أتفاق بينه و بين الأنصار على احتضانه و نصرته و العمل من أجل إقامة النظام الجديد الذي يدعو غليه من خلال بيعة العقبة الثانية .

و أصبحت البيعة أساس كل سلطة سياسية في الدولة الإسلامية سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو من تبعهم ، إذن هي عبارة عن عقد بين طرفين ، الأمة ممثلة في أهل الحل و العقد ، و الحاكم سواء كان أميرا أو خليفة أو ملكا، و البيعة في الإسلام عقد حقيقي وصريح يقوم على الرضي المتبادل و يعمل على تحقيق المصالح على أسس الشريعة الإسلامية التي تقييد الحاكم و المحكومين معا .

إذن البيعة في الإسلام كانت منطلق تأسيس دولة في المدينة المنورة و تحديد نظامها الداخلي و الخارجي المستمد من الشريعة الإسلامية .

ونرى أن الإسلام يرفض تمام النظريات المبنية على التفسير الديني، و يشترك مع النظريات العقدية في فكرة العقد ، بل يرى الكثير من المفكرين أن فكرة العقد ترتبط بأساس متين بنشأة الدولة في الإسلام ، فقد عُلِمَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يهاجر إلى المدينة و لم يؤسس فيها أول دولة إسلامية إلا بعد إبرام أتفاق بينه و بين الأنصار على احتضانه و نصرته و العمل من أجل إقامة النظام الجديد الذي يدعو غليه من خلال بيعة العقبة الثانية.

و أصبحت البيعة أساس كل سلطة سياسية في الدولة الإسلامية سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو من تبعهم ، إذن هي عبارة عن عقد بين طرفين ، الأمة ممثلة في أهل الحل و العقد ، و الحاكم سواء كان أميراأو خليفة أو ملكا،و البيعة في الإسلام عقد حقيقي و صريح يقوم على الرضي المتبادل و يعمل على تحقيق المصالح على أسس الشريعة الإسلامية التي تقييد الحاكم و المحكومين معا.

إذن البيعة في الإسلام كانت منطلق تأسيس دولة في المدينة المنورة و تحديد نظامها الداخلي و الخارجي المستمد من الشريعة الإسلامية .

وقد حدد الإسلام بصفة عامة العنصر البشري في تكوين الدولة أي المجموعة البشرية التي تنقسم إلى طائفتين و هم المسلمون الذين تربط بينهم رابطة الأخوة في الإسلام و الغير مسلمون و هم عبارة عن سكان ينقسمون بدورهم إلى قسمين (الذميون والمستأمنون) .

يتناقض الحكم الشوري في الإسلام مع الحكم الفردي تماما أم بالنسبة للحكم الديمقراطي الحديث فالاختلاف يتركز في الأصول ، إلا أنه لايتعارض معه لأنه حكم جماعي يستمد سلطته من إرادة الشعب و تتم البيعة وفق نظام معين محدد بالشريعة الإسلامية و يجب توفر الطرفين (أهل الحل و العقد مع الخليفة) و يعتبر الرضى ركن جوهري لصحة البيعة، و الحكم في الإسلام جماعي قائم على الشريعة الإسلامية الذي هو الحكم الشوري و يعتبر من أهم المبادئ السياسية التي جاء بها الإسلام و الأدلة على ذلك كثيرة منها ما ورد في القرآن الكريم بصفة الأمر الملزم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى " وشاورهم في الأمر"[182]. ، و بصفة الوصف " و أمرهم شورى بينهم "[183]. ومنها ما ورد في السنة النبوية الشريفة ، و بالفعل فقد تم العمل بهذا المبدأ بعيدا عن نطاق الوحي ، تجسيدا في الحياة العامة ، و على هذا الدليل أعتبر الخلفاء الراشدين مبدأ الشورى قاعدة ضرورية للحكم و طُبق ذلك في المسائل السياسية و الاقتصادية والعسكرية فكانت تعرض هذه القضايا على مجلس خاص يشبه بحد ما المجالس البرلمانية في العصر الحديث و هو مجلس " أهل الحل و العقد " و يتم اختيار هذا المجلس بصورة تلقائية اختلافا عن العصر الحديث إذ يتم انتخاب المجالس حسب شروط و إجراءات قانونية .

كما يمكن للحاكم أن يترشح بمحض إرادته[184]، فيبين ميزاته للأمة و يتم قبوله بالرضى، وهذه الإمكانية لا تخول أيا كان لطلب الحكم عشوائيا ، بل يجب أن يشتمل على خصال دينية و علمية و أخلاقية حتى يكون أهلا للحكم.

الخاتمة:

يتضح لنا من خلال ما سبق في بحثنا هذا أن الدولة ما هي إلا ظاهرة إجتماعية من خلال نشأتها ، و قد تكونسياسية مبنية على السياسة ، بإعتبارها أداة لتنظيم حياة الأفراد من أجل

---

[182] **القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية 159 .**

[183] **القرآن الكريم ، سورة الشورى ، الآية 38.**

[184] **ترشح أبو ذر الغفاري حينما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم توليته فقال له النبي " يا أبا ذر انك ضعيف وان المسؤولية لخزي يوم القيامة.**

تحقيق المنفعة العامة ،و أن مفهومهايختلف عن مفهوم الأمة سواء من حيث المبدأ أو الغاية فالدولة تنظيم سياسي مقصود له أغراض نفعية و الأمةتنظيم ثقافي عضوي له أغراض روحية ، و هذا الخلاق لا يوحي بوجود تعارض بينهما ، لأننا نلاحظ أن الأمةكثيرا ما تنتظم في شكل دولة و الدولة الحديثة خير شاهد على ذلك ، بل أن مجموع الأمم قد يشكل دولة واحدةكما هو الشأن بالنسبة للإتحاد السوفياتي سابقا ن بالمقابل أنالآمة الواحدة قد تتكون من عدة دول كالأمتينالعربية و الإسلامية ، ورغم هذا تبقى الدولة هي التعبير السياسي عن مجتمع بصفة قانونية .

فالدولة هي أداة لتنظيم حياة الأفراد من اجل تحقيق المنفعة العامة ، و إذا كان التنظيم السياسي للمجتمع يتجسد في القوانين فهذا يعني أن الدولة شخصية معنوية لها حقوق و عليها واجبات و هي تنطوي على عناصر مهمة تتمثل في الشعب أي المجموعة البشرية التي تتبع سلطة الدولة و غالبا ما تكون لهم صفات مشتركة تساعد في الربط بينهم و تحقيق وحدتهم ، و الإقليم الجغرافي التي تمارس عليه سلطتهاو نفوذها دون منازع والذي له الدور في تحديد الظروف الاقتصادية للدولو رسم سياستها الخارجية ، ويفترض وجود سلطة عليا يخضع لها كل الافرد و الجماعات المكونة للدولة ، وهي تستند إلى هذه السلطة في وضع قوانين وفرض الزاميتها على الجميع ، ويجب للدولة أن تتصف بالسيادة والتي بدورها لها وجهان : سيادة داخلية تتمثل في إصدار الأوامر لجميع الأفراد ، و سيادة خارجية تظهر في حق تمثيل الدولة و التصرف باسمها مع جميع الدول الأخرى إذ أنها تعبر عن استقلالية الدول والخلاصة :

أن الدولة تكونها جماعة بشرية ، على أرض معينة ، يجمعها نظام سياسي ، و تتمتع بشخصية معنوية و بالإستقلال .

قائمة المراجع:

- سعيد بوشعير ،القانون الدستوري و النظم السياسية المقارنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بن عكنون الجزائر ، الطبعة السادسة 2004.

- الأمين شريط ، الوجيز في القانون الدستوري و المؤسسات السياسة المقارنة ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المزكزية بن عكنون الجزائر ، الطبعة الثانية 2002

صيانة وترميم المخطوطات العربية الإسلامية: الطرق والأساليب.

الدكتور مولاي امحمد.

إن صيانة وترميم المخطوطات، تتوقف لا على ما يتحتم إجرائه، من أعمال العلاج والترميم فحسب، بل تعتمد كذلك، على تهيئة الظروف المناسبة، لسلامتها والحفاظ عليها[i]، وبالتالي فانه لدراسة ترميم وصيانة المخطوطات، يجب أن نعرف مكوناتها، وهي الورق، الأحبار، البارشمنت، الرق، الجلد، والقماش،...هذا بخلاف المواد اللاصقة، مثل الصمغ، والغراء، والنشأ، وغيرها[ii]، لذلك فالحفاظ على التراث المخطوط، يوجب علينا التعرف على حقيقة مكونات المخطوط[iii].

ولهذا فالمخطوط يتكون من مواد كربوهيدراتية (سللوزية)، تتمثل في الورق، ومواد بروتينية، تتمثل في الجلود، والرقوق، وهذه المواد تتعرض لملوثات بيئية، وكيميائية، تتفاعل معها، وتسبب جفاف الأوراق، وتقصفها[iv]، وهو ما يجعل ورق المخطوطات، يتعرض لكثير من العوامل، والأسباب التي تؤثر به، لذلك لابد من حمايتها، والمحافظة عليها، لتعيش أطول مدة ممكنة[v].

1. صيانة المخطوطات:

1.1. تعريف صيانة المخطوطات: صيانة المخطوط، مفهوم علمي واسع، يهدف إلى إحياء التراث القديم، المخطوط، ...، وهي تشمل في مفهومها، التعامل مع المخطوطات، التي أصيبت فعلا، أو ذات الاستعداد للإصابة، ولا يخفى علينا دور الصيانة، في إزالة هذه البصمات وإعادة حالة المخطوطات، إلى ما كانت عليه قبل الإصابة، بقدر ما تسمح حالة إصابته، سواء اختص ذلك بتثبيت الأحبار، وكشف النص المكتوب، من بين البقع والأوساخ، أو معالجة وترميم الأوراق والجلود[vi].

2.1. الأسس اللازمة لعمليات معالجة وصيانة المخطوطات: إن القائم بمعالجة وصيانة المخطوط، قد يتسبب في إعطاء المخطوط، عمرا أكثر من عمره الحقيقي، لذا لابد من التأكيد، على أسس صيانة المخطوطات، والتي تتمثل في:

- ضرورة احتفاظ المخطوط، بمعالم أثريته، وقدمه وخصائصه، المميزة لعصره ولكاتبه.
- مراعاة عدم تأثير المواد المستخدمة في المعالجة، على مادة المخطوط، في المدى الطويل، ضمانا لسلامته، وبقائه في حالة جيدة، للأجيال القادمة.

3.1. أنواع عمليات صيانة المخطوطات: تنقسم الصيانة إلى نوعين:

1.3.1. التعقيم (التعفير، التبخير): ويعني القضاء على كل أشكال صور الحياة،...، ونحن بتعاملنا مع المخطوطات، بما لها من ندرة علمية، وقيمة أثرية، ولطبيعة مكوناتها، وما تمثل هذه المكونات من بيئة غذائية جيدة، للعديد من الكائنات المتخصصة، في النمو عليها، وتلفها وتحليلها، يجب علينا التحري الدقيق، في اختيار الطريقة التي تقضي على هذه الكائنات، وتمنع ضررها، دون أن يكون لهذه الطريقة، أثر ضار على صفحات المخطوط،

ليس فقط على المدى القريب، بل على المدى البعيد[vii]، وقبل البدء بعملية التعفير، يجب رفع المخطوطات من الرفوف، والخزانات، وأرضيات المخازن، وفي حالة وجود بعض الحشرات، ينبغي مكافحتها بصورة مباشرة[viii].

1.3.1. المعالجة الكيميائية: وتشمل المعالجة الكيميائية، التنظيف، وإزالة البقع والحموضة، التطرية والفرد، الفك والتقوية، ولكل منها طريقة خاصة، تختلف بين الأوراق، والبرديات، والرقوق والجلود[ix].

4.1. التكوين المادي الكيميائي للمخطوطات:

1.4.1. الورق: الورق هو أهم أجزاء المخطوط، على الإطلاق، فهو الوعاء الذي تسطر وتحفظ فيه المادة العلمية، أو الأدبية[x]، ويتكون الورق من ألياف السللوز، كمكون أساسي للورق[xi]، ويعتبر السللوز، من المواد الكربوهيدراتية، تتحد مع بعضها البعض، مكونة شبكة طويلة تعرف بالورق، ويلعب مصدر السللوز، وطريقة صناعته قوام ودوام الورق[xii]، ومن أهم الميكروبات التي تقوم بتحليل السللوز، من البكتريا Sytophaga، ومن الفطريات Lternaria[xiii].

2.4.1. اللجنين: اللجنين شائبة من الشوائب، التي توجد في بعض الأوراق، خاصة المصنوعة من لب أخشاب الأشجار، المتقدة في العمر، ونظرا لما لها من دور، في تصلب وتلون الأوراق، مما يقلل من استدامتها، وعادة يوجد اللجنين مرتبطا بالسللوز، مكونا مركبات معقدة[xiv]، وقد أوضحت الدراسات، أن فطر Flavobacteriun يستخدم اللجنين كمصدر وحيد للكربونات، وكذلك فطريات Agaricus، قادر على تحليل اللجنين، وذلك باختراق أنسجة الورق، بمساعدة الإنزيمات الخارجية، التي تفرزها هذه الفطريات اعتمادا على السللوز[xv].

3.4.1. البردي: البردي، هو نبات مصري قديم[xvi]، وكان أسهل في الاستعمال، من بدائله المتاحة، مثل الخشب، والجلود، والألواح الصلصالية[xvii]، ويتكون ورق البردي، من وحدات مترابطة من السكريات (السللوز).[xviii]

4.4.1. الجلد: الجلد هو نوع من البروتين، يعرف بالكولاجين، والدباغة هي عملية تجهيز الجلد، ليصبح طاردا للماء، ومقاوما للتحلل بالفطريات[xix].

5.4.1. الرق: المادة الأصلية للرق، من أصل حيواني[xx]، وهو جلد مندوف الشعر، غير مدبوغ [xxi] ومن هنا يمكن القول، أن الرق لا يختلف في تركيبه الكيميائي، عن أي نوع آخر من الجلود، إلا في طريقة صنعه، وتجهيزه.

6.4.1. البارشمنت: نوع من الجلد، أكثر سمكا من الرق، وغالبا يكون من جلود العجول الصغيرة، ولكنه ليس بمرونة الرق، في تقبل الكتابة[xxii].

7.4.1. الحبر(المداد): الأحبار، تعني المواد التي تترك أثرا، ويعرف صناع الحبر، بالحبارين[xxiii]، والأحبار غالبا، صبغات كيميائية معدنية، أو عضوية، تختلف بدرجة ثباتها، ولمعانها، وقابليتها للتأثر بالماء، والمحاليل الأخرى، والعوامل البيئية المحيطة بها[xxiv]، وكل هذه الصفات هامة، لنصوص المخطوطات، وعليها يتوقف استمرار، وضوح النصوص المكتوبة، وقابليتها للصيانة والمعالجة.

ونظرا لتعدد أنواع ما يكتب عليه، كما سبق، فان للحبر كذلك أنواع، فهناك أنواع من الحبر تناسب الكتابة على الرق، وأخرى تناسب الكتابة عل الورق[xxv]، ويمكن أن نصنف الأحبار حسب أشكال تواجدها إلى: أحبار

سائلة، أحبار ذات قوام عجيني، وأحبار على هيئة مسحوق[xxvi]، وتبقى الفروق الهامة، بين حبر وآخر، في طريقة الأعداد، والتدرج في المكونات[xxvii]، ومن أهم أنواع أحبار الكتابة ما يلي:

- الحبر الكربوني: أول حبر عرف الكتابة، يتكون من السناج والصمغ العربي، والخل أو الماء، ومن مميزاته، أنه لا يبهت مع الوقت، ولا يتأثر بالضوء ومواد التبييض،[xxviii] وبمرور الزمن، ظهرت مجموعة من العيوب لهذا النوع من الأحبار، منها أنه يذوب في الماء، ويتشلفط في الجو الرطب[xxix]، وهو ما كان سببا في تطوير مكوناته، بإضافة مواد حديدية، فظهرت الأحبار الحديدية.

- الحبر الحديدي: من مميزات هذا الحبر، أن له درجة ثبات عالية، حتى بعد التخزين، ومما يعاب على هذا النوع من الأحبار، انه بمرور الزمن، ينتج من تفاعله مع رطوبة الجو، حمض الكبريتيك، الذي يحرق الورق مباشرة[xxx].

- حبر الطباعة: تستخدم المطابع أحبار حديثة، تتكون من صبغة اللون المطلوب[xxxi]، والسناج، أو الكربون الأسود، مخلوطا مع زيت بذرة القطن المغلي، والذي يمثل المادة المثبتة للحبر على الورق، ومن أهم مميزات هذا الحبر، ليس له تأثير على دوام الورق، ولا يذوب في الماء، ولا يتأثر بالعوامل الطبيعية[xxxii].

ومن هنا نستنتج أن الأحبار الكربونية، لها ثبات لوني على الأوراق، لكنها تتأثر بالعوامل الطبيعية، خاصة الرطوبة، وبالمقابل نجد أن الحبر الحديدي، أكثر ثبات لوني على الورق، إلا أن مكوناته تضر بالأوراق، في حين أن أحبار الطباعة الحديثة، تجمع بين ايجابيات الأحبار الكربونية، والحديدية.

5.1. العوامل المؤثرة في المخطوطات (عوامل تلف المخطوطات): هناك عوامل مختلفة، تؤثر في المخطوط، فتظهر عليه مجموعة من الآفات، كالتبقع، والتآكل، والانكسار، والتواء الأوراق، واصفرارها، ونذكر منها:

1.5.1. العوامل الكيميائية المؤثرة في المخطوطات: ونقصد بها الملوثات الغازية، والحرارية، التي في الجو، والناتجة عن استخدام الفحم، والزيوت كمصادر للطاقة، والحركة[xxxiii]، لاسيما في المدن الصناعية[xxxiv]، واهم هذه الملوثات هي:

- الملوثات الكبريتية: الناتجة عن احتراق الفحم والوقود، من حركة السيارات في الشوارع[xxxv]، مثل: غاز ثاني أكسيد الكبريت So2[xxxvi]، وغاز كبريتيد الهيدروجين H2S[xxxvii]، وغاز النشادر NH3، الأدخنة[xxxviii].

- الملوثات النيتروجينية: تعتبر هذه الأكاسيد مصدرا آخر، للحموضة في الورق، حيث يتأكسد أكسيد النيتروجين، إلى حامض نيتريك H2O3، والحامض المكون له، آثارا ضارة على الأوراق، والأحبار، ومن أمثلة الملوثات النيتروجينية، غاز الأوزون O3[xxxix].

1.5.1. العوامل الطبيعية المؤثرة في المخطوطات: وتشمل التغيرات المناخية، من فصل إلى فصل، وما تحدثه هذه التغيرات من الاختلاف في درجة الحرارة، ونسبة الرطوبة، والإضاءة المرئية، وغير المرئية[xl]، وتلعب هذه العوامل دورا واضحا، في التأثير المتلف، على المخطوطات[xli]، حيث أن ارتفاع نسبة الرطوبة، يؤدي إلى، امتصاص ألياف السلسلوز، بخار الماء، وتنتفخ مسببة، تشوها في شكل المخطوط، كما يساعد ارتفاع نسبة الرطوبة، على تكون

البقع الترابية المائية، وارتفاع نسبة الحموضة في الأوراق، و يعتبر وسطا مناسبا، لنمـــو الفطريـــات، والبكتريـــا، والحشرات، كما تجعد جلود المخطوطات وتتكرمش بفعل ذلك.

ويؤدي ارتفاع درجة الحرارة إلى، تسهيل التفاعلات الكيميائية، المتلفة للورق، والجلود، مثل نفايات التلـــوث، ويفقد المخطوط محتواه المائي، فتصاب الأوراق بالجفاف، والاصفرار، وسهولة الكسر، ثم إن بعـــض الكائنـــات الدقيقة تنمو، وتتكاثر عند ارتفاع درجة الحرارة، كما يظهر حدوث تقادم صـــناعي، للمخطـــوط، أي ســـرعة تدهوره فيدركه الهرم، قبل سن الشيخوخة، بفعل الحرارة، ويعتبر الضوء من العوامل الهامة، التي تلعـــب دورا في إتلاف المخطوطات، ولكن بدرجة اقل، من تأثير الملوثات الغازية، أو التغيرات الحرارية، ويظهر أثر الضوء علـــى المخطوط، بوصفه مصدرا حراريا، يساعد على ارتفاع درجة الحرارة، من جهة، والأكسدة الضـــوئية، نتيجـــة للموجات القصيرة، من الضوء، من جهة أخرى[xlii].

1.5.1. العوامل البيولوجية: وتشمل مجموعة الكائنات المرئية، كالحشرات، والقوارض، أو الكائنات الدقيقـــة، كالفطريات، والبكتريا، إضافة إلى دور الإنسان، في إتلاف المخطوطات.

- الفطريات: توجد أنواع كثيرة، تزيد عن 100 نوع، وتظهر مع ارتفاع نسب الرطوبة، مع عدم وجود تيـــار هوائي.

- الحشرات والقوارض: تلعب الحشرات والقوارض، دورا شديد الخطـــورة في تآكـــل أوراق المخطوطـــات، وجلودها[xliii]، ومن أمثلتها:

- السمك الفضي: ويبلغ طولها من 8 إلى 13 ملم، تقتات على الصمغ، والورق، فتقرض الورق وتحدث ثقوبا في المخطوطات، والجلود[xliv]، ومثلها دودة الورق، والخنفساء السوداء، وحفارة الأنفاق، مثـــل النمـــل الأبـــيض (الأرضة).

وإجمالا فان الضرر الذي يمكن أن تحدثه الحشرات، يتمثل في قرض حواف أوراق المخطوطـــات، وكعوبهـــا، وانتشار الثقوب، والقطوع بين الصفحات، وعلى الحواشي والنصوص، وتشويه كامل للمخطوط، وتنقل بعـــض الحشرات أنواعا من الفطريات الضارة، لحملها على جسمها، وانتقالها بين صفحات المخطوط، وبين المخطوطات الأخرى[xlv].

- القوارض: هي حيوانات تقرض، وهي تشمل الفئران، والجرذان، والقندس، وغيرها[xlvi]، حيث تلتهم أطـــراف المخطوطات، والجلود، فتؤدي إلى ضياع القسم الكبير منها[xlvii]، كما قد تسبب في الحرائق، بقرضها العـــوازل الكهربائية[xlviii].

1.5.1. دور الإنسان في تلف المخطوطات: يساهم الإنسان في التلف الذي يقع على المخطوطات، إمـــا لعـــدم وعيه، أو لتهاونه واستهتاره، في أثناء الاستعمال، وتداول للمخطوط[xlix]، ويظهر ذلك في عدة أمور منها، إضافة علامات، في اثنا القراءة، والاطلاع على المخطوطات، واستخدام أقلام الحبر الجاف، الذي يؤدي إلى تشوه كلي، للنص المكتوب، وإضافة الأوساخ والبقع، على صفحات المخطوط، في حالة استخدامها، بأيدي غير نظيفة، وما ينتج عن هذه البقع والأوساخ، من إصابة للمخطوط، بالكثير من الكائنات الدقيقة[l]، وهناك أيضا من القراء، من

يقوم بثني أحرف بعض الصفحات، متسببا في تكسرها، كما أن التدخين، من قبل أمناء المخطوطات، أو الباحث، أو القارئ، ينتج عنه ارتفاع في درجة الحموضة، في المخطوطات[li].

6.1. تقنيات عملية صيانة المخطوطات: تركز بحوث الحفظ اليوم، على صيانة القطع الأثرية، أكثر من الترميم، لان الترميم، قد يضيف مواد، غير مرغوب فيها، كما قد يحدث تأثيرا متلفا[lii]، إن لم تؤخذ بعين الاعتبار، أسس الترميم.

1.6.1. تعقيم الفطريات والحشرات والبكتريا: التعقيم هو الخطوة الأولى، في صيانة المخطوط[liii]، وتتمثل هذه العملية في قتل الكائنات الدقيقة، وبصورة أساسية الفطريات، والبكتيريا بأنواعها، وأهم المبيدات المستخدمة، في هذا المجال، ثلاثي ورباعي وخماسي، كلوروفينات الصوديوم[liv]، وتستخدم هذه المبيدات، للقضاء على الحشرات، في حين تستخدم المبيدات التالية، للقضاء على الفطريات، والبكتيريا: Miltox، و Blitane، و Catechol[lv]، وهاته المبيدات تستخدم على شكل محلول مائي، بحيث يرش المخطوط بها، أو يغمر الجزء المتضرر منه، في المحلول، كما يمكن استخدام أوراق خاصة، تتشرب المحلول، وتوضع داخل المخطوط، وبالإضافة إلى هذا النوع من المبيدات، هناك شكل آخر، يعرف بالأبخرة (غازات سامة) ومن أمثلتها: أبخرة الفورمالدهيد (الفورمالين)، والبرادكس، والثيمول، وتعد هذه الطريقة أكثر صلاحية، من سابقتها، حيث تستطيع الغازات ملاحقة البكتريا، والفطريات، وخاصة الحشرات، حفارة الأنفاق، والقضاء على بويضاتها، وهو ما يعجز عنه المبيد على شكل محلول مائي، وهناك مواد أخرى للقضاء على الحشرات، مثل مادة DDT[lvi].

1.6.1. المعالجة الكيميائية: وتشمل المعالجة الكيميائية، عمليات التنظيف، وإزالة البقع والحموضة، في كل من الأوراق، والبرديات، والرقوق، والجلود.

1. التنظيف وإزالة البقع: ويتمثل هذا، في تنظيف، وتخليص الأوراق والجلود، من الأوساخ والبقع، ذات الأصل العضوي، أو ذات الأصل غير العضوي، حيث تزال بقع الدهن، والزيت، والشمع، بواسطة الأسيتون، والبنزين، والكلورفورم، والهيكسان، في حين أنه لإزالة البقع، ذات الأساس اللاعضوي، يستخدم الماء والصابون، إضافة إلى استخدام محاليل التبييض، كالكلورامين، وكلوريد الصوديوم، وفي جميع الحالات، يجب غسل الأماكن المعالجة بالماء، بعد الانتهاء من العمل، لما قد يتعرض له المخطوط، بأكثر من نوع من هذه البقع، سواء كانت ذات أصل عضوي، أو غير عضوي.

2. إزالة الحموضة: وتتمثل هذه العملية، في قياس درجة حموضة المخطوط (أوراق، برديات، جلود)، بواسطة جهاز PH-mètre، وبعد ذلك تستخدم مجموعة من المحاليل، المتخصصة في إزالة حموضة المخطوط، ولكن يكون ذلك حسب نوعية الحبر، الذي كتب به المخطوط حيث يستخدم الماء، وكربونات الكالسيوم، وماء الجير، في إزالة حموضة المخطوطات، المكتوبة بأحبار غير حساسة للماء، بينما يستخدم إيدروكسيد الباريوم، وخلات المغنسيوم، في إزالة حموضة المخطوطات، المكتوبة بأحبار حساسة للماء[lvii]، وتجدر الإشارة هنا، الى أن سلامة

المخطوطات، عند استعمالها في المختبر، تعد جزءا أساسيا، من القواعد الأساسية[lviii]، للمعالجة الكيميائية للمخطوطات.

7.1. المواصفات القياسية لمخزن مخطوطات: تتمثل المواصفات القياسية، لمخزن مخطوطات، فيما يلي:

- درجة الحرارة، تتراوح بين 18-20°م، ونسبة الرطوبة، تتراوح بين 55-60 %.

- تركيب مرشحات كربونية، على النوافذ، وإضاءة خاصة، بمخازن المخطوطات، تعمل أوتوماتيكيا عند فتح باب المخزن.

- النظافة المستمرة، من الأتربة والغبار، التطهير الدوري للمخزن، بالتعقيم كل ثلاثة أشهر[lix].

2. شروط حفظ المخطوطات: من الشروط الواجب توفرها لحفظ المخطوطات، أن يكون المستودع ذا جدران سميكة، توضع المخطوطات على رفوف معدنية، لا تتأثر بالرطوبة، وبشكل عمودي دون تراص، باستثناء المخطوطات ذات الجلود اللينة، كما يجب توفير إضاءة كهربائية غير مباشرة، إضافة إلى أجهزة إطفاء، دون أن ننسى النظافة الدورية للمخازن، باستخدام أجهزة مكانس كهربائية، مع وضع مساحيق، أو مبيدات لمكافحة الحشرات، و القوارض، غير حمضية للورق[lx]، في زوايا المخزن، وتغييرها من حين إلى آخر، ثم لابد من التأكد، من أن المواد المستخدمة في التخزين، ليست حامضية، لأنها تعتبر احد الملوثات الكبرى، للمواد الورقية[lxi]، بالإضافة الى منع التدخين، و إدخال الأطعمة، إلى مخازن المخطوطات، ومراقبة الباحثين، أثناء المطالعة على المخطوطات، لمنع استخدام أقلام الحبر، وطي المخطوطات، وغيرها من السلوكات، التي قد تؤثر على المخطوطات، ويستحسن استخدام كاميرات لذلك، كما يمكن تعليق القواعد الأساسية، الخاصة بمناولة المخطوطات، في قاعة المطالعة الخاصة بالمخطوطات[lxii]، تصوير مخطوطات المخزن، على أفلام الميكروفيلم[lxiii]، حيث أن التصوير على الميكروفيلم، يستخدم على نطاق واسع، منذ ما يربو عن نصف قرن، كما أن الوسائل اللازمة، لمعالجة كل أشكال المصغرات الفيلمية، معروفة ومتوفرة، كما أن النسخ الأصلية، في أي شكل من أشكال المصغرات، والتي يتم إنتاجها وتخزينها، طبقا للمقاييس الدولية المتعارفة، يمكنها أن تعيش، لما يزيد عن ثلاثمائة عام، بدون أي تضييع للمعلومات[lxiv]، ومن الأمور المهمة والضرورية جدا أيضا، وجود مصلحة صيانة و ترميم المخطوطات، بجانب مصلحة المخطوطات[lxv]، مع تكوين روابط متماسكة، بين المتخصصين، بشؤون الحفاظ والصيانة، في سائر أرجاء العالم[lxvi].

3. الترميم: يمثل الترميم، المرحلة قبل النهائية، لصيانة المخطوط، حيث تسبقه، عمليات التعقيم والمعالجة الكيميائية[lxvii]، وتأتي بعد ذلك، آخر مراحل الترميم والصيانة، وهي عملية التجليد[lxviii].

1.3. تعريف الترميم: الترميم، معناه الإصلاح[lxix]، ومن هنا فإن عملية الترميم، هي تجميل المواد الأثرية، وإعادة حالتها إلى شكل أقرب إلى أصلها، بغير إضافات متلفة، أو مزورة[lxx]، كما يمكن القول، أنها عملية علاج، للأثر المسن، في محاولة لإزالة بصمات الزمن، ومظاهرها الكثيرة، مثل التشققات، التهتكات، الكسور، التفتات والثقوب[lxxi].

2.3. أسس عملية الترميم: قبل البدء بعملية الترميم، يجب إجراء ما يلي:

- تصوير المخطوط، تصويرا تسجيليا[lxxii]، قبل ترميمه، خشية أن يفسده الترميم، لأي سبب من الأسباب[lxxiii]، وبعده، حيث يبين هذا التصوير، الجهد المبذول في ترميم أوراقه، ويظهر مدى دقة القائم بالعمل، ومهارته، وفي الوقت نفسه، يكشف الغش والتزوير، الذي قد يحدث في عملية الترميم[lxxiv].

- التعرف على جميع الإصابات، وتحديدها تحديدا دقيقا[lxxv].

- في حالة إنفصال أجزاء، فإنه على المرمم جمعها، في ظرف أو علبة، لاستعمالها في الترميم في ما بعد[lxxvi].

3.3. أنواع عملية ترميم المخطوطات: تنقسم عملية الترميم إلى قسمين:

1.3.3. الترميم اليدوي للمخطوطات: وهو عملية يدوية بحتة، تحتاج إلى الكثير من الصبر، والأناة، إضافة إلى الخبرة العالية، والدقة، إذ يقوم المرمم، بإصلاح التلفيات المختلفة، مستعملا بعض الأدوات، كالمشرط، والملقط والصندوق الضوئي، ويعد هذا النوع من الترميم، أكثر دقة وأكثر أمنا، في المحافظة على المخطوطات، وهو أيضا أغلى أنواع الترميم، والمهنة النادرة في العالم[lxxvii]، ويختص في ترميم المخطوطات النادرة والقيمة، وكذلك المطبوعات، والوثائق الثمينة[lxxviii].

2.3.3. الترميم الآلي للمخطوطات: يعد الترميم الآلي، من العلوم الحديثة في عصرنا الحالي، وقد تطور هذا النظام من بداية السبعينات، إلى اليوم تطورا كبيرا، حتى وصل إلى ما هو عليه، من دقة وإتقان وسرعة، وبخاصة في الحالات، التي يكون فيها المخطوط، شديد الإهتراء إلى درجة، يكاد ترميمها بالطرق التقليدية المعروفة، يكون مستحيلا، ويستخدم هذا النوع من الترميم، في مجال المطبوعات، بشكل واسع، وفي مجال المخطوطات بشكل أضيق، وخاصة المخطوطات ذات الأحبار الثابتة[lxxix]، كما تجدر الإشارة هنا، الى أن هذا النوع من الترميم، قد أعطى فرصة، بالنسبة للمكتبات التي لا تحتوي أجهزة الترميم، بنقل المخطوطات، التي لا يشكل نقلها خطرا، على الحالة المادية لها، الى أجهزة الترميم، في المكتبات التي تتوفر بها أجهزة، كما هو الحال بالنسبة لمكتبة الملك فهد بالمملكة العربية السعودية، حيث تحدد المخطوطات المراد ترميمها، ثم يذهب احد المتدربين على صيانة وترميم المخطوطات، لترميمها بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويرمم المخطوطات هناك، لما كانت المكتبة تفتقر الى أجهزة الترميم[lxxx].

4.3. تقنيات عملية الترميم:

1.4.3. تقنيات الترميم اليدوي:

1. فك الأوراق الملتصقة: نتيجة تعرض المخطوطات للرطوبة الشديدة، أو لنشاط الحشرات داخلها، ويتم إزالة هذا الالتصاق، عن طريق التبخير بالماء، ثم نحاول فك الأوراق، بلطف وحذر، أو عن طريق الترطيب، بواسطة الماء المقطر، باستخدام قطعة قماش قطنية مبللة.

2. ترميم القطع الحاد: ويكون سببه آلة حادة، كالمقص، أو الشفرة، ويؤدي إلى قطع في خط مستقيم، أو متعرج، ويتميز بعدم وجود ألياف، على حافتي القطع، ويتم ترميمه باستعمال الورق الشفاف، المتعادل من

الجهتين، بشكل شريط ضيق جدا، على امتداد القطع، ويتم قص شرائط باليد، وذلك لحاجتنا للألياف، على حافتي الشريط.

3. ترميم القطع المائل: وهو ناتج عن تمزق، حاصل باليد، ويتميز هذا القطع، بوجود ألياف على حافتي القطع، ويرمم بدهن لاصق، على حروف ألياف القطع، من الجهتين، ثم نضمها بعضها إلى بعض، وندمجها، لتعود إلى سابقة حالتها.

4. ترميم الأوراق المتفتتة أو المكسرة والمكرمشة: يتم أولا، التعرف على نوعية الورق المتآكل، من حيث النوع، والسماكة، والعلامات المائية الموجودة عليه، من اجل انتخاب الورق المناسب للترميم[lxxxi]، وإذا استخدمنا الورق الياباني، في عملية الترميم، فنقوم بوضع قطعة من الورق الياباني، وندهنها باللاصق من الوسط، نحو الخارج، باتجاه واحد، وبشكل متجانس، على كامل النص، تستخدم هذه الطريقة في حالة تفتت الورقة، وضعفها، حيث نقوم بتثبيت أجزائها، على ورقة برافين، وذلك بدهن أجزاء من أطرافها باللاصق، ثم نضع قطعة من الورق الياباني، بشكل متناسب، مع مساحة الورقة المهترئة فوقها ، ثم ندهن اللاصق من المركز، باتجاه الخارج، وبشكل متجانس، ونتركها لتجف، ثم نكبسها لتصبح ملساء[lxxxii]، وعند جفاف الورقة، يجرى كشط أي نسيج ترميم، فائض، ودعكه بأداة عظمية، للحصول على أداة أكثر ملاسة، إذا اقتضى الأمر[lxxxiii]، أما بالنسبة للورق المكتوب، بأحبار منحلة، فانه يقع سد الثقوب، بقطع من الورق الياباني، الذي يثبت بمبضع من العظم[lxxxiv]، كما يستخدم الضغط الحراري الملائم، في رفع حالات الانكماش، والتجاعيد، الورقية[lxxxv].

5. طريقة نزع النقوش واللوحات وإعادتها: تستعمل هذه الطريقة، عند وجود لوحات، أو نقوش مذهبة، على ورق سميك تالف، وتتم عن طريق، دهن سطح النقوش، باللاصق المناسب، ثم تفرد عليه طبقة، من الشاش، ويغطى بكمية من ورق الجرائد، ويترك ليجف تحت ضغط خفيف، وبعد تمام الجفاف، تنزع طبقة الشاش، وتنتزع معها طبقة النقوش المذهبة، التي يمكن استعمالها واستعادتها، باستقبالها على ورق ترميم جديد، مناسب لحجم صفحة المخطوط، حيث يمكن فكها من الشاش، بمحلول من الماء والكحول، ويتم تثبيت النقوش على الورق الجديد، باللاصق المستخدم.

2.4.3. الترميم الآلي: هناك مجموعة من الأجهزة المتخصصة، في ترميم المخطوطات، بالطريقة الآلية نذكر منها:

1. جهاز الماجد للترميم الآلي[lxxxvi]: يعتبر هذا الجهاز، بمثابة المصلحة الإستعجالية، لمعالجة المخطوطات المريضة، والمصابة[lxxxvii]، كما يمكن اعتباره، بمثابة سيارة إسعاف، لأنه يمكن أن ينتقل إلى المخطوطات، ويقوم نظام الترميم الآلي، على أمور أساسية ثلاثة هي: توافر الجهاز الآلي للترميم، والمادة المستخدمة في الترميم، وهي الألياف السللوزية النقية، ثم نظام حساب الكميات، الذي تخضع له الألياف المستخدمة.

- مواصفات الجهاز:

- يعمل على ترميم المطبوعات بكل أنواعها، وفي مجال أضيق لترميم المخطوطات.
- مزود بمضختين وصمامين للفتح، والإغلاق، يعملان أوتوماتكيا.
- مصنوع من مادة الكروم المقاوم، وشبكات العمل الثابتة، والمتحركة، من البلاستيك الأبيض المتين.

- الطاقة الكهربائية اللازمة، لتشغيل الجهاز 220 فولط.

- أبعاد ساحة العمل فيه 70سم × 100 سم.

- مؤلف من ثلاثة مستويات، مختلفة الأحجام، مركبة بشكل رأسي هي:
الخزان الرئيسي، ومستوى الضغط السالب، وساحة العمل[lxxxviii].

- **طريقة العمل بالجهاز:** يملأ الخزان الرئيسي بالماء، عبر صمام الإدخال، ويضخ الماء من الخـــزان الرئيســـي، إلى مستوى الضغط السالب، حتى مستوى الشبكة الثابتة، ثم توضع المواد المراد ترميمها، على الشبكة الثابتة، والتأكد من عدم وجود فقاعات هوائية تحتها، وبعد ذلك ننزل الشبكة المتحركة، على تلك المواد، ونبدأ بضخ المـــاء إلى ساحة العمل، ثم نسكب الألياف السللوزية المجهزة، ونحكها باليد، ليتم تجانس الألياف بالماء، ومن ثم فتح صـــمام الضغط السالب، ورفع الشبكة المتحركة، ثم الانتظار حتى تفرغ ساحة العمل، تماما من الماء، و نقوم بعدها بإغلاق صمام الضغط السالب، وهو آخر الأعمال[lxxxix].

2. جهاز الماجد للتدعيم الحراري[xc]: يقوم هذا الجهاز، على تخليص المخطوطات، والكتب المطبوعة، من العوالق الضارة بها، من تراب، وغبار وأقذار، على اختلاف أنواعها، مرة واحدة ومن غير فك الكتاب، أو المخطـــوط، وبزمن قياسي، لا يتجاوز عشرة دقائق، كما أن هذا الجهاز، يقوم على إعادة الرطوبة النسبية للأوراق، والرقوق، بدقة متناهية، وبأمان كامل، من غير أي ضرر، أو إصابة محتملة.

- **طريقة عمل الجهاز:** بعد تمام توازن الجهاز حراريا، والتأكد من وصول درجات الحرارة، الى معدلها المطلوب، وعمل عداد الزمن، ومضخة الهيدروليك، نقوم بتشغيل اسطوانة السحب، ومن ثم ندخل المواد المراد تـــدعيمها، بالكامل داخل الجهاز، ونشغل مفتاح الضغط، فتنطبق الصفيحتان الحراريتان، على المواد داخل الجهاز، وبعد مرور الزمن المحدد، يعمل الجهاز اتوماتيكيا، على رفع الصفيحتين الحراريتين، بعضهما عن بعض، وتشـــغيل اســـطوانة السحب، ومن ثم سحب المواد للخارج، عند سحب المواد للخارج، تكون العملية قد انتهت، لتبدأ عملية تدعيم جديدة، لتنتهي الكمية كلها.[xci]

3. جهاز الماجد للمعالجات الأولية: هذا الجهاز يمتاز بـــ:

- يعمل على تنظيف الكتب، والمخطوطات بالطريقة الجافة.

- يعمل على فرد الرقوق، والأوراق المتيبسة، والمتجعدة، وتطريتها.

- يعمل على تجفيف الكتب، والمخطوطات المصابة بالرطوبة، المرتفعة على البارد.

- الزمن الأقصى للعمل في التنظيف الجاف، 10 دقائق بمعدل، أربع كتب أو مخطوطات، من الحجم الكبير، في المرة الواحدة.

- الزمن الأقصى للعمل في تطرية الرقوق، وفردها 24 ساعة، بمعدل 30 قطعة من الحجم المتوسط.

- الزمن الأقصى للعمل على التجفيف 60 دقيقة، بمعدل 12 كتابا أو مخطوطا، من الحجم الكبير.

- درجة الأمان في الجهاز 100%، على الأوعية الورقية، التي بداخله، إضافة إلى إحكام إغلاقه التـــام، الـــذي لا يسمح بتسرب أي شيء من الجهاز إلى الخارج، مما يعطي حماية تامة، للشخص الذي يقوم بالعمل.

- **مواصفات الجهاز:** مصنوع من مادة الكروم، والبلاستيك الشفاف والمقاوم، مزود بنظام هـــوائي، تـــوربيني ضاغط، وساحب، مما يشكل دارة هوائية، متجانسة داخل الجهاز، مزود بحجرتين للمعالجة، وبثلاثـــة رفـــوف شبكية، متحركة لفرد الأوراق، والرقوق، تبلغ الطاقة الكهربائية، اللازمة لتشغيل الجهاز 3 فاز، أما أبعاده فهـــي 120×90×120 سم، وهو مثبت على قاعدة لها قدرة التوازن الأفقي[xcii].

ومن هنا نستنتج أن طبيعة الحالة المادية للمخطوط، هي التي تمكن الباحث، من تحديد نوعية الصيانة والترميم، اتجاه المخطوطات المتضررة، وبالتالي حماية المخطوطات، من مختلف العوامل الطبيعية، والكيميائية، والبيولوجية، من أجل حفظها أطول مدة ممكنة، بغرض إتاحته للباحثين، كما أنه بعد صيانة وترميم المخطوطات المتضـــررة، مـــن مختلف العوامل الطبيعية، والكيميائية، والبيولوجية، فإنها تصبح جاهزة للتعامل معها، في إطار وجوه البحث العلمي الأخرى في مجال المخطوطات، سواء تعلق الأمر بعملية الفهرسة، أو التحقيق أو الدراسات الكوديكولوجيا، وهذا ما يساهم في حماية المخطوطات أطول فترة زمنية ممكنة، كما يقي الباحثين من التضرر من تحمله المخطوطات من غبار وبكتريا قد تضر بصحة الإنسان.

مراجع البحث:

[i] عبد المعز شاهين، الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب المخطوطات والوثائق التاريخية، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1990، ص.07.

[ii] حسام الدين عبد الحميد محمود، تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية: مخطوطات.مطبوعات.وثائق.تسجيلات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص.09.

[iii] مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة: عالم الكتب، 2002، ص.19.

[iv] عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربي، القاهرة: دار القاهرة، 2004، ص.109.

[v] فضل جميل كليب؛ فؤاد محمد خليل عبيد، المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا، عمان: دار جرير، 2006، ص.42.

[vi] مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص.101.

[vii] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.102.

[viii] أسامة ناصر النقشبندي، صيانة وخزن وتعفير المخطوطات، حلقة حماية المخطوطات العربية، مجلة المورد، مج.05، ع.01، 1976، بغداد: وزارة الإعلام، 1976، ص.162.

[ix] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.111.

[x] سامي نوارن، المرجع السابق، ص.13.

[xi] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.21.

[xii] حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع نفسه.

[xiii] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.24.

[xiv] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.24.

[xv] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، 25.

[xvi] محمود عباس حمودة، أمن الوثائق: الحفظ، التصوير، الترميم، الصيانة، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 1997، ص.13.

[xvii] جفري خان، المرجع السابق، ص.57.

[xviii] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.27.

[xix] حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع السابق، ص.43.

[xx] أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات،ج.01، المرجع السابق، ص.18.

[xxi] عبد المعز شاهين، المرجع السابق، ص.224.

[xxii] مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص.31.

[xxiii] إبراهيم شبوح، نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص فنون صناعة المخطوط العربي، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.346.

xxiv مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.35.

xxv أيمن فؤاد سيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات،ج.01، المرجع السابق، ص.35.

xxvi محمد مكاوي عودة، الطباعة ومقوماتها: دراسة في النظرية والتطبيق، الإسكندرية: الملتقى المصري للإبداع والتنمية، 2000، ص.55.

xxvii إبراهيم شبوح، المرجع السابق، ص.22.

xxviii مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.35.

xxix حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع السابق، ص.13.

xxx المرجع نفسه.

xxxi مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.38.

xxxii حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع نفسه، ص.14.

xxxiii خالد الريان، أنظمة تخزين المخطوطات، في: صناعة المخطوط العربي الاسلامي: من الترميم الى التجليد، دبي: جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1997، ص.530.

xxxiv O.o.agrawal، Protection of manuscritpts، مجلة المورد، مج.05،ع.01، بغداد 1976، بغداد: وزارة الإعلام، 1976، ص.141.

xxxv خالد الريان، المرجع نفسه.

xxxvi مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.43.

xxxvii بسام عدنان داغساني، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، في: صناعة المخطوط العربي الاسلامي: من الترميم الى التجليد، دبي: جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1997، ص.613.

xxxviii المرجع نفسه، ص.614.

xxxix مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.46.

xl خالد الريان، المرجع السابق، ص.531.

xli مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص.53.

xlii بسام عدنان داغساني، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، المرجع السابق، ص.616.

xliii خالد الريان، المرجع السابق، ص.532.

xliv أسامة ناصر النقشبندي، المرجع السابق، ص.161.

xlv بسام عدنان داغساني، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، المرجع السابق، ص.620.

xlvi حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع السابق، ص.135.

xlvii أسامة ناصر النقشبندي، المرجع نفسه، ص.162.

xlviii ادوارد ب.ادكوك، مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها، الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1999، ص.62.

[xlix] بسام عدنان داغساني، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، المرجع السابق، ص.618.

[l] خالد الريان، المرجع تفسه.

[li] بسام عدنان داغساني، المرجع نفسه.

[lii] نصري اسكندر، حفظ وصيانة الكتب والورق والمخطوطات والبردي والرق الإسلامية، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.127.

[liii] مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص.111.

[liv] عبد المعز شاهين، المرجع السابق، ص.228.

[lv] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.92.

[lvi] أسامة ناصر النقشبندي، المرجع السابق، ص.162.

[lvii] مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص.116.

[lviii] رائق عبد الله جرجيس، كوديكولوجيا متألق الايون: قيمتها في تطوير الصيانة العلمية للمخطوطات الإسلامية، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.171.

[lix] بسام عدنان داغساني، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، المرجع السابق، ص.625.

[lx] نصري اسكندر، حفظ وصيانة البردي والرق والورق في المتحف المصري، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.138.

[lxi] آن سيبرت، اتجاهات جديدة في الصيانة الوقائية ما الذي يمكن القيام به حول المناخ والطوارئ والآفات، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.301.

[lxii] Antonio mirabile, Preservation et manipulation des manuscrits, paris: unesco,2006, p.31.

[lxiii] خالد الريان، المرجع السابق، ص.536.

[lxiv] قرنز شقارتس، كيف تصان المخطوطات في صورتها الأصلية أم بإعادة تشكيلها؟ أهمية تأسيس قاعدة معلوماتية عالمية، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.222.

[lxv] أسامة ناصر النقشبندي، المرجع السابق، ص. 160

[lxvi] امبارو دي توريس، الحفاظ الوقائي: اتجاهات عالمية، صيانة وحفظ المخطوطات الاسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.334.

[lxvii] مصطفى السيد يوسف، المرجع نفسه، ص.140.

[lxviii] محمود عباس حمودة، المرجع السابق، ص.30.

[lxix] محمد بن شريفة، حول ترميم المخطوطات في المغرب، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995، ص.99.

[lxx] بسام عدنان داغستاني، قواعد ترميم القطوع والتلفيات في أوراق المخطوطات، في: صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم الى التجليد، دبي: جامعة الإمارات العربية المتحدة،1997، ص.599.

lxxi حسام الدين عبد الحميد محمود، تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية: مخطوطات. مطبوعات. وثائق. تسجيلات، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص.151.

lxxii المرجع نفسه.

lxxiii عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربي، ص.114.

lxxiv بسام عدنان داغستاني، قواعد ترميم القطوع والتلفيات في اوراق المخطوطات، المرجع السابق، ص.600.

lxxv المرجع نفسه.

lxxvi حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع السابق، ص.152.

lxxvii يحي محمود بن جنيد الساعاتي، الورافة: دراسة في المفهوم والمصطلحات، في: صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، دبي: جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1997، ص.101.

lxxviii حسام الدين عبد الحميد محمود، المرجع نفسه، ص.153.

lxxix عز الدين بن زغيبة، مجلة أخبار المركز، ع.24، س.04، ديسمبر 2006، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2006، ص.17.

lxxx علي بن سليمان الصوينع، المخطوطات في مكتبة الملك فهد الوطنية، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995، ص.92.

lxxxi مهدي عتيقي، المشكلات الخاصة بمعالجة المخطوطات الإسلامية: الورق، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.234.

lxxxii بسام عدنان داغساني، طرق صيانة المخطوطات من العوامل المؤثرة فيها، المرجع السابق، ص.605

lxxxiii ديفيد جيو كوبس؛ بربارة روجرز، تطوير تجليد الكتب الإسلامية والحفاظ عليها في المكتبة البريطانية، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.142.

lxxxiv مراد الرماح، مكتبة القيروان وسبل صيانتها، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1995، ص.79.

lxxxv محمود المرعشي النجفي، ترميم وصيانة المخطوطات بمكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة بمدينة قم، صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، 1995، ص.111.

lxxxvi انظر صورة جهاز الماجد للصيانة والترميم الآلي الملحق رقم-01 -

lxxxvii مقابلة مع أمين الزاوي، مدير المكتبة الوطنية الجزائرية، يوم 20-04-2007 على الساعة 14:00 بعد الزوال، بالمكتبة الوطنية الحامة بالجزائر العاصمة.

lxxxviii بسام عدنان داغستاني، النظام العربي الاسلامي في ترميم المخطوطات والوثائق التاريخية باستخدام الألياف السللوزية في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، مجلة آفاق الثقافة والتراث، س.05، ع.20-21، ابريل 1998، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1998، ص.214.

lxxxix قسم الحفظ والمعالجة والترميم، جهاز الماجد للصيانة والترميم، مجلة أخبار المركز، س.01، ع.03، يونيو 2003، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2003، ص.17.

xc انظر جهاز الماجد للتدعيم الحراري الملحق رقم-02 -

xci قسم الحفظ والمعالجة والترميم، جهاز الماجد للتدعيم الحراري، مجلة أخبار المركز، س.01، ع.02، أبريل 2003، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2003، ص.18.

xcii قسم الحفظ والمعالجة والترميم، جهاز الماجد للصيانة والترميم، مجلة أخبار المركز، س.01، ع.04، أغسطس 2003، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2003، ص.15.

فهرس العدد

عنايةُ القرَّاءِ بالنُّسخِ الخطيَّةِ لكتبِ القراءاتِ -المظاهر والآثار-
د. يوسف بن مصلح بن مهل الرِّدادي الجامعة الإسلامية -المدينة المنورة.....01-16
ظاهرة الجريمة وعلاقتها بالتحولات الحاصلة في المجتمع الجزائري
د.جهاد الغرام (جامعة المدية).....17-30
منهجية تحقيق المخطوط " كنز الأسرار ولواقح الأفكار "لصاحبه أبي عبد الله محمّد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الهنائي البرنسي المعروف بالصنهاجي الزموري المتوفي سنة (795هـــ – 1392م) بأزمور.
الدكتور بلقاسم الذوادي(جامعة برج بوعريريج).....31-50
أثر التعلم المبرمج بمساعدة الحاسوب في تدريس الإحصاء على التحصيل ودافعية الانجاز لدى طلبة كلية العلوم التربوية والآداب / الأونـــــروا
د.ابتسام أبو خليفة/كلية العلوم التربوية والآداب/الأونروا (الأردن)
أ.هيام أبو خليفة/ كلية الأميرة سمية الجامعية (الأردن).....51-64
النوازل العقدية في بلاد المغرب العربي
أ.صخري خرفية (باحثة – جامعة الجزائر) 65-73
التكيف العاطفي وعلاقته بالصحة النفسية والجسدية لدى نزلاء مركز إصلاح وتأهيل سواقة
الأستاذ الدكتور عايد الوريكات (الأردن).....74-95
الردّة عن الإسلام بين التجريم وحرّية المعتقد
الدكتور: عز الدين كيحل (جامعة محمد خيضر بسكرة).....96- 103
دور الجمارك الجزائرية في حماية المخطوطات
الأستاذ حتحاتي أحمد / الأستاذ مدوح أحمد (جامعة الجزائر) 104- 109
صورة الجزائر عند الرسام والكاتب الفرنسي أوجين فرومنتان في كتابه "سنة في السهل
أ. علي بريغيث (باحث – المدية) 110-118
توعية المجتمع بأهمية المخطوط
جعيد محمد - قاسم فتيحة - جامعة الجلفة.....119-122
سمو الدستور
سعدي زهرة- جامعة الجلفة 123-129
المؤسسات الحرفية والصناعات التقليدية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر
عمراوي طاهر 130- 142
مفهوم الدولـــة وأصل نشأتها
كرمة عبد العزيز الغويني 143- 165
صيانة وترميم المخطوطات العربية الإسلامية: الطرق والأساليب.
الدكتور مولاي أمحمد (جامعة وهران) 166- 180